البرجوازية، التي حلت محل طبقة أخرى مستغِلة، اضطرت للخضوع لانتكاسات متكررة وخاضت الكثير من الصراعات - الثورة، ثم الاستعادة، تطلب الأمر مئات السنين لكثير من البلدان الأوروبية لاستكمال الثورات البرجوازية من بداية الاستعدادات الأيديولوجية إلى الاستيلاء النهائي على سلطة الدولة. وبما أن الثورة البروليتارية هي ثورة تهدف إلى وضع حد لجميع أنظمة الاستغلال، فليس من المسموح حتى أن نتخيل أن الطبقات المستغِلة ستسمح للبروليتاريا بحرمانها من كل امتيازاتها دون السعي إلى إعادة فرض هيمنتها. "

فالهزائم المؤقتة على الطريق الطويل والمتعرج للثورة الاشتراكية العالمية متوقعة الحدوث. إن تاريخ تطور الماركسية-اللينينية-الماوية منذ 150 عامًا قد أثبت بشكل قاطع أن المصير التاريخي لهذه التعاليم هو قيادة وتوجيه البروليتاريا الأممية نحو النصر النهائي.

القوى قلب البروليتاريا الأممية الثورية. إنها تقود الصراعات المسلحة في بيرو والفلبين وتركيا ونيبال والهند. على الرغم من أن هذه القوى لا تزال ضعيفة من الناحية التنظيمية، إلا أنها تواصل نموها بقوة.

المصدر الرئيسي لصعودها بقوة هو صحة الفكر الماركسي-اللينيني-الماوي. لقد أكدت سلسلة الأحداث التاريخية الكبرى خلال العشرين سنة الماضية معظم التحليلات الماوية. على وجه الخصوص، فإن انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية وضعه كقوة عظمى في مواجهة كفاح الشعوب والضعف الشديد في القوة الأمريكية العظمى في مواجهة كفاح الشعوب المضطهدة في العالم قد أكد تقييم ماو الذي كان قد قال إن الإمبرياليين مجرد نمور من ورق يتلقون درساً من الشعوب.

وبالمثل، أصبحت الماوية أفضل أداة في أيدي البروليتاريا الأممية والشعوب المضطهدة لصياغة وتنفيذ برنامج الثورة في بلدانهم. كما كان لها تأثير كبير على الكفاح المسلح من أجل التحرر الوطني الذي يحدث في أجزاء مختلفة من العالم. على الرغم من أنه في هذه الفترة، لم يكن هناك تطور كبير أو هام في العلم والنظرية الماركسية، إلا أن الماركسية-اللينينية-الماوية لا تزال قابلة للتكيف مع الظروف المتغيرة في العالم. ومع ذلك فهي النظرية العلمية الصحيحة الوحيدة للبروليتاريا الأممية.

تمر الحركة الشيوعية العالمية بعملية نصر-هزيمة-نصر في طريقها نحو النصر النهائي في الثورة الاشتراكية العالمية. بالنسبة لأولئك الذين هم في حيرة بسبب الصعود والهبوط في هذه العملية، فإنه من المفيد تذكر التفسير الذي قدمه ماو خلال المناظرة الكبرى وأيضا أثناء الثورة الثقافية " *وحتى الثورة*

بعد وفاة ماو عام 1976، نظم أنصار المسار الرأسمالي المتبقين في الحزب انقلابًا بقيادة الزعيم التحريفي دينغ كيسياو بينغ، وسيطروا على الحزب تحت القيادة الإسمية لهوا غيوفينغ - وهو وسطي مزعوم. كما كان ماو يدعوه في كثير من الأحيان، مع السيطرة السياسية في أيدي التحريفية، لم تعد القاعدة الاشتراكية في أيدي البروليتاريا. في الوقت نفسه، تحولت قيادة حزب العمال في ألبانيا إلى خط انتهازي يهاجم الماوية ويهاجم ماو معتبرا إياها ثورة برجوازية صغيرة. وهكذا، لم يعد هناك بلد في العالم قامت فيه البروليتاريا بتوطيد السلطة ويمكنها أن تلعب دور القاعدة الاشتراكية للبروليتاريا الأممية.

في السنوات التي أعقبت وفاة ماو، حصل ارتباك أيديولوجي كبير في الحركة الشيوعية الأممية، مع تحريفيي دينغ، من خلال هوا جوفينغ، الذي حاول تصوير نفسه على أنه مدافع عن الماوية. إذ قاموا بطريقة احتيالية، على وجه الخصوص، بإعلان النظرية التحريفية للعوالم الثلاثة مدعين أنها خط عام وضعه ماو للبروليتاريا الأممية. قبلت العديد من المجموعات الثورية هذه المواقف، فقط بعد القرار التاريخي التحريفي الصريح للحزب الشيوعي الصيني في سنة 1981، خلال مؤتمره الثاني عشر في عام 1982 ، بدأت معظم القوى الثورية في جميع أنحاء العالم في معارضة تحريفية دينغ. ومع ذلك ، واصلت بعض الجماعات اتباع خط التحريفية "الدينغية" وتخلت عن التعاليم الثورية لماو. وقد انضمت بعض الجماعات الأخرى إلى الهجوم الانتهازي لحزب العمال الألباني على الماوية. إلا أن، هذه الأحزاب تفككت أو كشفت صراحة عن طبيعتها الرجعية.

أولئك الذين عارضوا بحدة تحريفية دينغ ودعموا الماوية في الممارسة، أمكنهم أن يحرزوا تقدما كبيرا. اليوم ، تشكل هذه

الوطني في أفغانستان بعد إرساء نظام عميل للسوفيات في عام 1978 والاحتلال المسلح من قبل للاشتراكية الإمبريالية السوفيتية في عام 1979. وكان النضال البطولي للشعب الأفغاني ضربة قوية للنظام السوفياتي وقد أثبت كونه عاملا رئيسيا في الانهيار النهائي للاتحاد السوفياتي.

إن الإكتشاف الهام الذي حققته نضالات شعوب المستعمرات وشبه المستعمرات هو أنها غيرت إلى الأبد طبيعة العلاقات بين الإمبريالية والدول المضطهدة. إذ أثبتت حروب فيتنام وأفغانستان أنه لا يمكن حتى لقوة عظمى أن تحتل دولة صغيرة وضعيفة. وقد برزت هذه الحقيقة بقوة أكبر في التسعينات في الأماكن العديدة التي حاول جنود الأمم المتحدة لحفظ السلام التدخل فيها. وأصبحت أرض الصومال، التي كانت خاضعة للسيطرة لسنوات طويلة دون صعوبة كبيرة من قبل المستعمرين البريطانيين والإيطاليين، صومال تسعينات القرن الماضي أُجبرت آلاف الجنود الأمريكيين وغيرهم من الدول على الانسحاب بالعار بعدما هاجمهم الشعب. حتى القصف المستمر والواسع النطاق للعراق ويوغوسلافيا بدون مشاركة القوات البرية هو اعتراف من جانب الإمبريالية بأنه لن يكون هناك بلد أو أمة أو شعب مستعد في هذه الفترة لقبول احتلال عسكري.

منذ انهيار الأنظمة البيروقراطية في أوروبا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، كانت هناك أزمة ثورية مستمرة. حتى في البلدان الإمبريالية الغربية، أدى تفاقم الأزمة إلى تكثيف التناقض بين العمل ورأس المال والموجات المتكررة من النضالات الإضرابية للعمال في المجال الصناعي. غير أن القوى الثورية لم تكن منظمة بما يكفي لاستخدام الوضع الدولي الثوري الممتاز من أجل تقدم الثورة الاشتراكية العالمية.

الحرب وسباق التسلح النووي في المدن الرئيسية في أوروبا. لقد كان الإمبرياليون الأمريكيون معزولين بشكل فعال، ولم يوافق أي من حلفائهم على إرسال قوات للقتال في فيتنام. بعد الحركة الطلابية، كان هناك أيضا ارتفاع حاد في نضالات الطبقة العاملة الصناعية في بلدان أوروبا الغربية، وخاصة إيطاليا وفرنسا، إلى حد كبير حول مطالب اقتصادية. غالبًا ما تسبب موجات الإضربات الهائلة، ذات المطالب الهامة المرتبطة بالأجور، في شلّ اقتصادات الدول الإمبريالية بأكملها.

شهد منتصف السبعينات الإسقاط النهائي للعديد من الأنظمة الاستعمارية التي طال أمدها بعد حروب عصابات طويلة. وهكذا، طُردت الولايات المتحدة وعملاؤها من فيتنام وكمبوديا ولاوس في عام 1975. وفي أفريقيا، تشكلت جمهوريات موزامبيق وأنغولا وإثيوبيا والكونغو وبنين خلال هذه الفترة. إلا أن، معظم هذه البلدان تم الاستيلاء على الحكم فيها من طرف عملاء أو أتباع الإمبريالية الجديدة – الإشتراكية الإمبريالية السوفيتية. كان الاستثناء المهم هو كمبوديا، حيث ظل الخمير الحمر مستقلين إلى أن تم غزوهم في عام 1978 من قبل فيتنام بناء على طلب من الإمبرياليين السوفييت.

في الفترة الموالية أيضا كان هناك استمرار لوضع ثوري ممتاز مع اشتداد كل التناقضات الرئيسية وضعف الإمبريالية. على وجه الخصوص، ظلت المستعمرات وشبه المستعمرات مناطق عاصفة للثورة العالمية. في بداية هذه الفترة، استمرت حروب العصابات في زمبابوي ونيكاراغوا وإريتريا وبلدان أخرى. وبدأت الحرب الشعبية في بيرو في عام 1980 تحت قيادة شيوعية ثورية. تمت الإطاحة بشاه إيران وولدت الجمهورية الإسلامية المناهضة للولايات المتحدة. اندلعت حرب التحرر

في أواخر الستينيات - فترة الثورة الثقافية البروليتارية العظمى وإنشاء الماوية كمرحلة جديدة من الماركسية اللينينية - كانت فترة ثورية تختمر في أجزاء كثيرة من العالم. الحرب الثورية في الهند الصينية (المنطقة التي تغطي فيتنام وكمبوديا ولاوس) كبدت ضربات شديدة لقوة عسكرية ضخمة من الامبريالية الامريكية. في الوقت نفسه، كسر الثوريون سلاسل التحريفية المعاصرة وأطلقوا كفاحات مسلحة تحت قيادة الماوية أجزاء كثيرة من العالم الثالث خلال تلك الفترة - الصراعات المسلحة الجارية في الفلبين والهند تستمر منذ ذلك الحين. كما أن نضالات التحرر الوطني التي شنت حرب العصابات قد ترسخت في أجزاء مختلفة من العالم، وكذلك صراعات مسلحة تحت الإيديولوجية الغيفارية (الأيديولوجية التي اتبعت آراء وممارسة تشي غيفارا، والتي لعبت دوراً قيادياً في النضالات الثورية في كوبا وبوليفيا) في أجزاء من أمريكا اللاتينية.

كانت حرب الهند الصينية، والصراعات المتفاقمة في العالم الثالث والثورة الثقافية البروليتارية العظمى، من بين العوامل الرئيسية في فورة الطلاب الضخمة والحركات المناهضة للحرب في العالم الرأسمالي في أواخر الستينيات. كانت ثورة الطلاب في باريس في أيار / ماي 1968 أهم ثورة من موجة انتفاضات الطلاب من الولايات المتحدة إلى إيطاليا عبر بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، ولكنها كانت واحدة فقط من موجات الثورات الطلابية. كما كان لذلك تأثير على الحركات الطلابية في أجزاء مختلفة من العالم الثالث. في الوقت نفسه، بدأت المظاهرات ضد حرب فيتنام في بلوغ ذروتها في الولايات المتحدة وأجزاء أخرى من العالم مع حركات سلام ضخمة ضد

الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي إحدى الإضافات الرئيسية للماركسية-اللينينية-الماوية إلى ترسانة البروليتاريا الأممية. فهي تمثل تطبيقًا لأهم مساهمة لماو في الماركسية: نظرية الثورة غير المنقطعة في ظل دكتاتورية البروليتاريا لتوطيد الاشتراكية، ومكافحة التحريفية المعاصرة ومنع إحياء الرأسمالية. إن أهميتها بالنسبة للبروليتاريا الأممية لا تقدر بثمن في عالم اليوم حيث فُقِدت كل القواعد الاشتراكية بسبب المخططات التآمرية للبرجوازية داخل الحزب الشيوعي نفسه. لذا، حان الوقت لمراجعة في تعريف لينين للماركسية.

بينما كان يعرّف الماركسي،أعلن لينين أنه لم يعد كافياً الإعتراف بالصراع الطبقي ليسمى المرء ماركسيًا. وقال إن أولئك الذين يدركون كلا من الصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا هم فقط الذين يمكن وصفهم بالماركسيين. اليوم، لا يكفي الاعتراف بالصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا ليكون المرء ماركسيا. بل يجب أن يقبل الماركسي الفهم الأساسي للثورة الثقافية البروليتاريا العظمى. وهكذا، فالماركسي في يومنا هذا ينبغي أن يمدد الاعتراف بالنضال الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا إلى الاعتراف بالثورة المستمرة في البنية الفوقية بهدف استكمال الثورة العالمية وبناء المجتمع الشيوعي بأسرع ما يمكن.

والقيام انقلاب عسكري . تم إحباط هذه المؤامرة بفضل يقظة الثوريين في الحزب.

بعد ذلك، تم تأهيل التحريفيين مثل دينغ إلى مناصب عالية داخل الحزب وجهاز الدولة. خلال الفترة الأخيرة من الثورة الثقافية، كان لا يزال هناك صراع ضد هؤلاء المؤيدين للطريقة الرأسمالية، تعرض دينغ للنقد مرة أخرى وتم تجريده من جميع مناصبه قبل بضعة أشهر من وفاة ماو في 9 سبتمبر 1976. كان لديه، مع ذلك، العديد من العملاء في مناصب السلطة. لقد كان هؤلاء المرتدون هم الذين أعدوا الانقلاب ليستولوا على الحزب ويقودوه على طريق إحياء الرأسمالية بعد وقت قصير من وفاة ماو. وهؤلاء هم الذين خربوا الثورة الثقافية وأعلنوا نهايتها رسميا في عام 1976.

لكن هذا الانقلاب وإحياء الرأسمالية لا يمكن أن ينفوا حقيقة صحة الثورة الثقافية. بدلاً من ذلك، أكد، بطريقة ما، صحة تعاليم ماو حول طبيعة المجتمع الاشتراكي والحاجة إلى مواصلة الثورة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا. الثورة الثقافية هي أداة علمية تم تطويرها في النضال ضد إحياء الرأسمالي والنضال النظري لتطوير الماركسية-اللينينية-الماوية. تأكدت صحتها العلمية في الثورة الصينية. كما ثبتت فعاليتها كسلاح لتعبئة الجماهير الهائلة في النضال ضد خطر إحياء الرأسمالية في بلد اشتراكي. ومع ذلك، وكما أشار ماو نفسه، لا يمكن لأي سلاح أن يضمن النصر النهائي. وهكذا، فإن حقيقة أن المدافعين عن الرأسمالية حققوا نصراً مؤقتاً لا ينقص من الحقيقة الموضوعية لضرورة وفعالية هذا السلاح في النضال من أجل البناء الاشتراكي والدفاع عن الاشتراكية.

الرأسمالية. أدى هذا التقدم في الماركسية إلى توطيد العديد من الجماعات والأحزاب الثورية في جميع أنحاء العالم على أساس الماركسية-اللينينية-الماوية وإطلاق النضالات الثورية تحت قيادتها.

لكن، ماو حذر من أن: "*الثورة الثقافية البروليتارية العظمى الحالية ليست سوى الأولى. سيكون هناك حتما الكثير في المستقبل. لا يمكن تسوية مسألة من سيفوز في الثورة إلا على مدى فترة تاريخية طويلة. إذا لم يتم التعامل مع الأمور بشكل صحيح، فمن الممكن أن يتم إحياء الرأسمالي في أي وقت في المستقبل* ".

بالإضافة إلى ذلك، ذَكَّر المؤتمر التاسع للحزب في عام 1969: "*لقد حققنا نصرا عظيما. لكن الطبقة المهزومة ستستمر في القتال. لا يزال أعضاؤها موجودون وسيظلون موجودين، لذا لا يمكننا الحديث عن النصر النهائي، وليس قبل عقود. ينبغي ألا نفقد يقظتنا. من وجهة النظر اللينينية، لا يتطلب النصر النهائي في بلد اشتراكي فقط جهود البروليتاريا والجماهير العظيمة في الداخل، بل يعتمد أيضا على انتصار الثورة العالمية وإلغاء نظام استغلال الإنسان للإنسان على هذه الأرض حتى تتحرر الإنسانية ككل. لذلك من الخطأ الحديث عن النصر النهائي للثورة في بلدنا بخفة. هذا يتعارض مع اللينينية ولا تؤكده الحقائق*".

تأكدت صحة كلمات ماو بعد وقت قصير. أولاً في عام 1971 ، لين بياو، الذي كان آنذاك نائبًا للرئيس، والذي كان في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني الذي عُين نائبا لماو، تآمر من أجل الاستيلاء على السلطة من خلال الرغبة في اغتيال ماو

الأحمر، الذي بلغت قوته ثلاثين مليونًا). وقد نظموا أنفسهم على جميع المستويات، من المصنع أو الكومونة إلى هيئات حكومية إقليمية وجهوية، وكانت مهمتهم توفير الصلة التي يمكن من خلالها للجماهير المشاركة مباشرة في سير العمل بالبلاد.

لقد سمح جهاز السلطة هذا "ثلاثة في واحد" للسلطة السياسية البروليتارية بأن تنغرس في عمق الجماهير. لعبت المشاركة المباشرة للجماهير الثورية في حكم البلاد وتطبيق الإشراف الثوري من أسفل على أجهزة السلطة السياسية على مختلف المستويات دورا هاما للغاية بالنسبة لتنضم المجموعات الرئيسية إلى خط الجماهير. وهكذا، فإن هذا التعزيز لدكتاتورية البروليتاريا كان أيضاً أكبر وأعمق عملية للديمقراطية البروليتارية التي لا تزال لم تتحقق بعد في العالم.

بعد التدفق الأولي للثورة الثقافية في 1966-1967، تم القضاء على القيادة البرجوازية داخل الحزب بشكل فعال، وتم تجريد معظم أتباع الخط مثل ليو تشاوتشي ودنغ كيسياو بينغ وأتباعهم من مناصبهم في الحزب وأجبروا على القيام بنقد ذاتي أمام الجماهير. كان انتصارا عظيما، ولم يكن مصدر إلهام للجماهير الصينية فحسب، بل خلق أيضا موجة من الحماسة الثورية بين الشيوعيين حول العالم.

خلال المناظرة الكبرى، التفت العديد من القوى الثورية حول الخط الثوري للحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو، ولكن خلال الثورة الثقافية بشكل رئيسي، قبلت هذه القوى في جميع أنحاء العالم أن الماوية هي التي يمكنها أن توفر الإجابات على قضايا الثورة الاشتراكية العالمية. لقد أظهرت الثورة الثقافية البروليتارية العظمى أن الماركسية لديها جواب على إحياء

كبيرة حتى يتم كشف أنصار الطريق الرأسمالي في السلطة وللتمكن من سحق خططهم من أجل إحياء الرأسمالية.

شكل التقدم والتطبيق العملي لخط الجماهير كما صاغه ماو الجانب الأساسي للثورة الثقافية. إذ لم تكن تهدف فقط إلى القضاء على العناصر المعادية للاشتراكية، بل أيضا السماح للطبقة العاملة "بممارسة سلطتها في كل شيء"، "لوضع السياسة على رأس الإدارة" وضمان أن جميع أولئك الذين يعملون كموظفين مدنيين لا يزالون "أناس الشعب". لتحقيق هذه الأهداف، كان من الضروري إطلاق هجوم شامل ضد الأيديولوجية البرجوازية حتى تشارك الجماهير بفاعلية.

وهكذا، أوضح قرار الجلسة العامة الحادية عشرة النقاط التالية:

"في الثورة الثقافية البروليتارية العظمى، فإن الطريقة الوحيدة هي أن تحرر الجماهير نفسها، ولا ينبغي استخدام أي طريقة لفعل الأشياء نيابة عنها.

"ثقوا بالجماهير، اعتمدوا عليها واحترموا مبادرتها. لا تخافوا. لا تخافوا من الفوضى. [...] دعوا الجماهير تَتَثَقَّف في هذه الحركة الثورية العظيمة وتتعلم التمييز بين الصواب والخطأ والفرق بين الطرق الصحيحة والطرق غير الصحيحة للقيام بالأشياء. "

كلما كانت الجماهير تدخل الثورة بكامل قوتها، فإنها تخلق شكلا جديدا من التنظيم - اللجنة الثورية. وتستند إلى مزيج "ثلاثة في واحد": أي، أن أعضاءها، الذين يتم انتخابهم، عرضة للفصل ومسؤولون مباشرة أمام للشعب، قادمون من الحزب، جيش التحرير الشعبي الشعبي و المنظمات الجماهيرية (الحرس

جوهرها ثورة سياسية كبيرة في ظل ظروف اشتراكية، للبروليتاريا ضد البورجوازية وكل الطبقات الاستغلالية الأخرى. إنها استمرار للنضال الطويل ضد الرجعيين من حزب الكومينتانغ يخوضها الحزب الشيوعي والجماهير الثورية العظيمة تحت إمرته. إنها استمرار للنضال بين البروليتاريا والبرجوازية ".

اعتمدت الجلسة العامة الحادية عشرة ما سمي بالمواد الستة عشر للثورة الثقافية. أعادت وأصرت على ما قيل في تعميم 16 مايو، أن الهدف من الثورة الثقافية هو لمس أرواح الناس، لتغيير الإنسان. الأفكار القديمة، الثقافة، العادات، وتقاليد الطبقات المستغِلة تؤثر دائما في الرأي العام، وتقدم أرضية خصبة لإحياء الرأسمالية. يجب تغيير التوقعات الذهنية وخلق قيم جديدة.

وحُدِّد الهدف الرئيسي بأنه "*أولئك الذين في الحزب يملكون السلطة ويتبعون الطريق الرأسمالي*". وتمت تسمية القوى الرئيسية للثورة بكونهم "*جماهير العمال، الفلاحين، الجنود والمثقفين والكوادر الثورية*".

هدف الثورة كان هو "*محاربة أولئك الذين في السلطة الذين يأخذون الطريق الرأسمالي، لنقد ورفض "السلطات" الرجعية البرجوازية وأيديولوجية البرجوازية وكل الطبقات الاستغلالية الأخرى وتحويل التعليم والفن والأدب وجميع الأجزاء الأخرى من البنية الفوقية التي لا تتوافق مع القاعدة الاقتصادية الاشتراكية، من أجل تسهيل توطيد وتطوير النظام الاشتراكي* " شكل الثورة هو إيقاظ مئات الملايين من الجماهير لنشر وجهة نظرهم بحرية وكتابة الملصقات بخطوط كبيرة وتنظيم مناقشات

أشهر أثبتت أنها قصيرة للغاية ولم تفتح الجامعات إلا بعد أربع سنوات.

بدأ ماو أيضا المشاركة شخصيا في الثورة الثقافية. إذ تنافس مع عشرة آلاف سباح يسبحون في نهر اليانغتسي، في 17 يوليوز. كان تصرفه ذا طابع رمزي يعني أنه كان جزء من تيار الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. مرة أخرى، في 5 غشت/أغسطس، في اجتماع الجلسة العامة الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني، أعطى ماو إشارة أكثر مباشرة. إذ أقام دازازيبو خاصا به. كان شعاره الرئيسي "أطلقوا النار على القادة! ". كانت دعوة واضحة لمهاجمة القيادة العامة الرأسمالية للخط الرأسمالي داخل الحزب الذي يقوده ليو تشاوتشي. دعوة ماو أعطت دفعة لممارسة ونضالية الحركة.

في 18 غشت/أغسطس، كان ماو حاضرا في أول تجمع للحرس الأحمر في بكين – الذي ضم مليون عضو. كان الحرس الأحمر أعضاءً في آلاف المنظمات الشعبية التي نشأت في جميع أنحاء البلاد للمشاركة في الثورة الثقافية. كانت المنظمات الجماهيرية الأولى مشكلة بشكل رئيسي الطلاب والشباب، ولكن مع نمو الحركة، نمت هذه المنظمات بين العمال والفلاحين والعاملين في المكاتب. كان تجمع 18 غشت/أغسطس الأول من بين العديد من هذه التجمعات. في بعض الأحيان، كان هناك أكثر من مليونين من الحرس الأحمر من جميع أنحاء البلاد مجتمعين في العاصمة.

اعتبرت الجلسة العامة الحادية عشرة الثورة الثقافية البروليتارية العظمى بأنها "*مرحلة جديدة في تطور الثورة الاشتراكية في بلادنا ، وهي مرحلة أعمق وأوسع*". وقال ماو في كلمته الختامية في الجلسة العامة: "*الثورة الثقافية البروليتارية العظيمة هي في*

أيضا طلبات لإجراء نقد ذاتي من قبل الجناة الرئيسيين. ومع ذلك، كانت بيروقراطية الحزب تبذل قصارى جهدها لمنع هذه الحركة من أن تأخذ طابع خط جماهيري. مجموعة الثورة الثقافية، التي كان من المفترض أن تعطيها الانطلاقة وتُوجّهها، حاولت حقاً السيطرة على المعارضة وحصرها في خطوط أكاديمية.

وأخيرًا، أصدرت اللجنة المركزية تحت إشراف ماو، في 16 مايو 1966، تعميماً، وحلت "مجموعة الخمسة"، التي تعرضت الثورة الثقافية تحت مسؤوليتها إلى التخريب، وأنشأت "مجموعة الثورة الثقافية " جديدة، تحت السيطرة المباشرة للجنة الدائمة للمكتب السياسي. أطلق هذا التعميم في 16 مايو دعوة إلى انتقاد وكسر مقاومة أنصار الرأسمالية، لاسيما أولئك المتواجدين داخل الحزب. أدى هذا الإجراء إلى الانطلاقة الفعلي للثورة الثقافية البروليتارية العظمى ، وجعل منها ظاهرة جماهيرية تضم الملايين من الناس.

في 25 مايو، تم نشر الدازيباو الأول Dazibao ، حرفيا "صحيفة الطباعة الكبيرة" في جامعة بكين لانتقاد نائب رئيس الجامعة ونظام التعليم ككل. هذا لم يكن سوى أول الآلاف من الملصقات الضخمة طُرِح من قبل الجماهير في جميع أنحاء البلاد حيث عبروا عن رأيهم وانتقدوا ما اعتقدوا أنه خاطئ في المجتمع. ونظمت احتجاجات وانتقادات جماهيرية لانتقاد المعلمين، وبيروقراطيي الحزب والبعض الآخر لسياساتهم السيئة. بعد فترة وجيزة، كان هناك طلب من قسم من الطلاب لإلغاء امتحانات القبول. أصدرت اللجنة المركزية في يونيو حزيران أمرا بوقف امتحانات القبول الجديدة بالكليات والجامعات لمدة ستة أشهر حتى يتمكن الطلاب والشباب للمشاركة بشكل كامل في الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. إلا أن، فترة الستة

الاشتراكية. كما شدد ماو على ضرورة "*قيادة حركات واسعة من التعليم الاشتراكي مرارا وتكرارا في المدن والأرياف*". في هذه الحركات المستمرة لتثقيف الشعب، شدد ماو مرة أخرى على الحاجة إلى تنظيم قوى الطبقات الثورية و "لشن صراع قوي ضد القوى المعادية للاشتراكية، الرأسمالية والإقطاعية". وهكذا، رأى ماو بوضوح أن المشاركة الواسعة للجماهير تشكل شرطا أساسيا مسبقا لمنع إحياء الرأسمالية. جاء ذلك من تجربة ماو في كيفية تسلل التحريفيين إلى قيادة الحزب نفسه وكانت تشكل العناصر الرئيسية لإحياء الرأسمالية.

غير أنه، كانت هناك مقاومة قوية من أعلى المستويات داخل الحزب الشيوعي الصيني، بقيادة ليو تشاوشي، لتنفيذ هذه النظريات البرنامج الملموس الذي اقترحه ماو. وهكذا، على الرغم من أن "الثورة الثقافية الاشتراكية" قد تم قبولها رسميا في الجلسة العامة العاشرة للجنة المركزية الثامنة في سنة 1962، إلا أن التنفيذ تم وقفه في منتصفه وفي الاتجاه المعاكس للخط الذي قدمه ماو. في الواقع، فإن بيروقراطية الحزب، بزعامة سيطرة ليو، وبدأت في انتقاد ماو نظرا الإجراءات التي كان يحاول اتخاذها ولوقوفه في وجه تصرفات أولئك الذين اختاروا الطريق الرأسمالي مثل بنغ ده هواي. قاموا بهذا النقد من خلال مقالات في الصحافة ومسرحيات وغيرها من التظاهرات الثقافية التي كانت تحت سيطرتهم. وقد بلغت سيطرتهم درجة أن ماو لم يستطع الحصول حتى على مقال يدافع عنه منشورا في صحافة بكين. وأخيرا نُشر مقال يدافع عنه وعن سياساته في نوفمبر 1965 في صحافة شنغهاي، وهو مركز أكثر راديكالية بكثير من بكين. وهذا ما أسماه ماو لاحقا "إشارة" الثورة الثقافية البروليتاريا العظمى التي انطلقت بانتقاد بيروقراطية الحزب ودَعْمِ خط ماو في وسائل الإعلام ومجال الثقافة. كانت هناك

الفصل الواحد والثلاثون: الثورة الثقافية البروليتاريا العظمى

كانت الثورة الثقافية البروليتارية العظمى استجابة ماركسية لعقبات وتخريب عملية البناء الاشتراكي التي أنشأها التحريفيون والمناصرون للطريق الرأسمالي. خاصة بعد صعود التحريفية في الاتحاد السوفيتي، أدرك ماو أن واحداً من أعظم أخطار إحياء الرأسمالية مصدره الحزب نفسه. خلال المناظرة العظيمة، حاول ماو، أثناء محاربته للتحريفية، إيجاد إجابة على السؤال حول كيفية منع إحياء الرأسمالية. وفي الوقت نفسه، شارك بعمق في المعركة ضد خروتشوفيي الصين ، مثل ليو تشاوشي ودنغ كيسياو بينغ. وهكذا، في ختام المناظرة الكبرى في الوثيقة الختامية للحزب الشيوعي الصيني، المعنونة ب " الشيوعية الزائفة لخروتشوف والدروس التاريخية التي تتركها للعالم"، أكد ماو على بعض النقاط بشأن مسألة منع إحياء الرأسمالية.

أكد ماو أولاً على الحاجة إلى مواصلة الصراع الطبقي طوال فترة المجتمع الاشتراكي، حتى النهاية. وأوضح أن التغير في ملكية وسائل الإنتاج، أي الثورة الاشتراكية على الجبهة الاقتصادية، غير كافٍ بحد ذاته. وأصر على أن تكون هناك ثورة اشتراكية عميقة على الجبهات السياسية والإيديولوجية من أجل تعزيز الثورة. وأن تستمر هذه الثورة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا.

أكد ماو على نقطة أخرى مراراً وهي أنه من أجل الوصول بهذه الثورة إلى خاتمة ناجحة، من الضروري التشبث بخط الجماهير وإيقاظ الجماهير بجرأة ونشر حركاتها على نطاق واسع. لهذا، يجب على الحزب أن يعتمد، يفوز ويتحد مع الجماهير الشعبية، التي تشكل 95٪ من الساكنة، في صراع مشترك ضد أعداء

في جميع أنحاء العالم. كما شكل تطويرا علميا للماركسية اللينينية، التي أعطت الحركة الشيوعية الأممية خطها الثوري العام خلال هذه الفترة. كان ماو و الحزب الشيوعي الصيني القوة الدافعة لهذا الصراع. بفضل المناظرة الكبرى طور ماو علم الماركسية اللينينية من خلال تقديم إجابات على أهم القضايا التي طرِحَت أمام البروليتاريا العالمية - التناقضات الأساسية في العالم، من هم أصدقاؤنا ومن هم أعداؤنا، أهداف الحركة والطريق لانتصار الثورة الاشتراكية العالمية. تم تضمين هذه الصيغ بشكل أساسي في رسالة 14 يونيو. أبرزت التعليقات التسعة الموقف الثوري في مختلف القضايا الرئيسية للحركة الشيوعية العالمية بعد الحرب العالمية الثانية: الاستعمار الجديد والحرب والسلام والتعايش السلمي، يوغوسلافيا، تحريفية خروتشوف والدروس التاريخية المستفادة منها. بفضل المناظرة الكبرى تم القبول بالماوية أكثر كإيديولوجية موجهة للأقسام الثورية من البروليتاريا الأممية.

في الاتحاد السوفييتي وأن طبيعة الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي في طليعة البروليتاريا قد تغيرت. تقدم المؤتمر بالنظريات السخيفة حول "دولة كل الشعب" و "حزب الشعب كله". في المؤتمر ذاته، شن خروتشوف هجومًا علنيًا ومفتوحًا ضد حزب العمال الألباني ودعا حتى إلى الإطاحة بزعيمه، أنور خوجة. وقد احتج على ذلك وفد الحزب الشيوعى الصينى برئاسة زهو أون لاي.

كما بدأ خروتشوف في تشجيع الأحزاب الشيوعية الأخرى على شن هجمات علنية ضد الحزب الشيوعي الصيني. وكتب هو نفسه العديد من المقالات لمهاجمة القيادة الصينية. وأخيراً رد الحزب الشيوعي الصيني على بعض من هجمات توجلياتي من الحزب الإيطالي، ثوريز من الحزب الفرنسي، جوس هول من الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة وآخرين في سلسلة من سبع مقالات صدرت في أواخر عام 1962 وأوائل 1963.

أُدرِج ملخص لوجهات النظر الرئيسية للحزب الشيوعي الصيني في الرسالة الشهيرة في 14 يونيو 1963، بعنوان "مقترح بشأن الخط العام للحركة الشيوعية الأممية". ورد عليها الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي برسالة مفتوحة. وبما أن القضية أصبحت عامة، قرر الحزب الشيوعي الصيني خوض النقاش من خلال الصحافة المفتوحة. فنشر تسع تعليقات على خطاب الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي وأوضح كل هذه القضايا للجماهير.

هذا الصراع، الذي كُشِف النقاب عنه عام 1963 واستمر حتى عام 1964 ، يدعى المناظرة الكبرى. كانت المناظرة الكبرى ذات أهمية تاريخية هائلة. إذ كان صراع مبدئيا ضد التحريفية المعاصرة. لقد وفر نقطة التقاء لجميع القوى الثورية البروليتارية

كان الحزب الشيوعي الصيني، بقيادة ماو، في طليعة هذا النضال. بعد شهرين عن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، نشر الحزب الشيوعي الصيني مقالا عن التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا، اعتبرت ستالين ماركسيا لينينيا مهما. تلاه مقال آخر في دجنبر/ديسمبر 1956 بعنوان "المزيد عن التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا"، التي أصرت على أن المعسكر الاشتراكي يجب أن يحدد بوضوح أصدقاءه وأعدائه. ينضاف هذا إلى محاولة لمدة سبع سنوات طويلة لمواجهة خط خروشوف التحريفي في اجتماعات الأحزاب، ولا سيما في اجتماع من الأحزاب الشقيقة الـ 60 في عام 1957، وفي اجتماع الأحزاب الشقيقة ال 81 في عام 1960 وفي الاجتماعات مع قادة الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي.

مع اشتداد الصراع، سحب التحريفيون السوفييت مساعدتهم الفنية في مجال الدفاع في يونيو 1959 وفي يوليو عام 1960، تم سحب كل الخبراء التقنيين السوفييت الذين يعملون في الصين. نفس الشيء حصل مع ألبانيا. في نيسان / أبريل 1960، نشر الحزب الشيوعي الصيني "عاشت اللينينية" ومادتين أخريين تؤكدان المبادئ الأساسية للللينينية حول الإمبريالية، الحرب والسلام، الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا. هذه المقالات تعارض مواقف تحريفيي الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي دون ذكره بالإسم.

ومع ذلك، واصل التحريفيون جهودهم لزيادة تنظيم مواقفهم. وهكذا، في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الذي انعقد في سنة 1961، راجع البرنامج المعتمد جوهر الماركسية اللينينية، وهي تعاليم الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا وحزب البروليتاريا. فأعلن أن ديكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية

الثالثة، قد طور علاقات وثيقة مع البرجوازية بعد فترة الجبهة المناهضة للفاشية، واتخذ في فترة ما بعد الحرب مواقف شوفينية في اتجاه شعوب المستعمرات الفرنسية ليصبح خادمًا للبورجوازية الإمبريالية الفرنسية. أراد توجلياتي من إيطاليا، وهو زعيم أممي كبير آخر، "إصلاح" و "إعادة هيكلة" الرأسمالية إلى الاشتراكية من خلال "إصلاحات هيكلية" عن طريق البرلمان البرجوازي. كما قام قادة الحزب الشيوعي الهندي بتغيير خطهم التكتيكي للاعتراف بالطريق السلمي والإصلاحي. وهكذا، تعاونت هذه القوى التحريفية، التي لم تكن قد تعرضت للانتقاد بشكل كافي وللدحض في الفترة السابقة ، بفرح مع خروتشوف.

عندما قامت مثل هذه الأحزاب بمحاولة جادة لتنفيذ "انتقال سلمي" من خلال النظام الانتخابي وهددت هذه الجهود النظام الاجتماعي بما فيه الكفاية، تم القضاء عليها من خلال الانقلابات العسكرية والقمع الوحشي، كما هو الحال في البرازيل (سنة 1964)، وإندونيسيا (سنة 1965)، وشيلي (سنة 1973).

من بين الديمقراطيات الشعبية التي كانت قد تشكلت حديثا، كانت عصبة الشيوعيين في يوغوسلافيا، بقيادة تيتو، قد اتخذت بالفعل من عام 1948، الطريق التحريفية وانفصلت عن المعسكر الاشتراكي. غير أن خروتشوف بدأ في الحفاظ على علاقات ودية معها. معظم القادة الباقين كانوا أيضاً متحالفين مع خروتشوف. في المعسكر الاشتراكي، لم يبق سوى الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني هما اللذان حددا التحريفية وكشفاها، ودافعا بذلك دفاعا شجاعا وحازما عن الماركسية اللينينية.

الأخرى لرغبته في الحفاظ على التعايش السلمي مع الإمبريالية. لقد كان يحدد العلاقات مع الدول الاشتراكية الأخرى ومساعدتها وسياسته في دعم نضال الدول المضطهدة وفقا لهذا التعايش السلمي مع الإمبرياليين. لذلك لم يكن الأمر يتعلق بأكثر من سياسة تعاون مع الإمبريالية.

أما المنافسة السلمية فهي النظرية القائلة بأن التناقض بين الإمبريالية والاشتراكية يمكن أن يحل بالتنافس الاقتصادي بين الأنظمة الرأسمالية والنظم الاشتراكية. ولذلك رفضت هذه النظرية الاعتراف بالطبيعة الرجعية والحربية للإمبريالية. وخلقت وهمًا بأن التناقض بين المعسكر الاشتراكي والإمبريالي كان تناقضًا غير عدائي، يمكن حلّه بالأشكال السلمية للنضال.

لكل ذلك كانت نظرية خروشوف عن السلميات الثلاثة نظرية تحريفية في حد ذاتها، أراد فرضها على الحركة الشيوعية الأممية. كان يهدف إلى إقامة علاقة وثيقة مع الإمبريالية. ومن أجل تنفيذ مشاريعه وقبول القوى الإمبريالية، شن خروتشوف هجومًا ضاريًا ضد ستالين باسم عبادة الشخصية. من أجل القضاء على المبادئ الثورية التي ناضل من أجلها ستالين، كان من الضروري أولاً تدمير صورته بين الثوريين والجماهير في جميع أنحاء العالم. وقد تم ذلك من خلال حملة من الأكاذيب والدعاية المنحطة.

دعم العديد من قادة الأحزاب الشيوعية في العالم الخط التحريفي لخروتشوف. بدأ البعض منهم بالفعل في تبني الخط التحريفي في بلدانهم. كان برودر، في الولايات المتحدة، قد عرض بالفعل نظريات عن التعاون بين الاشتراكية والرأسمالية، وغادر الحركة الشيوعية الأممية. وكان ثوريز، الزعيم الفرنسي السابق للأممية

الفصل الثلاثون: المناظرة الكبرى – صراع ماو ضد تحريفية خروتشوف المعاصرة

بعد وفاة ستالين، في عام 1953، قامت عصبة تحريفية بقيادة خروشوف، بانقلاب وأحكمت سيطرتها على الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي، الذي كان آنذاك الحزب القائد للبروليتاريا الأممية. فقاموا بطرد وقتل الثوريين داخل الحزب، وبدؤوا عملية إحياء الرأسمالية في أول أرض للاشتراكية، وطوروا العلاقات مع المعسكر الإمبريالي، وخاصة الإمبريالية الأمريكية. وفي سنة 1956، بعد أن عززوا سيطرتهم على الحزب، بدأوا، في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، بنشر سمهم التحريفي بين الأحزاب الشيوعية الأخرى. فقاموا في آن واحد بمهاجمة ما أسموه عبادة شخصية ستالين وقدموا نظريتهم التحريفية لل"سلمي" الثلاث: الانتقال السلمي والتعايش السلمي والمنافسة السلمية.

الانتقال السلمي كان يعني الانتقال السلمي إلى الاشتراكية من خلال الطريق البرلماني. طرح خروتشوف أنه في الوقت الحالي، من الممكن تحقيق الاشتراكية عن طريق الفوز السلمي بالأغلبية في البرلمان وإدخال الإصلاحات. لذلك نفى الحاجة إلى الثورة. هذه النظرية إذن كانت تكرارًا لتحريفية برنشتاين وغيره من الإشتراكيين-الديمقراطيين.

طرح خروشوف التماسك السلمي بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة كخط عام للسياسة الخارجية للدولة الاشتراكية. وهكذا شوه سياسة لينين للتعايش السلمي مع الدول الرأسمالية، التي كانت فقط جانبا واحدا من جوانب السياسة الخارجية للأممية البروليتارية. خروشوف أخضع كل الأشياء

ضد التحريفية المعاصرة، حاول ماو حشد ثوار العالم والصين. من خلال أعماله مثل نقد للاقتصاد السوفييتي وتحليل الحزب الشيوعي الصيني لشيوعية خروشوف الزائفة ولدروسه التاريخية للعالم، وحاول أن يغرس داخل الحزب الأسس النظرية للنضال ضد التحريفية وإحياء الرأسمالية.

فضلا عن ذلك، فقد حاول بشكل خاص تصليب الجماهير في النضال من أجل الدفاع عن الاشتراكية وتطويرها ومنع إحياء الرأسمالية: بالإضافة إلى برنامجه المذكور أعلاه للتعليم الإشتراكي، أعطى شعارات للمحاكاة الاشتراكية. واستعمل تجارب تشاي و تشين كنماذج لبناء الاشتراكية. ولكن عندما تمت عرقلة جميع محاولات حشد الجماهير من قبل البيروقراطية الحزبية، نجح ماو في النهاية، بعد جهود هائلة في إطلاق طاقات الجماهير، من خلال الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. وكانت تتويجًا في الممارسة لتطوير ماو للمبادئ الماركسية للبناء الاشتراكي.

المستويات العليا للحزب. كان صراع الخطي بشكل مباشر وغير مباشر. في يوليو 1959، أطلق شن بنغ دويهواي، وزير الدفاع آنذاك، هجومًا مباشرًا على القفزة الكبرى إلى الأمام، منتقدًا ما أسماه "التعصب البرجوازي الصغير" وراغبًا "في الدخول إلى الشيوعية خطوة واحدة في كل مرة. ". صد ماو هذه الهجمات ودافع عن سياسة القفزة الكبرى إلى الأمام. إلا أن الإصلاحيين الرأسماليين الآخرين واصلوا هجماتهم بطرق غير مباشرة، على الرغم من هزيمة بنغ.

إحدى هذه الطرق هي الدفاع المتستر على بينغ والهجومات ضد ماو في وسائل الإعلام. تم ذلك من خلال المقالات ولكن أيضا في المسرحيات والعروض الثقافية التي تهدف إلى إظهار كيف كان بنغ الرفيق المخلص الذي كان ضحية ظلم. ومن بين الأساليب الأخرى حظر أو إبطال تنفيذ السياسات الرئيسية التي تقررت على أعلى مستوى. على سبيل المثال، تخريب برنامج التعليم الاشتراكي وقرار إطلاق الثورة الثقافية، الذي اتخذ، خلال الجلسة العامة العاشرة للجنة المركزية سنة 1962. على الرغم من أن هذا القرار كان قد تم قبوله رسميا من قبل عملاء الطريق الرأسمالي، إلا أنهم ضمنوا من خلال سيطرتهم داخل بنية الحزب أنه لن تكون هناك تعبئة جماهيرية. لقد حاولوا تحويل الثورة الثقافية إلى مجرد نقاش أكاديمي وأيديولوجي بينما كانت هذا تجليا للصراع الطبقي.

قاد ماو هذه المعركة على مستويات مختلفة، خلال هذه الفترة (1959-65). أدرك، على أساس التجربة الروسية، الخطر الحقيقي لإحياء الرأسمالية. وعلى أساس دراسة سياسة واقتصاد تحريفية خروتشوف، استخلص دروساً نظرية من أجل تعليم البروليتاريا الصينية والأممية. بفضل صراع المناظرة الكبرى

خطابه في فبراير 1959، بأنها "الريح الشيوعية". هذه الأخطاء "اليسارية"، التي حددها ماو، كانت في الأساس من ثلاثة أنواع. الأول هو تسوية الفرق الفقيرة والغنية داخل الكومونة عن طريق جعلها كلها وحدة حسابية. وهذا يعني أن حصص الفلاحين من الفرق الأكثر ثراءً (من التعاونيات المتقدمة القديمة) ستكون أصغر من الحصة التي كانوا يحصلون عليها سابقاً. فهم لن يقدّروا إذن تشكيل الكومونة ولن تكون مشاركتهم فيها طوعية. الخطأ الثاني هو أن تراكم رأس المال من قبل الكومونة كان بالغ الأهمية وأن الطلب على العمل بدون تعويض من الكومونات كان كبيرا جدا. عندما يتم تخصيص كميات أكبر من أجل تراكم رأس المال، فإن الحصة التي يحصل عليها المزارع تصبح أقل. وبالمثل، لا يمكن أن يحصل العمل بدون تعويض إلا عندما الوعي مرتفعا لهذا الهدف. الخطأ الثالث هو "تجميع" جميع أنواع "الأملاك" في بعض الجهات، جرت محاولات لجعل الممتلكات الفلاحية، مثل الدجاج والخنازير، ملكية مشتركة. هذا أيضا تعرض للنقد.

تم تصحيح هذه الأخطاء بسرعة. تم الإبقاء على فريق الإنتاج (الذي كان في السابق تعاونية متقدمة) كوحدة حسابية أساسية، وفي عام 1962 تم نقله إلى مستوى أدنى، وهو مستوى فريق الإنتاج. ومع ذلك، على الرغم من أن الأفق دائمًا هو زيادة مستوى الملكية والمحاسبة إلى مستويات أعلى، كعملية التحويل الاشتراكي والانتقال إلى الشيوعية، فإن هذا لم ينجح. استمرت وحدة المحاسبة والملكية الأساسية حتى عام 1976 عند أدنى مستوى لها - فريق الإنتاج.

على الرغم من تصحيح الأخطاء "اليسارية" بسرعة، إلا أن هيمنة الطريق الرأسمالي، بقيادة ليو تشاوتشي، ظلت قوية في

26.000 الكمونات، وذلك استجابة لطلب المتحمسين من جماهير الفلاحين. فانضم أكثر من 120 مليون أسرة، أي أكثر من 99 في المائة من جميع الأسر الفلاحية من مختلف الجنسيات الصينية، إلى "الكمونات الشعبية". وفي تلخيص للجوهر السياسي للحركة، استطردت اللجنة المركزية قائلة إنها:

"إن الكومونة الشعبية هي الوحدة الأساسية للهيكل الاجتماعي الاشتراكي لبلدنا، وهي تجمع بين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشؤون العسكرية. في نفس الوقت، هي التنظيم الأساسي لسلطة الدولة الاشتراكية. تسمح لنا النظرية الماركسية-اللينينية والتجربة الأولية للكمونات الشعبية في بلادنا بالتنبؤ الآن بأن الكمونات الشعبية تقدر وتيرة بنائنا الاشتراكي وتشكل أفضل شكل لتحقيق ، الإنتقالين التاليين، في بلدنا:

أولا الإنتقال من الملكية الجماعية إلى ملكية الشعب ككل في الريف.

ثانيا، الانتقال من المجتمع الاشتراكي إلى المجتمع الشيوعي. يمكننا أيضًا أن نتنبأ بأنه في المجتمع الشيوعي المستقبلي، ستظل الكومونة الشعبية هي الوحدة الأساسية لبنيتنا الاجتماعية. "

وهكذا، تمثل حركة الكومونة تقدمًا هائلًا استكمل بشكل أساسي عملية التجميع الزراعي. ومع ذلك، لم يتحقق هدف أن تمضي الكومونة في عملية الانتقال إلى الملكية المشتركة الشاملة والشيوعية. إذ لم تنجح محاولات خلق كمونات حضرية.

في الفترة الأولى لحركة الكمونات خلال القفزة الكبرى إلى الأمام، كانت هناك بعض الأخطاء "اليسارية". وصفها ماو، في

الاشتراكي. سجلت الصناعة والزراعة وجميع مجالات النشاط الأخرى نموا أكبر وأسرع.

بصرف النظر عن ذلك، فإن القفزة الكبرى للأمام شكلت تحولا رئيسيا في العلاقة مع أولويات المخططات السابقة. تمت صياغة الخط العام للقفزة العظيمة إلى الأمام أثناء اجتماع اللجنة المركزية الذي عقد في نهاية نوفمبر 1957. غيرت التركيز الذي كان على الصناعة الثقيلة واستهدفت التنمية المتزامنة للزراعة والصناعة الثقيلة والخفيفة. وكان الهدف هو تقليص الفجوة بين المدينة والريف، بين العامل والفلاح، بين المثقف والكادر. لقد طرح ليس فقط ثورة اقتصادية، بل ثورة تكنولوجية وسياسية واجتماعية وثقافية لتحويل المدينة والريف.

في عام 1958 بدأ بناء الكمونات الشعبية. بدأت العملية بشكل تلقائي عندما قامت جمعيات الفلاحين المتجاورة في منطقة متأثرة بالجفاف بوضع خطة لدمج عملهم والموارد الأخرى لتنفيذ مشروع الري. تمت تسمية اندماجهم "مشترك" من قبل ماو. شجع ماو هذا التشكيل و أدى هذا على الفور إلى الانتشار السريع للكومونات في جميع أنحاء البلاد. تم تشكيلها من خلال دمج التعاونيات المتجاورة للقيام بمشاريع واسعة النطاق مثل السيطرة على الفيضانات، والحفاظ على المياه، والتشجير، والصيد والنقل. وبالإضافة إلى ذلك، أنشأت العديد من الكمونات مصانعها الخاصة لتصنيع الجرارات والأسمدة الكيميائية وغيرها من وسائل الإنتاج. حركة خلق الكمونات ازدادت بسرعة كبيرة. أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في قرارها الشهير ووهان في ديسمبر 1958 أنه "في غضون بضعة أشهر، بدءً من صيف عام 1958، كل ال 740.000 من تعاونيات المنتجين الزراعيين في البلاد، قامت بإعادة التنظيم في أكثر من

استمر ماو عمله في العام الموالي بكتاب عن "المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب". في هذا الكتاب تابع تطوير الفهم الديالكتيكي لعملية البناء الاشتراكي. إذ وضع، في المقام الأول، الصراع الطبقي في قلب العملية. وقال إن "الصراع الطبقي لم ينته ... إن مسألة من سيفوز، أو الاشتراكية أو الرأسمالية، لم تتم تسويتها بعد". مع هذا، بدأ النضال ضد الأقسام التحريفية داخل الحزب التي تدعي أن الصراع الطبقي لم يعد موجودًا في ظل الاشتراكية. كان هذا بمثابة بداية لحركة تصحيح على المستوى الوطني، وهي حركة مناهضة لليمين. خلال هذه الفترة، وكان العديد من كبار القادة مطالبين بتقديم نقد ذاتي للجماهير، وانخرط ملايين الطلاب في العمل اليدوي للإدماج مع العمال والفلاحين، وكل كوادر الحزب في المصانع والتعاونيات الزراعية كانوا مطالبين بالمشاركة في العمل اليدوي، وبدأ العمال يشاركون في صنع القرار في مصانعهم وبدأت من الفلاحين حملة توعية اشتراكية. بفضل هذه العملية، اقترب الحزب من الشعب، وتم التغلب على الميول اليمينية، التي كانت تتنامى سواء في الحزب أو خارجه.

مع تقدم حركة التصحيح، وجد اليمينيون في الحزب أنفسهم في موقف دفاعي. وهذا ما أدى، في سنة 1958، إلى تصحيح النظرية الخاطئة للقوى المنتجة التي كانت قد هيمنت خلال المؤتمر الثامن لحزب في سنة 1956. أجبِر النصير الرئيسي لهذه النظرية، ليو تشاوتشي، على الاعتراف قبل الدورة الثانية للمؤتمر الحزبي للثامن في مايو 1958، أنه خلال الفترة التي سبقت اكتمال بناء مجتمع اشتراكي، كان التناقض الرئيسي بين البروليتاريا والبرجوازية، بين الطريق الاشتراكي والطريق الرأسمالي. كما ذكر تقريره القفزة الكبرى إلى الأمام، والتي كانت قد بدأت. كان هناك تقدم كبير على جميع جوانب البناء

[...] تركيزهم غير المتوازن على الصناعة الثقيلة وإهمالهم للزراعة والصناعة الخفيفة أدى إلى نقص السلع في السوق، وإلى عملة غير مستقرة." وبالمثل ، انتقد سياسة الاتحاد السوفياتي في "الضغط بشدة على الفلاحين ". كما هاجم الدوغماتيين داخل الحزب الشيوعي الصيني الذين "ينسخون بشكل عشوائي ويزرعون ميكانيكيًا" ما يتعلمونه من تجربة الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى. كما انتقد أولئك الذين اتبعوا مثال خروشوف بانتقادهم أيضًا ستالين. لقد دافع عن ستالين على أنه ماركسي عظيم حقق 70٪ من الأشياء الجيدة. وهكذا، وبفضل هذا الانتقاد الشامل للتحريفات السوفيتية والأخطاء في البناء الاشتراكي السوفياتي، قاد ماو النضال ضد الخط التحريفي للقوى الإنتاجية التي هيمنت على الحزب الشيوعي الصيني.

غير أن، أكبر مساهمة لخطاب ماو كان التقدم الكبير الذي أحرزه في تحليل عملية البناء والتخطيط الاشتراكي. من خلال عرض مشاكل البناء الاشتراكي كـ" العلاقات العشر الرئيسية"، نقل ماو الديالكتيك والتناقضات إلى مركز عملية بناء المجتمع الاشتراكي. لقد أوضح كيف أن هذا لا يعني فقط التنفيذ الميكانيكي لأهداف الإنتاج والتوزيع، بل أيضا الفهم الجدلي للتناقضات الرئيسية في هذه العملية وتعبئة كل القوى الإيجابية لتحقيق الاشتراكية. وقال: " للتركيز على سياسة أساسية تمت إثارة هذه المشاكل العشرة، من أجل تعبئة جميع العوامل الإيجابية الداخلية والخارجية، لخدمة قضية الاشتراكية [...] هذه العلاقات العشرة كلها تناقضات. العالم يتكون من التناقضات. بدون تناقضات، سوف يتوقف العالم عن الوجود. مهمتنا هي إدارة هذه التناقضات بشكل صحيح ".

في الاتحاد السوفييتي (وخاصة بعد المؤتمر التحريفي العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي في فبراير 1956)، تقوت الميول التحريفية للحزب الشيوعي الصيني على الفور. وفي سنة 1956، تم إطلاق حملة داخل الحزب لـ"مناهضة التقدم المتهور"، أي شل عملية التجميع. في الوقت نفسه، اكتسبت النظرية التحريفية للقوى المنتجة السلطة داخل الحزب، وكان الممثل الرئيسي لهذا الخط هو الأمين العام للحزب، ليو تشاوتشي. دعم ممثلو هذا الاتجاه الخروتشوفيين، ونفوا الصراع الطبقي، وركزوا اهتمامهم على بناء قوى إنتاج عصرية، خاصة من خلال الصناعة الثقيلة. كانت حجتهم أن القوى المنتجة هي المحرك الرئيسي للتغيير، وأن القوى المنتجة الصينية هي العامل الرئيسي الذي كان يعيق تطور البلاد. وأن التغييرات في علاقات الإنتاج يجب أن تنتظر حتى يتم تطوير القوى المنتجة بما فيه الكفاية. كان على التحويل الاشتراكي للزراعة أن ينتظر حتى تكون الصناعات متطورة بما يكفي لتوفير آلات للمكننة الريفية. لقد أهملت كل هذه المقترحات أهمية علاقات الإنتاج والصراع الطبقي. وهو ما أدى إلى نمو الاتجاهات التحريفية والبيروقراطية ونمو طبقة مستغِلَّة جديدة.

بالنظر إلى التجربة السوفييتية والتأكد من الخطر التحريفي، أطلق ماو على الفور حملة للتغلب على هذه النزعات التي كانت تسيطر على الحزب في ذلك الوقت. كانت خطوته الأولى في هذا الصراع هي خطابه الذي ألقاه في أبريل عام 1956 حول "العلاقات العشر الرئيسية ". في هذا الخطاب، أدلى ماو لأول مرة بنقد واضح للنموذج السوفيتي للبناء الاقتصادي الاشتراكي. بالموازاة مع الإشارة إلى العلاقة بين الصناعة الثقيلة من جهة، والصناعة الخفيفة والزراعة من جهة أخرى، أكد ماو "لقد قمنا بما هو أفضل من الاتحاد السوفيتي وعدد من دول شرق أوروبا.

لم تكن تتشكل كل منها سوى من بضع عشرات من الأسر. لم تكن لدى هذه الفرق سوى بعض العناصر الأساسية للاشتراكية، مثل المساعدة والتعاون بين أعضاء الفريق. الخطوة الثانية وكانت تتمثل في مطالبة المزارعين بتنظيم تعاونيات صغار المزارعين على أساس فرق المساعدة التعاونية. كانت هذه التعاونيات ذات طبيعة شبه اشتراكية وتميزت بتجميع الأراضي المشتركة والتسيير الموحد. ثم كانت الخطوة الثالثة هي دعوة الفلاحين إلى التجمع أكثر على أساس هذه التعاونيات الصغيرة شبه الاشتراكية وتنظيم تعاونيات كبيرة من المنتجين الزراعيين الاشتراكيين بالكامل. والمبادئ الأساسية التي كانت تقوم عليها هذه الخطة التدريجية هي المشاركة الطوعية والمنفعة المتبادلة. كان يجب إقناع المزارعين بالمشاركة طواعية في عملية التجميع هذه.

بدأت المرحلة الأولى من الفرق التعاونية في القواعد الثورية، حتى قبل الانتصار الوطني للثورة. حصلت الخطوة الثانية للتعاونيات البسيطة في سنوات 1953-1955. أما المرحلة الثالثة من الانتقال إلى التعاونيات المتقدمة فقد حدثت في سنة 1956. كان هناك صعود كبير للتحول الاشتراكي في الريف. في نفس الوقت، في الأشهر الأولى من عام 1956، سرعان ما تولت حركة ذات صلة القيادة وأكملت عملية تأميم الشركات. وهكذا، تم نقل الصناعة والتجارة الصينية من الملكية الخاصة إلى الملكية من قبل الشعب بأسرع بكثير مما كان متوقعا.

كان الخط العام يعتمد بشكل أساسي على النموذج السوفييتي للبناء الاشتراكي. كان التركيز على الصناعة وعلى وجه الخصوص على الصناعة الثقيلة هو المحور الرئيسي للخطة الخماسية الأولى 1953-57. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك اتجاه لاعتماد جميع السياسات السوفييتية بدون نقد. ومع صعود التحريفية المعاصرة

الفصل التاسع والعشرون: البناء الإشتراكي – التجربة الصينية

بدأ تنفيذ البرنامج الاقتصادي الديمقراطي الجديد حتى قبل الانتصار الوطني للثورة. بعد فترة وجيزة من دخول الجيش الأحمر والثورة الصينية في الهجوم الاستراتيجي لسنة 1947، أعلن ماو وبدأ في تنفيذ ما سمي السياسات الاقتصادية الرئيسية الثلاثة للثورة الديمقراطية الجديدة. يتعلق الأمر بـ: 1) مصادرة أرض الطبقة الإقطاعية وتوزيعها على الفلاحين، 2) مصادرة رأس مال البرجوازية الكمبرادورية و 3) حماية صناعة وتجارة البرجوازية الوطنية. تم تنفيذ هذه السياسات على الفور في المناطق الشاسعة من شمال الصين التي كانت تحت السيطرة الثورية، وتم الانتهاء من الإصلاح الزراعي هناك في منتصف عام 1950. وبعد ذلك، تم الانتهاء من برنامج الإصلاح الزراعي في بقية البلاد.

في سنة 1951، اعتمد الحزب ما كان يسمى الخط العام للبناء الاشتراكي، للفترة الانتقالية من الرأسمالية إلى الاشتراكية. كان الهدف الأساسي من هذه الفترة هو تحقيق التصنيع في الصين مع التحويل الاشتراكي للزراعة والحرف اليدوية والصناعة والتجارة الرأسمالية. كان الهدف المحدد لإتمام هذه العملية هو ما يقارب ثمانية عشر. تم تقسيم هذه السنوات 18 إلى ثلاث سنوات من إعادة التأهيل للتعافي من الأضرار والتدمير الناتجين عن الحرب الأهلية ثم خمسة عشر عاما تغطيها ثلاث خطط خماسية للتنمية الاقتصادية المخطط لها.

وتماشيا مع هذا الخط العام، تم وضع خطة "خطوة بخطوة" للتحويل الاشتراكي للزراعة. كانت الخطوة الأولى هي دعوة المزارعين إلى تنظيم فرق للمساعدة المتبادلة للمنتجين الزراعيين

محددة وملموسة لتنفيذها بشكل صحيح. "*أخذ أفكار الجماهير وتركيزها، ثم الإنتاقل إلى الجماهير، وتدقيق في الأفكار ونقلها، من أجل تكوين أفكار قيادية صحيحة، هذه هي الطريقة الأساسية للقيادة*". بهذه الطريقة ، يشرح ماو خط الجماهير كطريقة قاعدية لقيادة الحزب للجماهير.

وأخيراً، يقول ماو إنه لا ينبغي النظر إلى خط الجماهير فقط في سياق قيادة الحزب للجماهير. في الواقع، يؤكد أيضًا على تطبيق خط الجماهير في العلاقات الداخلية للحزب. إذ يعتبره أيضا خطا تنظيميا. ويؤكد أنه للتأكد أن الخط يأتي بالفعل من الجماهير وبالأخص أنه يعود إلى الجماهير، يجب أن تكون هناك روابط وثيقة ليس فقط بين الحزب والجماهير خارج الحزب (بين الطبقة والشعب). بل بالخصوص بين الهيئات الحزبية الرئيسية والجماهير داخل الحزب (بين الكوادر والقاعدة). وهكذا، يوضح ماو أنه من الأهمية بمكان الحفاظ على روابط وثيقة بين المستويات العليا والدنيا للحزب. أي انقطاع في العلاقات الداخلية للحزب يؤدي إلى فجوة في العلاقة بين قيادة الحزب والجماهير. من شأنه أن يتعارض مع تطبيق خط الجماهير.

طور ماو الماركسية أيضا في حقل آخر يتعلق الأمر بخط الجماهير. انطلاقا من فهم الأساس الماركسي-اللينيني للحزب الذي يحافظ على أقرب الصلات الممكنة مع الجماهير، طور ماو مفهوم خط الجماهير إلى مستوى جديد نوعيا. على المستوى الفلسفي، أوضح كيف أنه يشكل جانبا أساسيا لنظرية المعرفة الماركسية. على المستوى السياسي والتنظيمي، أبرز كيف يشكل أساس خط سياسي صحيح وأيضا الطريقة التي يعتبر بها الخط التنظيمي الأساسي للعلاقات داخل الحزب.

يوضح ماو أنه في الممارسة العملية للحزب، فإن أي قيادة صحيحة هي بالضرورة "من الجماهير إلى الجماهير". وهذا يعني أخذ أفكار الجماهير (أفكار متفرقة وغير منظمة) وتركيزها (بدراستها، وتحويلها إلى أفكار مركزة ومنهجية)، ثم العودة إلى الجماهير لنشر وشرح هذه الأفكار حتى يعتنقونها باعتبارها أفكارهم الخاصة، يرعونها، ويترجمونها إلى ممارسة عملية، ويختبرون دقتها في هذه الممارسة. ثم مرة أخرى تركيز أفكار الجماهير والعودة مرة أخرى إلى الجماهير حتى يتم تطبيق هذه الأفكار. وهكذا، مراراً وتكراراً في شكل حلزوني دائم التجدد، فتصبح الأفكار أكثر صحة وأكثر حيوية وثراء في كل مرة. هذه، كما يقول ماو، هي النظرية الماركسية في المعرفة.

من أجل تطبيق مبدأ "من الجماهير، إلى الجماهير"، يشرح ماو أنه يجب أن تكون هناك علاقة صحيحة بين المجموعة القيادية والجماهير في منظمة أو في صراع. من الضروري أن يجمع الحزب المناضلين لتشكيل نواة قيادية ويربط هذه النواة بالجماهير. إذا لم يحصل ذلك، تصبح قيادة الحزب بيروقراطية ومنقطعة عن الجماهير. من الضروري أيضًا ألا تصدر القيادة فقط الدعوات العامة. يجب أن تتبع الدعوات العامة تعليمات

"النظرية القائلة بأن من الواجب" التغلب "على هذه العناصر في نطاق حزب واحد، هي نظرية عفنة وخطرة، تهدد الحزب بالشلل، وبالوقوع في حالة مرض مزمن". مثل هذا الطرح يرفض القبول بإمكانية وجود تناقض غير عدائي يصارع ضد الفرص كتناقض عدائي منذ البداية.

عن طريق استخلاص العبر من هذه التجربة التاريخية، قدم ماو أساليب النضال داخل الحزب كما يلي: "يجب على جميع قادة الحزب تعزيز الديمقراطية داخل الحزب وترك الناس يتحدثون. ما هي الحدود؟ الحد الأول هو الإنضباط الحزبي، وأن تكون الأقلية تابعة للأغلبية ولجميع أعضاء اللجنة المركزية. حد آخر هو أنه ينبغي تفادي تنظيم فصيل سري. نحن لسنا خائفين من الخصوم الصرحاء، نحن نخاف فقط من الخصوم السريين. هؤلاء الأشخاص لا يخبرونك بالحقيقة في وجهك، ما يقولونه ليس إلا أكاذيب وخداع. إنهم لا يعبرون عن نيتهم الحقيقية. طالما لم ينتهك المرء الانضباط الحزبي ولم ينخرط في أنشطة تكتلية سرية، ينبغي أن يسمح له بالكلام ولا يعاقب إذا كان يقول أشياء خاطئة. إذا قال الناس أشياء خاطئة، فيمكن انتقادهم، لكن علينا إقناعهم بحق. واذا لم يقتنعوا؟ وطالما أنهم يحترمون القرارات التي تتخذها الأغلبية ، يمكن للأقلية الاحتفاظ بآرائها."

تحليل ماو إذن بُنِيَّ على أساس واضح، كلما كان الصراع الطبقي قائماً في المجتمع، كان هناك بالضرورة صراع طبقي في الحزب، أي صراع الخطوط. وبالتالي، كان ينبغي أن تتم هذه المعركة علانية وفقا لمبادئ المركزية الديمقراطية. وهكذا، وبفضل فهمه وتطبيقه لمفهوم صراع الخطين، حاول ماو، يصل إلى مقاربة جدلية صحيحة للطبقات وللصراع الطبقي والصراع الداخلي داخل الحزب.

وهكذا، قال ماو في خطابه في يناير 1962: "*إذا لم ندافع بشكل كامل عن الديمقراطية الشعبية والديمقراطية داخل الحزب، وإذا لم نقم بتطبيق الديمقراطية البروليتارية بشكل كامل، فإنه من المستحيل على الصين أن يكون لديها مركزية بروليتارية حقيقية. وبدون درجة عالية من الديمقراطية، من المستحيل الحصول على درجة عالية من المركزية، وبدون درجة عالية من المركزية، يستحيل إنشاء اقتصاد اشتراكي. وماذا سيحدث لبلدنا إذا فشلنا في تأسيس اقتصاد اشتراكي؟ ستصبح دولة تحريفية، في الواقع دولة برجوازية، وستصبح ديكتاتورية البروليتاريا دكتاتورية للبرجوازية ودكتاتورية فاشية ورجعية. وهذه مسألة تتطلب يقظتنا، وآمل أن يعطيها رفاقنا الكثير من التفكير.* "

صراع الخطوط هو جانب آخر من المبادئ التنظيمية للحزب التي طور فيها ماو الفهم والنظرية الماركسية. كان نهج ماو، القائم على المادية الجدلية، هو اعتبار وجهات النظر الخاطئة داخل الحزب الشيوعي انعكاسا للطبقات المختلفة في المجتمع. وهكذا، كلما استمر الصراع الطبقي في المجتمع، يكون هناك انعكاس في الصراع الإيديولوجي داخل الحزب. كان أسلوبه في التعاطي مع هذه التناقضات مختلفًا أيضًا. اعتبرها تناقضات غير عدائية في البداية، وهو، ما يمكن محاولة تصحيحه من خلال "صراع جدي". معتبرا أنه ينبغي إعطاء فرصة كبيرة لإجراء هذا التصحيح، وفقط إذا كان الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء "يصرون" عليها أو "يفاقمونها"، يكون هناك احتمال أن يصبح التناقض عدائيا.

كان ذلك تصحيحاً لفهم ستالين الذي طرحه في كتابه *مبادئ اللينينية*. كان ستالين يعارض أي محاولة لتصحيح الميول الخاطئة عن طريق الصراع داخل الحزب. كان يسمي هذه

وجهة نظر ماو هذه كانت مبنية على فهمه أن المركزية تعني في المقام الأول مركزة الأفكار الصحيحة. لهذا يتوجب على جميع الرفاق التعبير عن وجهات نظرهم وآرائهم وعدم الاحتفاظ بها لأنفسهم. وهو ما لن يكون ممكنا إلا إذا كانت هناك ديمقراطية أكثر كمالا ممكنا، بحيث يشعر الرفاق بحرية الإشارة إلى ما يريدون قوله وحتى للتعبير عن غضبهم. ونتيجة لذلك، من دون ديمقراطية، سيكون من المستحيل تلخيص التجربة بشكل صحيح. بدون ديمقراطية، بدون أفكار من الجماهير، من المستحيل صياغة خطوط أو مبادئ أو سياسات أو أساليب صحيحة. في المقابل، في ظل الديمقراطية البروليتارية، سيكون من الممكن تحقيق وحدة الفهم والسياسة والتخطيط والقيادة والعمل على أساس تركيز الأفكار الصحيحة. إنها الوحدة من خلال المركزية.

لم يقتصر فهم ماو للمركزية الديمقراطية على عمل الحزب فقط. لقد وسع تحليل القضية إلى إدارة الدولة البروليتارية وبناء الاقتصاد الاشتراكي. اعتبر ماو أنه بدون المركزية الديمقراطية، لا يمكن توطيد ديكتاتورية البروليتاريا. فبدون ديمقراطية واسعة للشعب، كان من المستحيل على دكتاتورية البروليتاريا أن تتعزز أو أن تكون السلطة السياسية مستقرة. بدون ديمقراطية، دون ايقاظ الجماهير ودون رقابة من الجماهير، من المستحيل ممارسة دكتاتورية فعالة على الرجعيين والعناصر السيئة أو تغييرهم بفعالية. أدلى ماو بهذه الملاحظات بعد صعود التحريفية المعاصرة في الاتحاد السوفييتي، حيث رأى أن الجماهير لم يتم حشدها لممارسة ديكتاتورية البروليتاريا. ورأى أيضا صعود التيارات التحريفية داخل الحزب الشيوعي الصيني على أعلى مستوى، وأقر بأن الضمانة الوحيدة ضد هذه الميول هو المبادرة واليقظة من الكوادر الدنيا والجماهير.

الفصل الثامن والعشرون: ماو حول الحزب

بمجرد تولي ماو قيادة الحزب الشيوعي الصيني، ركز كل جهوده على تطوير الحزب على خطوط لينينية حقيقية. بسبب هيمنة الخطوط السابقة غير السليمة، وخاصة الخط الثالث "اليسراوي" لوانغ مينغ، كانت هناك العديد من الاختلالات داخل الحزب. بسبب الفهم الإنعزالي، لم يكن هناك تطبيق صحيح للمركزية الديمقراطية واستمر في إتباع نهج خاطئ في صراع الخطوط. وتم اتخاذ القرارات دون تشاور ودون إشراك مسؤولين حزبيين، كما تم التلاعب في عقد الجلسات العامة وغيرها من الاجتماعات. صراعات الخطوط لم تتم على نحو صريح وتمت مضايقة ومعاقبة ممثلي وجهات النظر المخالفة. أيضا بسبب الدوغمائية، لم يتم تطبيق خط الجماهير. حاول ماو تصحيح هذه الانحرافات وكذا بناء الأجهزة المناسبة للحزب. وفي هذه العملية، قام ماو أيضا بتوضيح وتطوير العديد من المفاهيم التنظيمية. وحاول تصحيح بعض الفهم الخاطئ الذي ازداد في الحركة الشيوعية الأممية وكذلك في الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي تحت قيادة ستالين.

تجلت محاولة ماو لتصحيح الاختلالات الإنعزالية والبيروقراطية في الحزب في توضيحه للمركزية الديمقراطية. من الواضح أن فهم ماو للمركزية الديمقراطية هو "أولا وقبل كل شيء الديمقراطية، ثم المركزية". وشرح ذلك بعدة طرق: "إذا لم تكن هناك ديمقراطية، فلن تكون هناك مركزية"، "المركزية هي مركزية تقوم على الديمقراطية. المركزية البروليتارية مع قاعدة ديمقراطية واسعة "

عاد ماو إلى مسألة التناقضات العدائية وغير العدائية خلال فترة البناء الاشتراكي وخلال الثورة الثقافية. وشدد على أنه على الرغم من انتصار الثورة، كان من الخطأ الاعتقاد بأن التناقضات لم تعد موجودة في المجتمع الصيني. أظهر أن هناك نوعين مختلفين من التناقضات التي لا تزال موجودة- التناقضات مع العدو والتناقضات داخل الشعب. التناقضات مع العدو هي عدائية ويجب التعامل معها بالقمع. في حين، ينبغي التعامل مع التناقضات داخل الشعب التي ليست عدائية بطريقة تجعلها لا تصبح عدائية. لقد شدد ماو دائما على الحاجة إلى القيادة الصحيحة للتناقضات. وشدد على أنه إذا لم يتم فهم التناقضات والتعامل معها بشكل صحيح، فإن هناك دائما خطر استعادة الرأسمالية.

في كلا الوضعين تمثل التفاوت بين القوتين المتناقضتين. فلا شيء في هذا العالم يجري في تطورات متساوية بصورة مطلقة، وينبغي لنا أن نعارض نظرية التطور أو نظرية التوازن، وفي الوقت ذاته، فإن هذه الأوضاع المحددة الخاصة بالتناقض، والتبدل الذي يطرأ على الطرف الرئيسي والطرف غير الرئيسي للتناقض في مجرى تطوره، تظهر بالضبط قوة الأشياء الجديدة في إزاحة الأشياء القديمة والحلول محلها. إن دراسة أوضاع التفاوت في التناقضات، دراسة التناقض الرئيسي والتناقضات غير الرئيسية والطرف الرئيسي وغير الرئيسي للتناقض، هي إحدى الطرق المهمة التي يقرر بها حزب سياسي ثوري، بصورة مضبوطة، خططه الاستراتيجية والتكتيكية في الشؤون السياسية والعسكرية، وهي دراسة من واجب الشيوعيين أن يولوها الاهتمام.

وأخيرا ، أوضح ماو مسألة التعادي في التناقض. وفقا لماو ، فإن التعادي هو شكل من أشكال صراع الأضداد، لكنه ليس الشكل الوحيد. على أنه لا ينبغي أن نفرض بصورة تعسفية الصيغة المذكورة آنفا على كل شيء. إذ أن التناقض والصراع شيئان عامان ومطلقان، إلا أن طرق حل التناقضات، أي أشكال الصراع، تختلف تبعا لاختلاف طبيعة التناقضات. فبعض تتميز التناقضات بصفة عدائية مكشوفة، وبعضها على خلاف كذلك. وتبعًا للتطور المحدد للأشياء ، تتطور بعض التناقضات التي كانت في الأصل غير عدائية فتصبح تناقضات ذات صفة عدائية، وهناك تناقضات أخرى هي في الأصل ذات صفة عدائية، لكنها تتطور فتصير تناقضات صفتها غير عدائية. تختلف أشكال النضال باختلاف طبيعة التناقضات. يمكن حل التناقضات غير العدائية بوسائل سلمية وودية. أما التناقضات العدائية فتتطلب وسائل غير سلمية.

العمليات تناقضات كثيرة، فلابد أن يكون واحدا من بينها تناقض رئيسي يلعب الدور القيادي الحاسم، أما بقية التناقضات فإنها تحتل مركزا ثانويا تابعا. لذلك، ينبغي لنا عند دراسة أي عملية معقدة فيها تناقضان أو أكثر، أن نبذل قصارى جهودنا كي نكتشف التناقض الرئيسي فيها. فإذا أمسكنا بزمام هذا التناقض الرئيسي ، استطعنا حل سائر التناقضات بسرعة.

وبالمثل، في أي تناقض، فإن تطور كل طرف من الطرفين المتناقضين، في أي تناقض كان، متفاوت عن تطور الطرف الآخر. يتراءى أحيانا أن ثمة توازنا في القوى بين طرفي التناقض ، لكن تلك ليست سوى حالة مؤقتة ونسبية، فالتفاوت هو الحالة الأساسية. فلابد أن يكون أحد الطرفين المتناقضين رئيسي والآخر ثانويا، فالطرف الرئيسي هو الذي يلعب الدور القيادي في التناقض. إن طبيعة الشيء يقررها في الدرجة الأولى الطرف الرئيسي للتناقض ، الذي يحتل مركز السيطرة.

لطالما أولى ماو أهمية كبيرة لفهم التناقض الرئيسي في تحليله. وهكذا، في تحليله للمجتمع الصيني، كان يحلل دائمًا التناقض الرئيسي. كانت هذه خطوة إلى الأمام في العلاقة مع التحليل الماركسي-اللينيني السابق، الذي لم يركز على تحليل التناقض الرئيسي في بلد أو ثورة. ومع ذلك، قال ماو إنه إذا لم نبحث أثناء دراستنا لقضية خاصية التناقض، مسألة التناقض الرئيسي والتناقضات غير الرئيسية في عملية معينة ومسألة الطرف الرئيسي والطرف غير الرئيسي لتناقض معين، يعني إذا لم ندرس الفارق المتمثل في كلا هذين الوضعين من أوضاع التناقضات، فإننا سنتورط في دراسات مجردة ، ونعجز عن فهم أوضاع التناقضات بصورة محددة، ونعجز نتيجة لذلك عن إيجاد الطريقة الصحيحة لحلها. إن هذا الفارق أو هذه الخاصية المتمثلة

هذه "الشروحات والتطوير" تم إنجازها بعد حوالي عشرين سنة من قبل ماو. لقد كان عمل ماو خطوة كبيرة في فهم التناقضات. درس مسألة التناقضات بتفصيل كبير وأوضحها بطريقة تجعلها سهلة الفهم وقابلة للاستخدام بسهولة من قبل الجميع.

أولا، أكد أن قانون وحدة الأضداد هو القانون الأساسي للطبيعة والمجتمع، وبالتالي فإنه القانون الأساسي للفكر.

بعد ذلك، أوضح مبدأ عمومية وخاصية التناقض. وفقا لهذا المبدأ، توجد تناقضات في عملية تطور جميع الأشياء وثانية توجد حركة التناقض في عملية تطور كل شيء من البداية إلى النهاية.

ثم تطرق لمبدأ خاصية ونسبية التناقض. ووفقاً لهذا المبدأ، فإن كل تناقض وكل جانب من جوانبه لهما خصائص محددة.

هناك فكرة مهمة جداً قدمها ماو في هذا الصدد تتعلق بالوحدة والصراع بين الأضداد في تناقض ما. يؤكد ماو أن وحدة أو هوية الأضداد مشروطة. ولذلك فهي دائمًا مؤقتة ونسبية. "كل طرف من طرفي التناقض في عملية تطور شيء ما يستلزم وجود الطرف الآخر المتناقض معه، كشرط مسبق لوجوده هو". من ناحية أخرى، فصراع الأضداد لا نهاية له، إنه كوني ومطلق.

هناك مبدأ مهم آخر، قدمه ماو واستُخدم في كثير من الأحيان في عمله، هو فهم التناقض الرئيسي والطرف الرئيسي في التناقض. وفقا لهذا المبدأ، توجد في كل عملية تطور معقدة لشيء ما تناقضات عديدة، ولابد أن يكون أحدها هو التناقض الرئيسي الذي يحدد وجوده وتطوره وجود وتطور التناقضات الأخرى أو يؤثر في وجودها وتطورها. لذلك، إذا كانت في أي عملية من

الممارسة العملية الثورية بصورة فعالة في سبيل تغيير العالم الذاتي والعالم الموضوعي. الممارسة العملية، ثم المعرفة، والعودة إلى الممارسة العملية ثانية ثم المعرفة أيضا. وهكذا تتكرر العملية إلى ما لا نهاية، ومع كل دورة، يرتفع مضمون الممارسة العملية والمعرفة إلى مستوى أعلى. هذه هي كل النظرية المادية الجدلية عن المعرفة، هذه هي النظرية المادية الجدلية عن وحدة المعرفة والعمل. "

مساهمة ماو الأخرى الهامة في الفلسفة الماركسية تتمثل تتعلق بالجدل ولا سيما فيما يتعلق بفهم وتطبيق التناقضات. يظهر فهم التناقضات واستخدامها في أماكن مختلفة وتقريباً طوال تحليل ماو وكتاباته. عمله الرئيسي هو في التناقض، وهو مقال عن الفلسفة كتب في غشت/ أغسطس 1937 من قبل ماو بعد مقاله في الممارسة العملية . هدف المقالين هو نفسه: التغلب على الأخطاء الخطيرة التي جلبها نمط التفكير المتسم بالجمود العقائدي السائد في الحزب آنذاك. في الأصل، تم تقديم هذا المقال على شكل محاضرتين في الكلية العسكرية والسياسية المناهضة لليابان في يانان.

كان عمل ماو بمثابة استمرارية لعمل لينين الذي كان قد قام بدراسة دقيقة للغاية للتناقضات. وصف لينين التناقض "لب الديالكتيك" وأعلن أن "*انقسام الواحد ومعرفة أجزاءه المتناقضة هو جوهر الديالكتيك*". وكتب لينين لاحقاً في دفاتره الفلسفية: "*باختصار، يمكن تعريف الجدلية على أنها نظرية وحدة الأضداد. إنها تجسد جوهر الديالكتيك، ولكن هذا تتطلب شروحات وتطويرا* "

يمكن أن تأتي المعرفة قبل التجربة المادية؛ ولا يمكن لأحد أن يصبح خبيرا قبل ممارسة شيء ما.

شرح ماو عملية اكتساب المعرفة. تبدأ بالمعرفة الحسية، أي مرحلة التصورات الحسية والانطباعات، حيث لا يرى الإنسان سوى الجزئيات، والروابط الخارجية للأشياء. باستمرار الممارسة العملية الاجتماعية، فإن الأشياء التي تترك أحاسيس وانطباعات في حواس الإنسان في مجرى ممارسته العملية، تتكرر مرات عديدة؛ عندئذ يحدث في ذهن الإنسان تبدل مفاجئ (قفزة) في عملية المعرفة وتتكون المفاهيم. وعندئذ لم تعد المفاهيم ظواهر الأشياء ولا جزئياتها، ولا الروابط الخارجية التي تربط بينها؛ بل هي إدراك تام لجوهر الأشياء، وكلياتها، وروابطها الداخلية. إن المفهوم والإحساس لا يختلفان كميا فحسب بل كيفيا أيضا. إن المعرفة المفاهيمية أو المنطقية أو العقلية هي خطوة أعلى من المعرفة الحسية.

هناك جانبان مهمان لهذا الأمر . الأول هو أن المعرفة العقلية تعتمد على المعرفة الحسية. من الغباء التفكير في إمكانية تطوير المعرفة العقلية دون أن يختبر المرء ويمتلك معرفة حسية. الجانب الثاني المهم هو أن المعرفة الحسية تحتاج تطويرها إلى معرفة العقلية. وهذا يعني أنه يجب تعميق المعرفة الإدراكية وتطويرها إلى مرحلة المعرفة العقلية.

غير أن اكتساب المعرفة العقلية ليس غاية في حد ذاته. وكما أكدت الماركسية دائما، فإن النقطة الأساسية لكل المعرفة هي أن توضع موضع التنفيذ. لذا، كما يقول ماو، "*اكتشاف الحقيقة عن طريق الممارسة العملية، وإثبات وتطوير الحقيقة عن طريق الممارسة مرة ثانية. ثم الإنطلاق من المعرفة العقلية لتوجيه*

الفصل السابع والعشرون: ماو حول الفلسفة

تهدف كتابات ماو حول الفلسفة إلى تعليم كوادر الحزب والجماهير الماركسية اللينينية من أجل تغيير طريقة التفكير والممارسة. كان ماو نفسه تلميذا متحمسا للفلسفة. كان عندما يعثر على كتب الفلسفة، يقوم بقراءتها قراءة مكثفة ومركزة. بسبب التأثير السابق للدوغمائيين الذين عادوا بعد الدراسة في روسيا والذين لم يكونوا يستطيعون ربط معرفتهم بالواقع، كان ماو حريصًا على ضمان جعل دراسة الحزب وتعليمه مرتبطين بالممارسة. كان يريد أن يجعل الفلسفة الماركسية، وبالأخص المنهج الديالكتيكي الماركسي، في متناول جميع كوادر الحزب ومناضليه وكذلك الجماهير.

كانت تعاليم ماو حول نظرية المعرفة ذات أهمية قصوى. ومن أهم أعماله، مقاله " *في الممارسة العملية - في العلاقة بين المعرفة والممارسة العملية، العلاقة بين المعرفة والعمل*". فعلى الرغم من أنه لا يدوم سوى ساعتين من المحاضرات، قال ماو إن الأمر استغرق أسابيع من أجل صياغته. النقطة المركزية، التي يشرحها ماو، هي أن المعرفة لا تسقط من السماء، بل تُستَمَدُّ من الممارسة الاجتماعية ومنها وحدها. المعرفة الحقيقية، أو الأفكار الصحيحة، تأتي من ثلاثة أنواع من الممارسة الاجتماعية: النضال من أجل الإنتاج، الصراع الطبقي، والتجربة العلمية.

تعتمد النظرية على الممارسة. وقال ماو إنه من غير الوارد، أن لا يتم قياسها والتحقق منها بالممارسة. بدورها تغير النظرية الممارسة، وتغير طريقة العمل والتفكير. وبفضل هذا، نقوم بتحويل واكتساب المزيد من المعرفة. لا أحد يولد ذكيا أو غبيا. لا

من الممكن بعد انتصار الثورة: استعادة وتطوير الإنتاج بسرعة، مواجهة الإمبريالية الأجنبية، تحويل الاقتصاد الزراعي المتخلف شبه مستعمرة إلى دولة صناعية وبناء دولة اشتراكية.

صيغة ثالثة من الدولة في ثورات جميع البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، أي الجمهورية الديمقراطية الجديدة في ظل دكتاتورية مشتركة لعدة طبقات مناهضة للإمبريالية. وبما أن هذه المرحلة تتناسب مع فترة تاريخية معينة، فهي مؤقتة. ومع ذلك، وفقا لماو، فهذه الخطوة ضرورية لا يمكن التخلي عنها.

تم إرساء هذه الدولة بعد انتصار الثورة الصينية في شكل الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية. شرح ماو جوهر الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية على أنها مزيج من جانبين - الديمقراطية للشعب والدكتاتورية على الرجعيين. الشعب هو الطبقة العاملة، الفلاحون، البورجوازية الصغيرة الحضرية والبورجوازية الوطنية. تتحد هذه الطبقات، بقيادة الطبقة العاملة والحزب الشيوعي، لتشكيل دولتهم الخاصة وانتخاب حكومتهم. إنهم يطبقون ديكتاتوريتهم على عملاء الإمبريالية أي طبقة الملاكين العقاريين والبورجوازية البيروقراطية، بالإضافة إلى ممثلي هذه الطبقات.

كما شدد ماو على ضرورة أن يقود الحزب الشيوعي عملية تحويل الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية إلى دولة اشتراكية. الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، بقيادة البروليتاريا والتي تستند إلى تحالف العمال الفلاحين، تجبر الحزب الشيوعي على توحيد الطبقة العاملة بأكملها، والفلاحين بأكملهم والجماهير العظيمة للمثقفين الثوريين. هذه هي القوى القائدة وأساس هذه الديكتاتورية. بدون هذه الوحدة، لا يمكن توطيد الديكتاتورية. ومن الضروري أيضاً أن يتحد الحزب مع أكبر عدد ممكن من ممثلي البرجوازية الصغيرة الحضرية والبرجوازية الوطنية المستعدة للتعاون، وكذلك مع مثقفيهم ومجموعاتهم السياسية. ومن الضروري عزل القوى المضادة للثورة. عند إنجاز ذلك، سيكون

الحضرية والبورجوازية الوطنية. بينما أعداء الثورة هم الإمبريالية والبورجوازية الكومبرادورية والملاك العقاريين.

وفقا لماو، فإن الثورة في المستعمرات وشبه المستعمرات لن تتبع طريق الإنتفاضة الذي اتبعته الثورة الروسية، حيث تم الاستيلاء على المدن الرئيسية أولا قبل السيطرة على الريف. وأظهر أن الطريقة الصينية للحرب الطويلة الأمد تمثلت في الاستيلاء على السلطة في المناطق الريفية، وبناء مناطق حرب العصابات ومناطق حمراء، وأخيراً تطويق المدن والاستيلاء عليها. ولتحقيق هذا الهدف، وضع ماو المبادئ العسكرية للحرب الثورية. علَّم كيفية بناء الجيش الأحمر، أي، السلاح الضروري للغاية للثورة. بدءً من حرب العصابات، ثم الحرب المتحركة وأخيرا حرب الموقف، بين ماو كيف يمكن لقوة صغيرة الاعتماد على الجماهير الواسعة لبناء القوة اللازمة لهزيمة عدو كبير.

أخيرا، وبالاستناد إلى الفهم الماركسي-اللينيني للدولة ولديكتاتورية البروليتاريا، طور ماو نظريته عن شكل الدولة خلال الثورات في البلدان المستعمرة. وعلى أساس نظرية الديمقراطية الجديدة ، صاغ تفسير الجمهورية الديمقراطية الجديدة.

وهذه الجمهورية الديمقراطية الجديدة هي، بحسب قوله، تختلف عن الجمهوريات الرأسمالية السابقة لأمريكا وأوروبا في ظل الديكتاتورية البرجوازية، وهي شكل ديمقراطي قديم متجاوز بالفعل. من ناحية أخرى، تختلف أيضًا عن الجمهورية الاشتراكية على النمط السوفيتي في ظل ديكتاتورية البروليتاريا. خلال فترة تاريخية معينة، لم يتكيف هذا الشكل بعد مع الثورات في البلدان الاستعمارية وشبه الاستعمارية. خلال هذه الفترة، وجب اعتماد

تم تطوير صياغة ماو لطريق الثورة الصينية في العديد من الكتابات مع تقدم الثورة. كان لينين قد أشار بالفعل إلى أنه في عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية، البروليتاريا وليست البرجوازية هي التي ستقود الثورة الديمقراطية البرجوازية. اتبع ماو في عمله "الديمقراطية الجديدة" هذا الطرح، مشيرًا إلى أنه في المرحلة الحالية، كل ثورة في مستعمرة أو شبه مستعمرة، ضد الإمبريالية لم تعد تندرج تحت التصنيف القديم للثورات العالمية البرجوازية الديمقراطية، بل تحت تصنيف جديد؛ لم تعد جزءً من الثورات البرجوازية أو الرأسمالية القديمة، بل صارت جزءً من الثورة العالمية الجديدة، الثورة الاشتراكية البروليتارية العالمية. هذه المستعمرات أو شبه المستعمرات الثورية لم يعد بالإمكان اعتبارها حليفة للجبهة المعادية للثورة للرأسمالية العالمية. بل أصبحت حليفة للجبهة الثورية الاشتراكية العالمية. وهكذا، وللتميز عن الثورات البرجوازية الديمقراطية القديمة، فقد أطلق على الثورة في المستعمرات وشبه المستعمرة "ثورة الديمقراطية الجديدة". على هذا الأساس، طور سياسة واقتصاد وثقافة الديمقراطية الجديدة.

كما طور ماو تفسير الجبهة المتحدة التي قام لينين وستالين بتنظيرها. فأبرز أن البرجوازية في المستعمرات وشبه المستعمرات تنقسم إلى قسمين: البرجوازية الكومبرادورية والبرجوازية الوطنية. البرجوازية الكومبرادورية، التي تعتمد على الإمبريالية في وجودها ونموها، هي دوما عدو للثورة. البرجوازية الوطنية هي حليف متردد يساعد أحيانًا الثورة وأحيانًا ينضم إلى أعدائها. وهكذا، فإن الجبهة المتحدة بقيادة البروليتاريا في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة تتشكل من تحالف يضم أربع طبقات: البروليتاريا والفلاحين والبورجوازية الصغيرة

الفصل السادس والعشرون: النهج الثوري في المستعمرات وشبه-المستعمرات

مباشرة بعد إنشاء جمهورية الصين الشعبية، أقرت الحركة الشيوعية الأممية علنا بأهمية نموذج الثورة الصينية للمستعمرات وشبه المستعمرات. في 27 كانون الثاني / يناير 1950، أعلنت افتتاحية *من أجل سلام دائم من أجل ديمقراطية شعبية*، لسان حال الكومينفورم (المنظمة المركزية للحركة الشيوعية الأممية في الفترة من 1947 إلى 1956، وهي بشكل ما وريثة الكومنترن، وتعني بالروسية الإنكماش –المترجم-)، "*الطريق الذي اختاره الشعب الصيني ... هو الطريق الذي يجب أن تأخذه شعوب العديد من الدول المستعمرة والمضطهدة في نضالها من أجل الاستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية.*

إن تجربة الكفاح الناجح للشعب الصيني من أجل التحرر الوطني تعلم أن الطبقة العاملة يجب أن تتحد مع جميع الطبقات والأحزاب والجماعات والمنظمات التي ترغب في محاربة الإمبرياليين وعملائهم وتشكيل جبهة عريضة. على المستوى الوطني، بقيادة الطبقة العاملة و طليعتها - الحزب الشيوعي [...]

والشرط الحاسم لتحقيق النصر للنضال التحرري الوطني هو تكوين الجيوش الشعبية للتحرير تحت قيادة الحزب الشيوعي عندما تسمح الظروف الداخلية اللازمة بذلك. "

وهكذا ، تم الاعتراف بإمكانية التطبيق الشامل للنظرية الماركسية اللينينية التي طورها ماو، أي الماوية، وبدأت تتحول إلى مبدأ موجه للثوريين الحقيقيين في جميع أنحاء العالم، وخاصة في المستعمرات وشبه المستعمرات.

الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية"، أعلن: "*إن الثمانية وعشرين عاما من وجود حزبنا هي فترة طويلة، ونحن لم نفعل فيها سوى شيئًا واحدًا – هو إحراز النصر الأساسي في الحرب الثورية. وهو يستأهل الاحتفالات لأنه انتصار للشعب ولأنه انتصار أحرز في بلاد كبيرة كالصين. لكن ما زال علينا أن نفعل الشيء الكثير؛ ولا يبدو العمل الذي أنجز، إذا شبه بسفر، سوى الخطوة الأولى في مسيرة طويلة من عشرة آلاف لي.* "

عشرين ألف جندي في نهاية المسيرة الطويلة، وصل الجيش الأحمر إلى قوة مجموعها مليون رجل بحلول نهاية الحرب ضد اليابان في عام 1945. آنذاك، قدم ماو في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني في أبريل 1945، في تقريره حول *الحكومة الائتلافية*، ملخصًا مفصلاً عن الحرب المعادية لليابان وتحليلًا للوضع الدولي والداخلي. ووضع برنامجًا محددًا لتشكيل حكومة ائتلافية مع الكيومينتانغ بعد الانتصار على القوات اليابانية.

المرحلة الثالثة من الحرب الأهلية: غير أن، تشيانغ كاي تشيك، بعد الانتصار على اليابانيين، رفض قبول تشكيل حكومة ائتلافية بشروط معقولة، بسبب دعم الإمبريالية الأمريكية وتفوق قواتها العسكرية. آنذاك، حتى ستالين كان يريد أن يصل الحزب الشيوعي الصيني إلى تفاهم. وكان يقول أنه ينبغي ألا تكون هناك حرب أهلية بل ينبغي أن يكون هناك تعاون مع تشيانغ كاي شيك لتفادي هلاك الأمة الصينية. ومع ذلك، واصل الحزب الشيوعي الصيني تحت زعامة ماو كفاحه وقاتل في ما يسمى بالحرب الأهلية الثورية الثالثة. معتمدا على دعم كامل من الجماهير وخاصة الفلاحين، تمكن الجيش الأحمر من تغيير التوازن العسكري وانتقل في يوليوز 1947 من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي. وفي أكتوبر 1949، حاز الحزب الشيوعي الصيني، في غضون أربع سنوات، نصرا وطنيا على الكيومينتانغ المدعوم من قبل الولايات المتحدة.

بعد انتصار الصين، غمرت البهجة والفخر البروليتاريا عبر العالم بتشكيل معسكر اشتراكي بدا لا يقهر لأنه يضم ثلث البشرية. وبالرغم من ذلك، أعطى ماو فكرة عن التحديات المقبلة ومخاطر الفترة المقبلة. في عام 1949، بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى، فى خطابه "حول

تجاه الإخضاع الوطني الحاصل في بعض أجزاء كومينتانغ في الجبهة المتحدة. شعر هؤلاء، بعد بعض الهزائم التي ألحقها اليابانيون، أنه يجب إجبار الصينيين على أن يحكمهم اليابانيون والإمبرياليون الآخرون. وهم يشكلون فصيلا مستعدا للاستسلام. **ثانيا**، كان هناك ميل لدى بعض فروع الحزب الشيوعي الصيني إلى الاعتقاد بأنه، بمجرد إنشاء الجبهة المتحدة ، سيكون هناك انتصار سريع على اليابانيين. لقد بالغ هؤلاء الرفاق في تقدير قوة الجبهة المتحدة ولم يروا الجانب الرجعي في زمرة تشيانغ كاي شيك. ومن أجل تصحيح هذه النظريات الخاطئة والتأكيد على المسار الصحيح للحرب، كتب ماو في ماي عام 1938 كتابه حول *الحرب الشعبية طويلة الأمد* الذي أكد أن الحرب ستنتهي أخيراً بنصر ولكن هذا الانتصار لن يكون سريعاً. كما أنه، في هذا العمل كما في غيره، وصف المبادئ العسكرية للحرب.

وقد كتب ماو أيضا العديد من الأعمال الفلسفية للمساعدة على تعليم كوادر الحزب والقضاء على الآثار الضارة للخطوط السابقة من اليمين و "اليسار". على أساس هذه الكتابات، بين 1941 و 1944، عقدت حملة تصحيح طويلة لمحاربة الأخطاء الرئيسية في الحزب. أضيف هذا إلى مناقشات معمقة لدراسة تاريخ الحزب. ساهم زو أون لاي بشكل خاص في هذه العملية، إذ كان رفيقا من الصف طوال هذه الفترة. وأدى ذلك في النهاية إلى رفض تام وكامل للخطوط الخاطئة السابقة. وتم تبني " *قرار بشأن بعض القضايا في مسار تاريخ حزبنا*" في الجلسة العامة للجنة المركزية للحزب في أبريل 1945.

قاد الحزب الشيوعي الصيني الصين إلى النصر، مسلحة بخط وتكتيكات صحيحة، أولاً في حرب المقاومة ضد اليابان، ثم ضد الرجعيين بقيادة شيانغ كاي شيك. ومن قوة قتالية قوامها أكثر من

الدراما في أكاديمية الفنون والمشاركة في فرق الدعاية التي كانت في اتصال مع الفلاحين. التقى بها ماو، الذي كان مهتماً جداً بالفن والأدب ، أثناء عمله. ثم وقعا في الحب وقررا الزواج.

مرحلة حرب المقاومة ضد اليابان:

مباشرة بعد الانتهاء من المسيرة الطويلة، ركز ماو على تبني وتطبيق توجه تكتيكي جديد لإنهاء الحرب الأهلية وتوحيد أقصى القوى في حرب المقاومة ضد اليابان. كانت تكتيكاته ضد الإمبريالية اليابانية تطويراً عظيما للتكتيكات الماركسية اللينينية حول الجبهة المتحدة. وقد ظهر هذا لاحقاً في تقريره الصادر في مايو عام 1937 عن *مهام الحزب الشيوعي الصيني في فترة المقاومة في اليابان*. بعد تقديم جرد متألق عن مرحلة تطور تناقضات الداخلية والخارجية في الصين ، أوضح ماو أن التغيير في التناقض الرئيسي كان بسبب عدوان اليابان، ونتيجة لذلك، وجب إحداث تغير في تكتيكات الجبهة المتحدة للتعامل مع الوضع الجديد. دعا إلى تشكيل جبهة متحدة مع كيومينتانغ لمطاردة المعتدين اليابانيين. غير أن، تشيانغ كاي شيك لم يوافق على الدخول في جبهة متحدة إلى أن اضطر إلى القيام بذلك نتيجة للدعاية التي كان يمارسها الحزب الشيوعي الصيني ونتيجة لضغط بعض الفصائل في حزبه. وافق أخيرًا، عندما ألقي عليه القبض في ديسمبر سنة 1936 من قبل اثنين من جنرالاته الذين أصرا على بناء جبهة متحدة مع الحزب الشيوعي الصيني. فتم إنشاء الجبهة المتحدة المناهضة لليابان في أغسطس عام 1937.

خلال فترة حرب المقاومة، ناضل ماو مرة أخرى ضد الميول الخاطئة، على الرغم من أنها فشلت في النمو بما فيه الكفاية للسيطرة على قيادة الحزب ونضاله. **الأولى** كانت نزعة تشاؤمية

المسيرة الطويلة شمالا قصد تنسيق أفضل للحركة المعادية لليابان، التي كانت تتزايد باطراد منذ الاحتلال الياباني والهجوم في شمال شرق الصين في عام 1931. على الصعيد الوطني.

خلال فترة المسيرة الطويلة، بالإضافة إلى الهجمات المتكررة من قبل قوات قومندانغ، واجه الحزب خط التصفية والخضوع لأمراء الحرب بزعامة تشانغ قوتاو. هاجم مؤتَمَرا اللجنة المركزية خلال فترة المسيرة الطويلة طرح تشانغ غواتو بالانسحاب إلى المناطق التي تتواجد فيها نسبة كبيرة من الأقليات القومية في شينجيانغ والتبت. ورغم ذلك، استمر في رفض الانضباط لقرار الحزب وحاول تشكيل حزب مركزي جديد. قاد جزءً من الجيش الأحمر في اتجاه مختلف حيث تمت خلاله مهاجمتهم وسحقهم من قبل قوات الكومينتانغ. سيتحول تشانغ نفسه إلى خائن وينضم إلى حزب الكومينتانغ. وصلت القوة الرئيسية للجيش الأحمر إلى وجهتها في مقاطعة شانشي في شمال الصين في أكتوبر 1935، بعد عام من بدء المسيرة الطويلة. كان الجيش الأحمر، الذي كان يتشكل من حوالي 300،000 جندي قبل بدء حملة التطويق الخامسة، قد تقلص إلى ما يزيد قليلاً عن عشرين ألف رجل. وهي النواة التي أقامت منطقة شانشي-قانسو- نينغهشيا (على حدود هذه المقاطعات الشمالية الثلاث في الصين). ما أصبح يعرف باسم يانان، اسم عاصمتها. وهي القاعدة التي قاد ماو منها الحزب والجيش الأحمر إلى النصر في عام 1945 في الحرب ضد اليابان.

خلال هذه الفترة، انفصل ماو وزهتشن عام 1938. وفي أبريل من سنة 1939، تزوج جيانج تشينغ. وجيانغ تشينغ هو اسم حركي لآن بينغ، الممثلة المسرحية والسينمائية، التي انضمت للحزب في عام 1933 وانتقلت إلى ينان في عام 1937 لتدريس

من الأخطاء. تسببت بدورها في خسائر فادحة. خلال هذه الفترة ، كان هجومهم الرئيسي موجها ضد ماو، الذي كان يمثل ما كانوا يعتبرونه انتهازية يمينية، والخطر الرئيسي داخل الحزب. خط ماو الصحيح كان يسمى "خط الفلاحين الأغنياء". استخدمت طرق عصبية وطائفية من قبل قيادة خط "اليسار" لمهاجمة ليس فقط ماو، بل أيضا قادة خطوط "اليسار" السابقة، تلك من لي ليسان و كيو كيوباي . بينما كانت زمرة وانغ مينغ تتسبب في فوضى في الحزب، كان تشيانغ كاي تشيك ينظم حملات متكررة من التطويق والإبادة ضد المناطق الحمراء. وقد هُزمت الحملات الأربع الأولى بقيادة ماو وتأثير مبادئه الاستراتيجية قبل أن تتمكن القيادة "اليسارية" من السيطرة الكاملة على الحزب والجيش الأحمر في تلك المناطق. إذ أنه، ما أن استقر الحكام "اليساريين" في المناطق الحمراء، إلى أن أدت قيادتهم إلى ارتكاب أخطاء جسيمة وهزيمة للقوى الشيوعية في الحملة الخامسة لقوات غومندانغ. ومن أجل اختراق تطويق تشيانغ كاي شيك وتحقيق انتصارات جديدة، تقرر في أكتوبر 1934 إجراء تغيير استراتيجي في الجيش الأحمر من شأنه قلب أوضاع العالم كله، وهو تغيير معروف تحت اسم المسيرة الطويلة. كانت برفقة ماو زوجته الجديدة، هي زيزين، وهي كادر حزبي من أسرة فلاحية محلية في منطقة كيانجسي الحمراء. تزوجا سنة1931، بعد وفاة زوجة ماو السابقة، يانغ كايهيو. كان لديها طفلان تركاهما مع الفلاحين في المنطقة الحمراء من كيانغسي في بداية المسيرة الطويلة.

في خضم المسيرة الطويلة انعقد في الجلسة العامة للحزب الشيوعي الصيني بزيونيي، في يناير 1935، انتقلت قيادة الحزب إلى يد ماو وسياسته. شكل ذلك نقطة تحول بالنسبة المسيرة الطويلة وكذلك بالنسبة للثورة الصينية. ثم تقرر الاستمرار في

بقيادة الشيوعيين إلى قوات ماو. فوصل تعداد الجيش الأحمر إلى 60000 جندي، وبعد وقت وجيز، وصل إلى 1000.000 جندي.

ومع ذلك، بدأت الأفكار "اليسراوية" مرة أخرى في البروز بقوة، ومنذ عام 1930، استولت على قيادة الحزب. إذ ساد خطان "يسراويان" في الحزب، بزعامة لي لي سان في عام 1930 ووانغ مينغ في ما بين 1931 و1934 وتسببا في أضرار لا حصر لها. وضع لي لي سان، في يونيو 1930، خطة لتنظيم انتفاضات مسلحة في المدن الكبرى في البلاد وتركيز جميع وحدات الجيش الأحمر لمهاجمتها. أدت محاولة تنفيذ هذه الخطة بين يونيو وشتنبر 1930 إلى خسائر كبيرة بالإضافة إلى طلبات من الكوادر لتصحيحها. خلال هذه الفترة، في هذه الفترة قاد ماو هجومًا على تشانغشا لكنه انسحب لتجنب الخسائر الفادحة ضد القوات المتفوقة للإمبرياليين والكومنتانغ. وبعد التراجع، كان هناك قمع وحشي في تشانغشا حيث تم إعدام يانغ كايهوي، زوجة ماو، التي كانت تشتغل في العمل السري. ثم قدم لي لي سان نقدا ذاتيا خلال جلسة عامة عقدت في شتنبر 1930، واستقال من مناصب القيادة. وتم قبول ماو وزهو دي (قائد الجيش الأحمر) في المكتب السياسي الجديد.

إلا أن هذا المكتب السياسي قد تم تجاوزه من خلال جلسة عامة دعا إليها في يناير 1931 وانغ مينغ، أحد أعضاء مجموعة ثمانية وعشرين مما يسمى "البلاشفة" الذين عادوا بعد التكوين في روسيا. لم يدعوَّا كلا من ماو وزهو دي إلى هذه الجلسة، بل تم استبعادها عنها، بالإضافة إلى آخرين، من اللجنة المركزية. في أغسطس 1932، تمت إزاحة ماو أيضا من مناصبه كأمين للجنة الجبهة وكمفوض سياسي للجيش الأحمر. في ظل السيطرة التامة لعصبة وانغ مينغ على الحزب والجيش الاحمر، ارتُكِبت العديد

مثقف عاد بعد أن اتبع تكوينا في روسيا . لقد قام هذا الخط بتحليل خاطئ معتبرا أن الثورة الصينية كانت في "طفرة مستمرة"، وبالتالي دعا إلى انتفاضات مسلحة في العديد من المدن. وانتقدت القيادة ماو لكونه دافع عن انتفاضة الفلاحين وساهم في قيادتها، وكذا لمعارضته للانتفاضات في المدن الكبرى. فتمت إزاحته مرة أخرى من مناصبه. وقد أطيح به أيضا من لجنة مقاطعة خونان. تسبب الخط "اليسراوي" في خسائر فادحة قبل أن يتم التخلي عنه في أبريل 1928.

وقد قام المؤتمر السادس للحزب الشيوعى الصينى الذى انعقد فى موسكو، فى يونيو من سنة ،1928 بتصحيح هذا الخط "اليسراوي" الاول، واتخذ خطا صحيحا، نابذا كلا من وجهات النظر اليمينية واليسراوية. وعلى الرغم من أن ماو لم يحضر المؤتمر، فقد تبنى القرار المتخذ بشأن العديد من النقاط. كما تم انتخابه مرة أخرى إلى اللجنة المركزية، في غيابه. من خلال تنفيذ هذا التصور، وبتقوية الجيش الأحمر بعد فشل الحملة الشمالية والانتفاضات في المدن، قدم ماو مساهمته الإضافية في تطوير النظرية الماركسية اللينينية. ثم كتب *لماذا ينبغي أن تبقى السلطة الحمراء في الصين؟* في أكتوبر 1928، *والنضال في جبال جينغكانغ* في نوفمبر 1928. قدمت هذه الأعمال التاريخية الأساس النظري للعملية التاريخية لبناء وتطوير الجيش الأحمر التي كانت تجري آنذاك. قام ماو، بعد فشل انتفاضة الفلاحين في سنة 1927، بإنشاء أول قاعدة في جبال شينغكانغ في أكتوبر 1927، بواسطة مجموعة صغيرة من المقاتلين عمال وفلاحين. وخلال الفترة من 1927 إلى في أوائل سنة 1930، ازداد تدريجيا عدد المناطق التي اندلعت فيها انتفاضات فلاحية مسلحة وقواعد ريفية ثورية. وانضمت العديد من الجماعات المقاتلة

بعد إحرازها على انتصارات مهمة، قامت العصبة البرجوازية بزعامة تشيانغ كاي تشيك (الزعيم الرئيسي في غومندانغ بعد وفاة صن يات سين في عام 1925) بكسر الجبهة المتحدة. وفي أبريل 1927، ارتكبت مجازر، بدعم من الإمبرياليين، ضد الكوادر الشيوعية في أجزاء مختلفة من البلاد. كان الانتهازي اليميني تشن دوشيو، على رأس الحزب الشيوعي الصيني، وبدلا من حشد العمال والفلاحين ضد الرجعيين من حزب الكومينتانغ، استسلم لهم. وفي يوليو 1927، ارتكبت زمرة أخرى من حزب الكومينتانغ مذابح ضد الشيوعيين. وهذا ما أدى إلى تفكك الجبهة المتحدة وهزيمة الحرب الأهلية الثورية الأولى.

كان الخط اليميني لتشن دوكسيو، والذي كان مسيطرا طيلة الحرب الأهلية الثورية الأولى، أحد الأسباب الرئيسية لفشل الثورة خلال هذه الفترة. على الرغم من أن ماو ناضل ضد هذا الجناح اليميني، إلا أنه لم يستطع كسب تأييد الأغلبية في الحزب. أكثر من ذلك، بلغ الحد بأن تمكن تشن من إزاحة ماو من اللجنة المركزية، خلال المؤتمر الوطني الخامس الذي عقد خلال هذه الفترة في أبريل 1927.

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية:

في غشت/أغسطس من عام 1927، في بداية الفترة الموالية - فترة الحرب الأهلية الثورية الثانية - تمت إزاحة تشن دوكسيو من منصبه كأمين عام بعد انتقادات حادة للانتهازية اليمينية. تم إرجاع ماو إلى اللجنة المركزية وأصبح عضوا بديلا في المكتب السياسي المؤقت الذي تم تشكيله. غير أن، النقد الصحيح للخط اليميني أسفر في نوفمبر 1927 إلى سيطرة على خط "يسراوي" داخل اللجنة المركزية، بزعامة كيو كيوباي Qu Qiubai، رفيق

هذه الأعمال، حاول الإجابة على الأسئلة الأساسية الأكثر أهمية للثورة الصينية. من هم أصدقاء وأعداء الثورة، ما هي قيادتها الرئيسية ومن هم حلفاؤها الموثوقون والمترددون؟ لقد دعم كون البروليتاريا وليست البرجوازية هي التي ستقود الثورة. إلا أن، البروليتاريا لا يمكنها أن تنتصر في القتال لوحدها. وهنا شدد على أهمية دور الفلاحين، الذين يشكلون أقرب وأكثر حلفاء البروليتاريا عددا. كما أشار إلى أن البرجوازية الوطنية تشكل حليفاً متردداً، ويمكن أن يصبح جناحه اليميني عدواً بينما يبقى جناحه اليساري صديقاً للثورة. كما قدم ماو أفكاره حول كيفية تنظيم الجماهير وإقامة حكومة ثورية وتنظيم القوات المسلحة الفلاحية. كانت رؤية ماو واضحة للاتجاه الذي ينبغي أن تأخذه القوى الثورية.

حصل ذلك في خضم الحملة الشمالية، التي كانت إحدى الأجزاء الأساسية من المرحلة الأولى من الثورة الصينية - الحرب الأهلية الثورية الأولى. كانت الحملة الشمالية عبارة عن مسيرة للجيش الثوري بقيادة الجبهة المتحدة الثورية الوطنية (الجبهة المتحدة الأولى لحزب الكومينتانغ - الحزب الشيوعي الصيني). التي بدأت من يوليوز 1926 في غواندونغ في جنوب الصين، وكان هدفها تحطيم السلطة الرجعية لأمراء الحرب الشماليين في حرب ثورية والحصول على استقلال ووحدة الصين. عرفت الحملة الشمالية في البداية نجاحا كبيرا في كل جنوب الصين حيث هُزم أمراء الحرب أو تحالفوا. تحت تأثير الحملة الاستكشافية الشمالية، كان هناك اندلاع ثوري وسط الفلاحين. نظمت البروليتاريا العديد من الإنتفاضات المسلحة في المدن لتتزامن مع تقدم الجيش الثوري. حتى شنغهاي، أكبر مدينة صناعية وتجارية في الصين، تم تحريرها في مارس 1927 بعد ثلاث محاولات تمرد مسلح من قبل العمال.

الفصل الخامس والعشرون: نضال ماو ضد الخطوط اليمينية و"اليسارية" وانتصار الثورة الصينية

الحرب الأهلية الثورية الأولى: ابتداءً من 1924 إلى أوائل سنة 1926، تقدمت الثورة الصينية بسرعة مع البروليتاريا والفلاحين في هيجان. وفي سنة 1925، تحولت المظاهرة ضد مذبحة 30 ماي، من قبل الشرطة البريطانية في شنغهاي، إلى حركة شعبية معادية للإمبريالية تشمل جميع قطاعات الجماهير من جميع أنحاء البلاد. كانت الصين على شفا معركة حاسمة بين الثورة والثورة المضادة

غير أن، انحرافين نخرا الحزب الشيوعي الصيني. كانت الزمرة المسيطرة يتزعمها الانتهازيون اليمينيون برئاسة الأمين العام للحزب آنذاك تشن دوشيو. لقد اتخذ موقفًا حول كون الثورة الديمقراطية البرجوازية ينبغي أن تقودها البورجوازية وأن هدف الثورة هو تشكيل جمهورية برجوازية. ووفقاً لخطه، كانت البرجوازية هي القوة الديمقراطية الوحيدة التي على الطبقة العاملة أن تتحد معها. لم يكن يرى أية إمكانية لبناء تحالف مع الفلاحين. من ناحية أخرى، مُثِّل الانتهازيون "اليساريون" من قبل زانغ غيوتاو Zhang Guotao، رئيس الاتحاد الصيني للعمل. الذي لم يكن يرى سوى الطبقة العاملة. لذلك أعلن أن الطبقة العاملة قوية بما يكفي للقيام الثورة وحدها. وبذلك، تجاهلت زمرته الفلاحين.

في النضال ضد هذين الإنحرافين، قدم ماو مساهماته الرئيسية الأولى في تطوير النظرية الماركسية. في مارس 1926، قدم تحليله الطبقي الشهير للمجتمع الصيني، وفي مارس 1927 أصدر تقريرا عن *تحقيقات حول حركة الفلاحين في خونان*. في

بزعامة صن يات سين. وأمر أعضاء الحزب الشيوعي بالانضمام إلى حزب الكيومنتانغ بشكل فردي. قام ماو بذلك وانتخب عضوًا بديلًا في اللجنة التنفيذية المركزية للكيومنتانغ في المؤتمر الوطني الأول والثاني الذين عقدان على التوالي في سنتي 1924 و 1926. واشتغل كرئيس لدائرة الدعاية المركزية في الكيومنتانغ ، وحرر الأسبوع السياسي ثم قاد الصف السادس في معهد حركة الفلاحين.

المنظمات الثورية القائمة، بالإضافة إلى العمال المتقدمين الذين تم استقطابهم من خلال توسيع الحركة العمالية المنظمة. أصدر مجلتان شهريتان لرفع المستوى الأيديولوجي والسياسي لأعضاء الحزب وأعضاء رابطة الشباب ومساعدتهم على مواصلة التعليم الشيوعي بين الجماهير.

خلال هذه الفترة حتى عام 1923، ركز ماو بشكل كبير على تنظيم العمال في تشانغشا، ومنجم أنيوان (في مقاطعة كيانجسي المجاورة) وفي منجم الرصاص الرئيسي في شيوكوشان Shuikoushan. وفي غشت/أغسطس 1921، أنشأ أول اتحاد شيوعي. وفي سنة 1922، قام بتشكيل فرع لخونان لاتحاد العمال الصيني، وتم تعيينه رئيسا له. كانت الحركة والتنظيم في منجم أنيوان على وجه الخصوص مثالاً ممتازًا على التنظيم الشيوعي. نظم الحزب بداية المدارس في أوقات فراغ عمال الفحم لإنجاز تعليمهم الماركسي. ثم قام بتنظيم نقابة. وفي الوقت نفسه، تم تشكيل فرع من عصبة الشبيبة الاشتراكية من بين العمال الذين تم دمج أفضلهم كأعضاء في الحزب لاحقا. عرف منجم أنيوان إضرابات كبيرة كانت لها تداعيات في جميع أنحاء البلاد. كانت هناك منظمة قوية تبَقّت من فترات القمع. قدم العمال دعمًا ومشاركة قيّمين في مختلف مراحل الحرب الثورية. كانت أنيوان مركز الربط لأول قاعدة إقليمية شيوعية في جبال تشينغكانغ.

لم يشارك ماو في المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي الصيني، الذي عقد في يوليو 1922، بسبب ضعف التواصل. وشارك في المؤتمر الوطني الثالث للحزب الشيوعي الصيني، الذي عقد في يونيو 1923، والذي تم خلاله إنتخابه للجنة المركزية. قرر هذا المؤتمر تعزيز جبهة وطنية مناهضة للإمبريالية ومكافحة الإقطاعية بالتعاون مع حزب الكيومنتانغ

عندما عاد ماو إلى خونان في يوليوز 1920، بدأ يعمل على إنشاء مجموعة شيوعية مشابهة. توفي والده في بداية العام، لذلك استقر ماو في البداية في شاوشان. كان شقيقاه وشقيقته المتبناة من بين أول من قام بتجنديهم. ثم عاد إلى تشانغشا حيث واصل التجنيد. هناك، شغل منصب مدير مدرسة ابتدائية ودرّس فصلا دراسيا في المدرسة العادية، حيث حصل لأول مرة على راتب مريح.

في نهاية عام 1920، تزوج ماو من يانغ كايهوي وعاشا معا لمدة عام ونصف بينما كان ماو في تشانغشا كمدير للمدرسة الابتدائية. كانا يعتبران زوجين مثاليين لأن يانغ كانت أيضا منخرطة في العمل الحزبي الذي أصبحت عضوا فيه في عام 1922. ولديهما ولدان، توفي أحدهما عام 1950 كمتطوع في الحرب الكورية ضد الإمبريالية الأمريكية. في حين أصبح الآخر محاسبًا. تم القبض على يانغ، التى كانت تمارس عملا سريا للحزب، سنة 1930 وتم إعدامها.

على الرغم من أن ماو شارك في تحركات مختلفة خلال هذه الفترة، إلا أن مركز عمله الرئيسي هو تشكيل وبناء الحزب الشيوعي الصيني. بعد تشكيل مجموعة شيوعية في خونان، انتقل ماو إلى شنغهاي لحضور المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي المنعقد سرا في يوليوز 1921. وكان واحدا من اثني عشر مندوبا الذين لم يكونوا يمثلون آنذاك سوى 57 عضوا في الحزب.

بعد المؤتمر، أصبح ماو الأمين الإقليمي للحزب في مقاطعة خونان. من البداية، أولى اهتمامًا خاصًا لبناء الحزب في خونان على أساس مبادئ الحزب اللينيني. إذ قام بتجنيد الشباب من

فقد خصص كل وقت فراغه لتنظيم التحركات ونشر الماركسية. وشجع على دراسة الماركسية في التجمع الجديد لدراسة الشعب والجمعيات الطلابية الأخرى التي كان على اتصال بها. في الوقت نفسه، قام بتأسيس جمعية طلاب خونان المتحدة والتي شملت أيضًا التلاميذ الصغار والطالبات. من خلال جمع كل الأقسام، نظم ماو حركة للاستيلاء على المنتجات اليابانية وحرقها. أصدر مجلة أسبوعية، وهي مجلة نهر شيانغ ، والتي سرعان ما كان لها تأثير كبير على حركة الطلاب في جنوب الصين. عندما تم حظر الأسبوعية في أكتوبر 1919، واصل ماو الكتابة في صحف أخرى. سرعان ما حصل على وظيفة كمراسل لصحف مختلفة في خونان واستقر في المدن الكبرى مثل ووهان وبكين وشنغهاي لكسب الدعم لحركة خونان.

بالإضافة إلى ذلك، عندما عاد إلى بكين في فبراير 1920، سرعان ما شارك في مشاريع بناء الحزب الشيوعي الصيني. أجرى ناقشات مع لي دازهاو وغيره من المثقفين. طاف على المصانع وخطوط السكك الحديدية وناقش الماركسية مع العمال. درس كذلك أعمال ماركس وإنجلز وغيرهم من الاشتراكيين. كما تمكن من لقاء يانغ كايهوي مرة أخرى، التي درست الماركسية. وناقشا تفانيهما تجاه بعضهم البعض وتجاه الثورة. ثم قررا إقامة الخطوبة.

بعد بكين، أمضى ماو أربعة أشهر في شنغهاي، أكبر مدينة في الصين وأكبر مركز صناعي وتجاري. هناك، ناقش مع تشن دوشيو وغيره من الماركسيين في شنغهاي. ولتلبية احتياجاته، اشتغل في عمل يدوي، حيث عمل لمدة 12 ساعة في اليوم في غسيل الملابس. خلال هذه الفترة، في ماي 1920، تم إنشاء أول مجموعة شيوعية صينية في شنغهاي.

على هذا العمل من قبل لي دازاو Li Dazhao ، وهو أكاديمي وأمين مكتبة، وكان أول مفكر صيني يثني على الثورة الروسية وأول من أدخل الفكر الماركسي إلى الصين. مع لي دازاو، سرعان تحول ماو إلى الماركسية. بدأ يقرأ أعمال لينين التي ترجمت إلى اللغة الصينية. في أواخر سنة 1918، التحق بمجموعة الدراسات الماركسية التي شكلها لي، كما التقى بالعديد من المفكرين والماركسيين. كان أكثرهم تأثيراً عليه هو تشن دوكسيو، الذي أصبح فيما بعد أول أمين للجنة الحزب الشيوعي الصيني. كان تشن آنذاك رئيس تحرير المجلة الراديكالية "نوفيل يونيز" ، وهي مجلة كان قد كتب ماو فيها بالفعل وكان لها تأثير عليه.

لم يقض ماو سوى ستة أشهر في بكين. خلال هذه الفترة، وقع في حب يانغ كايهوي، ابنة أحد هؤلاء المحاضرين من جامعة تشانغشا، الذي كان آنذاك أستاذًا في جامعة بكين. كانت حينها طالبة وكانت تتابع دراسة الصحافة في الجامعة. بالنسبة لكليهما، كان هذا هو الحب الأول. كان حبهما من النوع الذي كان يسمى آنذاك "الحب الجديد"، حيث الشريكان يتخذان خيار السير ضد النظام التقليدي للزواج المدبر. ظل حبهما، لفترة، سرا. لم يكونا يعرفان ما إذا كان سيكون لديهما وقت للحب بينما البلاد في حاجة ماسة إليهما. ثم قررا الانتظار قليلاً قبل اتخاذ قرار نهائي. وفي أبريل 1919، عاد ماو إلى تشانغشا قبل اندلاع حركة 4 ماي 1919 التاريخية، هذه الحركة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية التي هزت الصين بأكملها. على الرغم من أنها أُطلِقت بداية من قبل الطلاب، إلا أنها سرعان ما التحقت بها قطاعات واسعة من العمال، التجار، والحرفيين، الخ. انخرط ماو على الفور في الاضطرابات السياسية. لدى وصوله، أخذ على الفور وظيفة منخفضة الأجر كمدرس في مدرسة ابتدائية. وبالرغم من ذلك،

بين الطلاب والشباب وشجع ممارساتها. وقد حافظ هو نفسه على حالة جسدية سليمة - مثل أخذ حمامات باردة على مدار السنة، والسباحة في الماء البارد، والمشي لمسافات طويلة في التلال بأقدام وصدر عاريين. وهكذا في سنة 1917، بدأ مدرسة مسائية حيث كان هو وطلاب ومعلمين آخرين يقومون بتعليم عمال مصانع تشانغشا مجانا.

في عام 1918، افتتح ماو "المجتمع الجديد لدراسة الشعب"، الذي تكهن له وخطط له منذ نحو عام. كان واحدًا من العديد من مجموعات الطلاب، لكنه ستتحول إلى شيء آخر: نواة حزب سياسي. منذ البداية، أصر على النشاط العملي إلى جانب المناقشات. لن يكون الأمر متعلقًا بالحديث عن الثورة فحسب، بل بممارستها، أولاً عن طريق تثوير أعضائها، وتحويلهم إلى "أناس جدد". من خلال وجود عضوات تمت مناقشة قضايا أخرى كاضطهاد المرأة في نظام الزواج التقليدي. جرت أنشطتها وفقًا لبرنامج نقاش ودراسة وعمل اجتماعي. الأعمال الاجتماعية كانت تشمل مدارس مسائية للعمال، زيارات للمصانع، مظاهرات ضد الإمبريالية اليابانية، كتابة المقالات، النضال من أجل أفكار جديدة واستخدام اللغة العامية. وبعد ذلك بعام، سينضم كل الثلاثة عشر عضوا الأصليين في التجمع الى الحزب الشيوعي الصيني، الذي تأسس سنة 1921. وفي سنة 1919، كان هناك ثمانون عضوا، انضم من بينهم أكثر من أربعين إلى الحزب.

بعد تخرج ماو من المدرسة العادية في عام 1918، انتقل إلى تشانغشا حيث والدته التي جاءت قصد العلاج. غير أنها، لم تتمكن من الشفاء وتوفيت في أكتوبر 1918. وبعد وفاتها، انتقل ماو إلى بكين، عاصمة الصين، حيث أمضى ستة أشهر في وظيفة منخفضة الأجر كمساعد مكتبة في جامعة بكين. حصل

المحافظات أمراً شائعاً. كما كانت الفترة التي حاولت فيها اليابان، أن تستغل انخراط قوى إمبريالية أخرى في الحرب، للسيطرة الكاملة على الصين. ونتج عن ذلك معارضة قوية من قبل المثقفين الصينيين وأقسام ثورية.

خلال هذه السنوات بدأت أفكار ماو السياسية تتبلور. وفي عام 1915، أصبح أمينا لجمعية الطلاب في المدرسة العادية وأسس جمعية من أجل استقلالية الطلاب. وقد نظمت هذه المنظمة العديد من التحركات ضد السلطات الجامعية بشأن حقوق الطلاب. كما قاد ماو هذه المنظمة في احتجاجات في الشوارع ضد الحكم الياباني وعملائه الصينيين. لتصبح هذه المنظمة فيما بعد نواة منظمات الطلاب المستقبلية في مقاطعة خونان.

ومع تزايد هجمات زعماء الحرب، شكل الطلاب هيئات للدفاع الذاتي في عدة أماكن. وفي سنة 1917، أصبح ماو قائدا لكتيبة الجامعة. حصل على أسلحة من الشرطة المحلية وقاد الطلاب إلى هجمات حرب العصابات على مجموعات من أمراء الحرب لجمع المزيد من الأسلحة. باستخدام معرفته بتكتيكات حرب العصابات التي استخدمها المقاتلون السابقون في خونان وكذلك دراسة النظرية العسكرية، حول ماو كتيبة الجامعة إلى قوة مقاتلة فعالة. كان ماو أيضا شديد الاهتمام بجميع الحملات العسكرية الرئيسية في الحرب العالمية الأولى الجارية آنذاك. وألقى محاضرات وكتب مقالات عن الاستراتيجية والتكتيكات.

كما شارك ماو في العديد من الأنشطة الأخرى. إذ حارب ضد الأمراض الاجتماعية مثل الأفيون والبغاء. وناضل ضد اضطهاد المرأة وحاول ضمان مشاركة قصوى للمرأة في الحركة الطلابية. وقد كتب عن السباحة والرياضة والتربية البدنية المقوية

لكن الثورة سرعان ما تعرضت للخيانة وسقطت في أيدي الثورة المضادة. وبعد خمسة أشهر، استقال ماو من الجيش للعودة إلى تشانغشا.

لدى عودته، كان ماو يبحث عن ما العمل؟ وما هو الاتجاه الذي يجب أن يتخذه في حياته؟. عن طريق الإطلاع على إعلانات الصحف، التحق بعدد من الدورات الدراسية في عدة مدارس ما بين مدرسة للصابون ومدرسة للشرطة ومدرسة للحقوق ومدرسة للتجارة.

وفي النهاية قرر اجتياز امتحان القبول في مدرسة الإقليمية الأولى في تشانغشا وجاء في الرتبة الأولى. بعد ستة أشهر، ترك المدرسة ونظم برنامجا دراسيا خاص به، والذي يتمثل في القراءة اليومية في مكتبة مقاطعة خونان. لمدة ستة أشهر، أمضى جميع أيامه من الصباح حتى المساء في المكتبة مكتفيا بقطعتين من كعك الأرز. وشملت فترة القراءة المكثفة هذه مجموعة واسعة من الموضوعات الاجتماعية والعلمية لمؤلفين غربيين وصينيين. وهذا ما شكل أسس تعليم ماو. غير أن هذه الأشهر الستة من الدراسات، عرضت ماو للإفلاس التام. ورفض والده، الذي لم يفهم رغبة ابنه في مواصلة القراءة بشكل مستقل عن التعليم الرسمي، دعمه ما لم ينضم إلى مدرسة.

وهكذا، انضم ماو، سنة 1913، إلى المدرسة الأولى العادية لخونان التي كانت جامعة للمدرسين. وظل هناك لمدة خمس سنوات من عام 1913 إلى عام 1918. وقد تسبب انهيار الحكومة المركزية الصينية واندلاع الحرب العالمية الأولى في خلق ظروف من الاضطراب الشديد في جميع أنحاء الصين والعالم. ففي الصين، أصبحت الحروب بين أمراء الحرب في

في أثناء ذلك، كان المناخ الثوري يتطور بسرعة في الأنحاء. حيث حصل تمردان خلال هذه الفترة، كان لهما تأثير دائم على ماو. الأول كان ثورة خونان في عام 1906 بقيادة ثوار حزب صن يات سين القومي. والثاني هو تمرد ضد ملاك عقاري بقيادة مجموعة من الفلاحين من شاوشان. كلاهما سحقا وقطعت رؤوس زعمائهما. تأثر ماو بشدة بالظلم وكان يريد أن يقوم بشيء راديكالي للبلاد وشعبها. غير أنه كان ينبغي أن يواصل تعليمه. وتم أخيرا، إرساله إلى مدرسة ابتدائية، في سنة 1910، في المقاطعة التي تنحدر منها والدته، شيانغشيانغ.

كان جميع طلاب هذه المدرسة ينحدرون من عائلات الملاكين العقاريين أو الأثرياء، وكانوا في البداية يعاملون ماو باحتقار. غير أنه، سرعان ما تجاوز ماو جميع الطلاب الآخرين من خلال ذكائه وعمله الجاد. إذ كان يظل لساعات طوال في الفصل بعد أن مغادرة الجميع. وكان مدرسوه منبهرون جدا بقدراته. فبعد بضعة أشهر، كان ماو حريصًا على الانتقال إلى مستوى أعلى. وبعد عام، اجتاز بسهولة امتحانات القبول الجامعي التي كان تتم في تشانغشا، عاصمة مقاطعة خونان. وفي سبتمبر 1911، سافر ماو لمسافة 64 كيلومترا إلى تشانغشا. كان ماو، آنذاك وهو في الثامنة عشرة من سنه تقريباً، يرى مدينة كبيرة لأول مرة.

كانت مدينة تشانغشا، مدينة الجامعيين، في حالة اضطراب عندما وصل إليها ماو. إذ تم تشكيل جمعيات ثورية تحت أسماء مختلفة من قبل المعلمين والطلاب. كان الأدب السري متداولا وكان من المتوقع حدوث انفجار في أي وقت. كان ماو، الذي اعتنق بالفعل الفكر الراديكالي، حريصًا على المشاركة في الأحداث. وبعد شهر من وصوله، اندلعت الثورة البرجوازية عام 1911 تحت قيادة صن يات سن. قرر ماو على الفور الانضمام إلى الجيش الثوري.

ماو العمل في الحقول في سن السادسة. تنحدر والدة ماو، ون كيمى، من منطقة شيانغشيانغ، على بعد 25 كم فقط من شاوشان. كان ماو الابن البكر. كان لديه أخوان أصغر منه وشقيقة متبناة. وكان الثلاثة أعضاء في أول فرع للفلاحين في الحزب الشيوعي الذي شكله ماو. كلهم استشهدوا في سبيل الثورة.

كان ماو متمرداً منذ سن مبكرة. كان يدعو والده "السلطة القائمة". وكان غالبا ما ينضم إلى والدته وأخيه والعمال ضد سلطة والده. في المدرسة، كان يعارض العادات القديمة. في إحدى المرات، كشكل للاحتجاج ضد مدرسه، في سن السابعة، اختفى لمدة ثلاثة أيام وبقي في الجبال المحيطة بقريته. بعد هذا الاحتجاج - الذي سيطلق عليه ماو أول إضراب ناجح له - لم يعد يتعرض للضرب في المدرسة.

مدرسة ماو الأولى كانت هي المدرسة الابتدائية في القرية، التي انضم إليها في سن السابعة. بمجرد أن تعلم القراءة بشكل صحيح، اشتد شغفه بالقراءة. كان يفضل الكتب الرومانسية والمتمردة والمغامرة. في كثير من الأحيان يقرأ كل ليلة في ضوء مصباح الزيت. لم يكن والد ماو، الذي درس لفترة قصيرة جدا، مهتمًا باحتمال أن يكمل ماو دراسته لفترة أطول. إذ كان في حاجة إلى شخص للعمل في الحقول وإمساك حساباته. لذلك قام سنة 1906، بسحب ماو من مدرسة القرية.

ومع ذلك استمر ماو في تطوير اهتمامه بالقراءة وظل باستمرار يطالب بمتابعة الدراسة. لم يستوعب والده هذا الشغف واعتقد أن الحل لذلك هو الزواج. تم تزويج ماو من فتاة من نفس المنطقة، في سن الرابعة عشر. لكنه رفض الاعتراف بهذا الزواج.

الفصل الرابع والعشرون: شباب ماو

ولد ماو تسي تونغ في 26 دجنبر/ديسمبر 1893، في قرية شاوشان في وادي شيانغتان الخصيب بمقاطعة خونان الصينية. كانت المقاطعة التي ولد فيها ماو منطقة زراعية غنية. كانت أيضا منطقة استراتيجية مع جميع طرقها الرئيسية عن طريق البر أو النهر الذي يعبر مقاطعة خونان. نظرا كونه على مفترق طرق التجارة، عرف شعب خونان بالفلاحين التجار. في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أصبحت خونان أيضًا مركزًا فكريًا ومركزًا للثورة والتمرد، منتجة لأفضل علماء عموم الصين. شهدت خونان ولادة الجنرالات العسكريين الذين ساعدوا الأباطرة الصينيين ولكن أيضا الثوار الذين هزموا حكمهم. شكلت أيضا أحد المراكز الرئيسية لأكبر ثورة للفلاحين في القرن التاسع عشر - انتفاضة الفلاحين الكبيرة في تايبينغ. قدمت خونان مئات الآلاف من المقاتلين للتمرد الذي استمر 14 عاما، من 1850 إلى 1864. وكان هذا الدعم الواسع لثورة الفلاحين بسبب فقرهم الشديد الناتج عن الاستغلال من جانب ملاك الأراضي والضرائب المفرطة. وعلى الرغم من سحق الانتفاضة بوحشية، بقيت ذكرى الإنتفاضة قوية في القرى حيث قضى ماو طفولته وشبابه.

والد ماو، ماو ييتشانغ، ولد مزارعًا فقيرًا وأُجبر على أن يصبح جنديًا لمدة سبع سنوات لسداد ديون والده. وبعد ذلك، كنتيجة لعمل لشاق ولادخار حذر، تمكن من إعادة شراء أرضه. فأصبح فلاحا متوسطا وتاجرا صغيرا. إلا أن، مستوى معيشة الأسرة ظل ضعيفًا للغاية. إلى حدود سن السادسة عشرة، كان ماو يأكل بيضة واحدة فقط في الشهر ويتناول اللحم حوالي ثلاث أو أربع مرات في الشهر. وجَّه والد ماو أبناءه للعمل في وقت مبكر. حيث، بدأ

الأحزاب التي شكلتها، مثل الحزب الشيوعي الهندي. قضى الحزب الشيوعي الهندي (PCI) والحزب الشيوعي في بريطانيا معظم الوقت إبان الحرب في محاولة لزيادة الإنتاج. لقد كسرت العديد من هذه الأحزاب العديد من الإضرابات وتسببوا في نفور الطبقة العاملة. في حين انضم آخرون، مثل الحزب الشيوعي الفرنسي، إلى جبهة متحدة مع أحزاب الطبقة الحاكمة، ولم يحاولوا حتى الحفاظ على الفوارق الموجودة بين الشيوعيين والرجعيين في جبهة موحدة. أدى هذا النهج إلى أن تصبح هذه الأحزاب تبعية للطبقات الحاكمة في الجبهات المتحدة التي شاركت فيها. كما ساهمت في تطوير التوجهات اليمينية التي ستقود، فيما بعد، جميع هذه الأحزاب تقريبا نحو التحريفية.

بسبب عجزها عن النضال ضد هذه النزعات الرجعية، فقدت الأممية الثالثة أيضًا فعاليتها في تقديم المشورة لمختلف الأحزاب الأعضاء في ظل ظروف شديدة الإختلاف. وباستثناء النشر المنتظم لدورياتها، فإن نشاط الكومنترن قد تقلص إلى حد كبير منذ سنة 1940، وحتى أحداث مثل فاتح ماي أو الاحتفال بثورة أكتوبر قد تم التخلي عنها في الفترة ما بين ماي 1940 وماي 1942. وفي النهاية، تقرر حل الكومنترن. وبما أنه لم يكن بالإمكان عقد مؤتمر في ظل ظروف الحرب، فإن هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية بعثت بقرار يوصي بحل المنظمة الدولية لجميع الفروع. وبعد الحصول على موافقة من معظمها، وبالأخص الفروع الرئيسية ، تم حل الكومنترن في 10 يونيو 1943.

الأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم وفقا لتكتيك "تحويل الحرب إلى حرب أهلية" في العامين الأولين من الحرب. واستخدم الاتحاد السوفياتي هذه الفترة للقيام بكل الاستعدادات الممكنة للدفاع عن نفسه في حال قيام أي من الدول الإمبريالية بمهاجمته.

وقع هذا الهجوم في يونيو 1941، عندما أعلنت ألمانيا الحرب على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. ومع هذا العدوان، أُجبِر الجيش الأحمر على الرد وتغير طابع الحرب لتصبح حربا لمناهضة للفاشية. التكتيك الذي تصورته الأممية الثالثة كان قابلا للتطبيق. بعض الأحزاب الشيوعية، التي استخدمت التكتيكات الصحيحة واستفادت من الأزمات الثورية، أمكنها أن تكمل ثورتها. على وجه الخصوص، قاد الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي (CPSU) الجيش الأحمر والشعب السوفياتي بأكمله إلى نصر بطولي في الحرب. هزم الجيش الألماني القوي وانضم إلى الأحزاب الشيوعية والمقاتلين من أوروبا الشرقية لتحريرهم من الاحتلال الألماني. وهكذا ، وباستخدام هذه التكتيكات، لم تنجح البروليتاريا الأممية في حماية قاعدتها الاشتراكية فحسب، بل استطاعت في عام 1949 أن تكسر السلسلة الإمبريالية في العديد من الأماكن، وانفصلت عن النظام الإمبريالي العالمي ، وأن تبني معسكرا اشتراكيا يغطي ثلث البشرية. وهكذا، أثبتت الاستراتيجية والتكتيكات التي تتبعها الأممية الثالثة، خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، صحتها في الممارسة.

وبالرغم من ذلك، كانت هناك أيضا إخفاقات خطيرة. ويرجع ذلك أساسا إلى نقص التربية في الأممية الثالثة حول الطرح الصحيح في تجسيد هذه التكتيكات ولكن أيضا بسبب البقايا القوية للأممية الثانية ونهجها الإصلاحي في العديد من المناطق في أوربا وفي

كما طورت الأممية الثالثة تكتيكات مفصلة لمناهضة الفاشية وتفعيل الفهم المذكور أعلاه. ففي البلدان الرأسمالية، كان ينبغي تشكيل نوعين من الجبهات. أولا، جبهات العمال المناهضين للفاشية، التي كان ينبغي أن تتشكل مع الأحزاب الإشتراكية-الديمقراطية. ثم الجبهات الشعبية المناهضة للفاشية، التي كان من المقرر تشكيلها إذا لزم الأمر مع أحزاب أخرى مناهضة للفاشية إلى جانب الإشتراكيين-الديموقراطيين. في المستعمرات وشبه المستعمرات، كانت المهمة هي تشكيل جبهات معادية للإمبريالية، بما في ذلك إشراك البورجوازية الوطنية. الهدف النهائي للشيوعيين من المشاركة في كل هذه الجبهات هو تحقيق انتصار الثورة في بلدانهم والهزيمة الشاملة للرأسمالية.

في السنوات التي سبقت الحرب، حاولت معظم الأحزاب الشيوعية تنفيذ التكتيكات أعلاه. فتم تشكيل جبهات موحدة وتطورت الحركات في العديد من البلدان. غير أنه، في مختلف انتكاسات الوضع، وفي الظروف الملموسة لمختلف البلدان، لم تنجح بعض الأحزاب في تجسيد التكتيكات الصحيحة.

لقد لجأت الحكومة السوفييتية، في مواجهتها لأحد أخطر الأوضاع، إلى التكتيك الصحيح في الوضع الملموس للحرب العالمية الثانية. في سنوات ما قبل الحرب، بُذِلت كل المحاولات لبناء جبهة موحدة للحكومات غير الفاشية ضد مجموعة الدول الفاشية العدوانية. غير أنه، سرعان ما اتضح أن هذه الدول لم تكن مهتمة بجبهة موحدة، بل بذلت قصارى جهدها لاستخدام ألمانيا قصد سحق الاتحاد السوفياتي. من أجل التغلب على مثل هذه الاستراتيجية، أبرم ستالين معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا في غشت/أغسطس 1939، مما جعل الجزء الأول من الحرب أن يكون مجرد حرب بين القوى الإمبريالية. وهكذا اشتغلت

بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في انتهاج سياسة التسوية والتنازلات للمعتدين الفاشيين. وحاولت استخدامهم للقضاء على الجمهورية السوفياتية. في سياق هذه الخطة الخطيرة التي كان يقودها الإمبرياليون وجب على البروليتاريا الأممية يجب أن تتفاوض وأن تضع تكتيكاتها الخاصة موضع التنفيذ.

تكتيك البروليتاريا كان يعارض بشكل مباشر تكتيكات الإمبرياليين. كانت أهداف الطبقة العاملة الأممية هي الدفاع عن الاتحاد السوفييتي، وهزيمة الفاشية ومحرضي الحرب، وانتصار نضالات التحرر الوطني وإقامة السلطة السوفيتية في أكبر عدد ممكن من البلدان. لتحقيق هذه الأهداف، تبنت الأممية الثالثة تكتيكاتها وفقاً للمبادئ الماركسية لتكتيكات الحرب. وكما في الحرب العالمية الأولى، دعت الأممية الثالثة جميع الشيوعيين إلى محاولة منع اندلاع الحرب، وفي حالة اندلاعها، أعطت تعليمات لجميع الشيوعيين للعمل على تحويل الحرب من حرب ظالمة وإمبريالية إلى حرب أهلية تسمح بالثورة. إلا أن، الاختلاف الرئيسي عن وضع الحرب العالمية الأولى هو وجود قاعدة اشتراكية - الاتحاد السوفييتي. كان من واجب جميع الشيوعيين الدفاع عن هذه القاعدة الاشتراكية. وهكذا، في حالة ما إذا اضطر الجيش الأحمر الدخول في الحرب للدفاع عن الاتحاد السوفييتي، فإن طبيعة الحرب ستتغير. سوف تصبح حرباً عادلة للدفاع عن الاشتراكية، وستصبح مهمة كل الشيوعيين هي تعبئة العمال والجماهير العاملة في جميع البلدان لانتصار الجيش الأحمر على الإمبريالية. هكذا، تم تحديد الفهم الشيوعي للحرب ومهام الأحزاب الشيوعية في العالم بوضوح سنة 1935 ، قبل أربع سنوات من اندلاع الحرب.

أنظمة يمينية متطرفة أو فاشية. كانت إيطاليا أول من تحول إلى الفاشية. وانتقلت اليابان من نظام ليبرالي إلى نظام عسكري-وطني في 1930-1931. كما شهدت ألمانيا وصول النازيين إلى السلطة في عام 1933. في العديد من البلدان الإمبريالية الأخرى، كان هناك صعود لأحزاب اليمين المتطرف وتراجع للأحزاب الإصلاحية.

حلّلت الأممية الشيوعية نمو الفاشية هذا. وأبرزت أن ثلاثة عوامل في ظل وضع الحرب العالمية الأولى قد أثرت على الطبقات الإمبريالية وأدت إلى ظهور الفاشية. بداية، جعل نجاح ثورة أكتوبر وانتصار الاشتراكية، البرجوازية تخشى نجاحات البروليتاريا والثورة في بلدانها. ثانياً، واجهت البلدان الإمبريالية أخطر أزمة اقتصادية في تاريخ الرأسمالية. ثالثًا، جعل العاملان المشار إليهما الجماهير العاملة في العالم تميل إلى الثورة. كان رد الطبقات الحاكمة الإمبريالية على العوامل الثلاثة هو اللجوء إلى الفاشية. في المؤتمر السابع للكومنترن، الذي انعقد سنة 1935، تم تحليل الفاشية وخطر الحرب بالتفصيل. فتم تعريف الفاشية على أنها الدكتاتورية المفتوحة والإرهابية للعناصر الأكثر رجعية، الأكثر شوفينية والأكثر إمبريالية من الرأسمال المالي. وتم توضيح كيف خطط الإمبرياليون لمزيد من نهب الجماهير الكادحة.

وكانت القوى الإمبريالية تستعد لشن حرب إمبريالية عالمية جديدة، لمهاجمة الاتحاد السوفياتي، ولتقسيم الصين فيما بينها، ووقف تقدم الثورة. عندما بدأت الدول الإمبريالية الكبرى بإقامة حكومات فاشية، شنت حروبا محلية عدوانية لحرب عالمية جديدة من أجل إعادة تقسيم العالم. فبينما بدأت ألمانيا واليابان في مهاجمة وغزو أراضٍ جديدة، شرعت قوى إمبريالية أخرى مثل

الفصل الثالث والعشرون: التكتيكات خلال الحرب العالمية الثانية

خلال معظم الفترة بين الحربين، كان الاقتصاد الرأسمالي العالمي في حالة انهيار تام. نما الإنتاج الصناعي العالمي بوتيرة بطيئة للغاية وظلت التجارة العالمية راكدة. في الواقع، كان إجمالي التجارة العالمية في سنة 1948 (بعد ثلاث سنوات من نهاية الحرب العالمية الثانية) شبيها بالوضع في سنة 1913 (العام السابق للحرب العالمية الأولى). أسوأ فترة كانت هي ما كان يسمى بالكساد الكبير في ما بين 1929 و1933، الذي لم تشف منه الرأسمالية حقا، حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام 1939. لقد كانت أزمة أثرت على العالم بأسره تقريبا، من البلدان الأكثر صناعية إلى أكثرها تخلفا. انخفض الإنتاج الصناعي ووصل معدل البطالة إلى مستوى لم يسبق له مثيل. في ألمانيا، ما يقرب من نصف الطبقة العاملة ظلت عاطلة عن العمل. انخفضت الأسعار ، مما أثر على اقتصادات كل البلدان تقريبا.

ومع ازدياد الصعوبات الاقتصادية، أصبحت التناقضات تزداد حدة، والعديد من المشاكل الاجتماعية والسياسية تنتشر في العديد من البلدان. في أمريكا اللاتينية، كانت هناك محاولات للإطاحة بالحكومات في كل البلدان تقريبًا، وقد نجح العديد منها. كانت هناك أيضا عودة حركات للتحرر في العديد من البلدان، بما في ذلك الهند. وهكذا، في المستعمرات وشبه المستعمرات، كانت هناك نضالات وتحولت هذه الأخيرة إلى اليسار. أما في البلدان الإمبريالية، فقد حاولت الطبقات الحاكمة أن تتحكم في الآثار الاجتماعية لأزمتها. بعضها أدخلت برامج للحماية الاجتماعية لثني الجماهير عن النضال. غير أن معظم الطبقات الحاكمة كانت تلجأ إلى وسائل قمعية لقمع الساخطين. اعتمدت العديد من البلدان

السياسي، الذي عارض النضال ضد الكولاك والتقدم في عملية التجميع الزراعي . فتم دحض هذا الخط أيضا.

في ثلاثينيات القرن العشرين، لم تعد التروتسكية تشكل نزعة سياسية داخل الطبقة العاملة. تخلى تروتسكي عن محاولاته لنشر خطه المعادي للماركسية علانية، لكنه تحول إلى خطط سرية ومناورات. طور هو والقادة التروتسكيين في الاتحاد السوفييتي روابط مع أجهزة استخبارات أجنبية وبدؤوا العمل على خطط لاغتيال العناصر القيادية في الحزب لأخذ زمام القيادة.

وفي سياق هذه الخطة، اغتيل الرفيق كيروف، الذي كان في المرتبة الثانية في التسلسل الهرمي في قيادة الحزب بعد ستالين، في عام 1934. وخلال التحقيقات التي تلت ذلك، تم اكتشاف المتآمرين الرئيسيين، وكثير منهم أعضاء في اللجنة المركزية. أجريت محاكمات علنية واعترفوا بجرائمهم. وحُكم على العديد منهم بالإعدام وتم إعدامهم.

في سنة 1923، عندما اشتد المرض على لينين، استغل تروتسكي إبعاد لينين عن قيادة الحزب للمطالبة بسحب جميع قواعد المركزية الديمقراطية في الحزب. لقد وحد جميع عناصر المعارضة المختلفة والمتنوعة لصياغة إعلان 46، الذي طالب بحرية الفصائل والجماعات داخل الحزب الشيوعي. هذا الطلب الفصائلي تعرض أيضاً للدحض.

بينما، كان طلب تروتسكي تحت غطاء "الحرية" و "الديمقراطية" انتهازيًا تمامًا. إذ كان ينبني على مدى قدرته على اتخاذ القرارات أم لا. وهكذا، عندما كان في مركز صنع القرار في عام 1920، اقترح "عسكرة" النقابات وإخضاعها للإنضباط العسكري. وعارض توسيع الديمقراطية لتشمل النقابات وانتخاب الهيئات النقابية. ناضل لينين و ستالين و رفاق آخرون ضد هذا الطرح وأكدوا بأن النقابات العمالية يجب أن تبني جميع أنشطتها على أساليب الإقناع.

3) الخاصية الثالثة للتروتسكية هي دعايتها المتكررة ضد الزعماء البلشفيين. في البداية، ركز تروتسكي كل هجوماته على لينين. وبعد وفاته، أصبح ستالين موضوعًا لكل حملات التشهير.

وعندما لم ينجح تروتسكي في ضم الحزب إلى آرائه في نقاش مفتوح، فقد شرع في حبك مناورات سرية. في عام 1926، أنشأ فصيلا سريا ولجأ إلى صحافة غير شرعية ودعاية سرية. وعند اكتشاف ذلك تم في آخر المطاف طرده من الحزب. ثم انتقل إلى الخارج لكنه استمر في الحفاظ على صلات مع الفصائل الأخرى داخل الحزب. وفي سنة 1929، تم تشكيل مجموعة أخرى (المعارضة اليمينية) تحت قيادة بوخارين، العضو في المكتب

مثال آخر من هذه النظرية هو أن المعارضة التروتسكية ناضلت ضد إدخال السياسة الاقتصادية الجديدة. باعتبارها معاديا للتحالف مع الفلاحين، اعتبر تروتسكي أن السياسة الوطنية الجديدة ليست أكثر من تراجع. ولم يقبل بالحاجة للحفاظ على هذا التحالف ولإعداد الأرضية لبناء الاشتراكية. مرة أخرى، كان من المقرر خوض الصراع ضد هذا التفسير ودحضه في المؤتمر العاشر للحزب.

وكان التوضيح الثالث لهذه الخلافات أثناء الانتقال من السياسة الإقتصادية الجديدة إلى التصنيع الاشتراكي. في ذلك الوقت، انضم تروتسكي إلى عناصر أخرى لطرح استحالة بناء اشتراكية في بلد واحد. كان هذا الطرح، المستند إلى "الثورة الدائمة" لتروتسكي و "الثورة العالمية"، يعني مقاربة انهزامية وانتهازية تجاه بناء الاشتراكية التي من المفترض أن تبني نجاح الاشتراكية في روسيا على نجاح الثورة في الدول الرأسمالية المتقدمة. قام ستالين بتوحيد الحزب ضد هذا التفسير في المؤتمر الرابع عشر للحزب في سنة 1925.

2) السمة الثانية للتروتسكية هي معارضتها لمبادئ الحزب البلشفي. ظهرت معارضة تروتسكي للمركزية الديمقراطية ومفهوم الحزب اللينيني منذ البداية في دعمه للمناشفة خلال الانشقاق مع البلاشفة. ليقوم بعد ذلك، في سنة 1912، بتوحيد كل الاتجاهات الانتهازية مثل التصفويين و أوتزوفيتش لتشكيل تيار سمي "كتلة أغسطس". من خلال الادعاء بأنه "وسط" من شأنه أن يوحد البلاشفة والمناشفة، كان تروتسكي يؤيد بشكل كامل المناشفة ويعمل معهم. عارض وناضل لينين، بدعم من ستالين وآخرون ، ضد هذه الكتلة الانتهازية.

مساعدة الفلاحين. لذا فقد عارض أي نقاش حول ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين. ورفض دور الفلاحين، أقوى حليف للبروليتاريا. هذه النظرية، التي تبدو وكأنها غارقة في "اليسارية"، تعني، في الواقع، خيانة الثورة، لأنه بدون الفلاحين، لم يكن هناك أمل في نجاح البروليتاريا، وكانت الثورة ستفشل في نهاية المطاف. جانب آخر من هذه النظرية هو أن الثورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة كانت ضرورية لبناء الاشتراكية. كانت نظريته عن الثورة الدائمة أيضاً نظرية للثورة العالمية، إذ طرحت أنه على الرغم من أن الثورة بدأت على أساس وطني، ينبغي على الثوريين أن يعملوا على الفور لنشرها في بلدان أخرى. مرة أخرى، يبدو هذا الاقتراح "يساريا" للغاية، لكن معناه الحقيقي كان تحليلاً غاية في الإنهزامية إذ عارض إمكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد.

عارض لينين هذه النظرية المعادية للماركسية بمجرد ظهورها في الفترة التي أعقبت ثورة 1905، عندما لم يكن بعد تروتسكي جزءً من الاتجاه البلشفي. ومع ذلك، فقد برزت بطرق مختلفة وكان لا بد من خوض النضال ضدها في أوقات مختلفة بعد ثورة أكتوبر، عندما انضم تروتسكي إلى الحزب البلشفي وأصبح أحد أعضائه الرئيسيين.

كانت المرة الأولى بعد الثورة مباشرة خلال مفاوضات السلام مع ألمانيا. كان تروتسكي، على أساس نظريته، يريد أن تستمر الحرب لأنه كان يعتقد أنها ستساعد الوضع الثوري في ألمانيا وأن نجاح الثورة في ألمانيا، الدولة الرأسمالية المتقدمة، كان أكثر أهمية من توطيد الثورة الروسية. عارض لينين وستالين بشدة هذه الحجة، ولكن كان يجب الدعوة إلى المؤتمر السابع بشكل استثنائي لمناقشة ودحض هذا التفسير.

الفصل الثاني والعشرين: النضال ضد التروتسكية والميول الإنتهازية الأخرى

خلال الثورة الروسية وحتى بعد الاستيلاء على السلطة، كان لزاما على الخط البلشفي أن يناضل ضد مختلف الميول الانتهازية. كانت التروتسكية، التي سميت على اسم زعيمها ليون تروتسكي، إحدى أهم هذه الاتجاهات المناهضة للماركسية. كان تروتسكي عضواً في حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي لروسيا، الذين انحازوا إلى المناشفة في وقت الانقسام بين البلاشفة والمناشفة. بعدها، حاول تشكيل كتلة منفصلة عن تياري البلاشفة والمناشفة، وعرّف نفسه بأنه "وسطي" سيوحد المجموعتين. بعد نجاح ثورة فبراير، قام بنقد ذاتي لأخطائه وتم قبوله في الحزب البلشفي وشغل مقعده في اللجنة المركزية. وبعد ثورة أكتوبر، كان مفوّضًا أجنبيًا (1917-1918) ومفوضًا للشؤون العسكرية والبحرية والبريد (1918-1924)، وهو المنصب الذي تم القضاء عليه فيه بسبب أنشطته الانتهازية والفئوية.

خلال فترة بناء الاشتراكية على وجه الخصوص، لعبت التروتسكية دورا مزعجا وتكتليا. قاد ستالين الحزب في قتال حازم ضد الانتهازية التروتسكية.

الخصائص الثلاثة المحددة للتروتسكية، والتي وصفها ستالين في خطابه التروتسكية أو اللينينية؟ هي كالتالي:

1) نظرية الثورة الدائمة: وفقا لهذه النظرية، طرح تروتسكي ضرورة أن تتحرك البروليتاريا بسرعة من المرحلة الديمقراطية البرجوازية إلى المرحلة الاشتراكية للثورة بدون

التكيف مع تطور القوى المنتجة. في الأساس، ينبغي تحقيق انتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية العامة.

2) عدم إعطاء أهمية لخط الجماهير خلال بناء الاشتراكية. وأشار ماو إلى أنه في الفترة السابقة، تم تبني خط الجماهير، ولكن بعد ذلك أصبح الحزب الشيوعي أقل اعتمادا على الجماهير. وأصبحت التقنية والأطر ذات أولوية، بدلاً من التركيز على السياسة والجماهير.

3) إهمال الصراع الطبقي. بعد نجاح عملية التجميع، لم يعد هناك ما يكفي من الإهتمام باستمرار الصراع الطبقي في ظل الاشتراكية.

4) اختلال التوازن في العلاقة بين الصناعة الثقيلة من ناحية والصناعات الخفيفة والزراعة من ناحية أخرى.

5) انعدام الثقة بالفلاحين. انتقد ماو السياسة الروسية التي لم تعط الأهمية الضرورية للفلاحين.

6) بالإضافة إلى استخلاص هذه الدروس من ستالين والتجربة الروسية ، تعلم ماو من التجربة الصينية. ولذلك قام بمحاولة لتطوير النظرية الماركسية في بناء الاشتراكية.

مع انتصار حركة التجميع، أعلن الحزب انتصار الاشتراكية. في يناير 1933، أعلن ستالين أن "انتصار الاشتراكية في جميع فروع الاقتصاد الوطني قد ألغى استغلال الإنسان للإنسان". في يناير 1934، أعلن التقرير السابع عشر لمؤتمر الحزب أن "الشكل الاشتراكي للبنية الاجتماعية والاقتصادية أصبح يحمل تأثيراً لا مثيل له وهو قوة القيادة الوحيدة في الاقتصاد الوطني ككل". وتم التأكيد على الطبقات المعادية مرات عديدة أثناء عرض الدستور في عام 1936 وفي التقارير السياسية اللاحقة.

أخطاء التجربة الروسية: كانت التجربة الروسية في بناء الاشتراكية ذات أهمية قصوى بالنسبة للبروليتاريا الدولية، وخاصة بالنسبة لجميع البلدان التي استولت فيها البروليتاريا على السلطة. ستالين في كتابه "حول *القضايا الاقتصادية للاشتراكية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية*" حاول تنظير عملية بناء الاشتراكية والقوانين الاقتصادية للاشتراكية.

غير أنه، في تحليله، لم يقم بنقد ذاتي للتجربة الروسية. في وقت لاحق، سوف يقوم ماو بتحليل للتجربة الروسية ويشير إلى بعض الأخطاء في الممارسة، وكذلك في صياغات ستالين.

أشار ماو إلى الأخطاء الرئيسية التالية في التجربة الروسية:

1) عدم إيلاء الاهتمام الواجب للتناقض بين علاقات الإنتاج والقوى المنتجة. وقد انعكس هذا في التعايش المطول لنوعين من الملكية، من ناحية ملكية الشعب كله، ممثلة في الصناعات المؤممة والمزارع المملوكة للدولة، ومن ناحية أخرى، الملكية الجماعية. واعتبر ماو أن التعايش المطول بين ملكية الشعب بأكمله والملكية الجماعية ينبغي أن يصبح أقل فأقل قدرة على

تحديد معدلات مختلفة للتجميع collectivisations، وتم تصحيح السنة المستهدفة لإنهاء التجميع. وقد تضاعف إنتاج الجرارات وآلات الحصاد والآلات الزراعية الأخرى. كما تضاعفت القروض الحكومية للمزارع الجماعية في السنة الأولى. تم انتقاء 25 ألف عامل في الصناعة لهم وعي طبقي قوي وأُرسِلوا إلى المناطق الريفية للمساعدة على تنفيذ التخطيط. وعلى الرغم من بعض الأخطاء، فقد تقدمت عملية التجميع بسرعة نحو النجاح. في عام 1934، كانت 90 ٪ من إجمالي المساحة المزروعة في البلاد تندرج في ظل الزراعة الاشتراكية، أي من خلال مزارع الدولة أو المزارع الجماعية.

لم تكن مجمل عملية تجميع الزراعة سوى ثورة تحالفت فيها البروليتاريا مع الفلاحين الفقراء والمتوسطين لكسر قبضة الكولاك.

هذه الثورة حلت، في ضربة واحدة، مشاكل ثلاث أساسية لبناء الاشتراكية:

أ) القضاء على أكبر طبقة من المستغلين في البلاد، طبقة الكولاك، دعامة إحياء الرأسمالية؛

ب) قامت بنقل الطبقة العاملة الأكبر في البلاد، طبقة الفلاحين، من مسار الزراعة الفردية، التي تولد الرأسمالية، إلى طريق الزراعة التعاونية والجماعية والاشتراكية،

ت) أنها زودت النظام السوفييتي بقاعدة اشتراكية في الزراعة، فرع الاقتصاد الوطني الأكثر اتساعا وأهمية، والأقل نمواً.

التخريب، كانت لم تتجاوز حصص السوق من المحاصيل 37 ٪ مقارنة مع رقم ما قبل الحرب. لذلك، اتخذ الحزب، في نفس العام، قرارًا بشن هجوم لكسر مقاومة الكولاك. وبالاعتماد على الفلاحين الفقراء والتحالف مع الفلاحين المتوسطين، تمكن الحزب من إتمام شراء الحبوب بنجاح ومواصلة عملية الجمع. لكن التقدم الهائل تحقق في نهاية عام 1929.

قبيل عام 1929، اتبعت الحكومة السوفيتية سياسة التضييق على الكولاك. وكان تأثير هذه السياسة هو وقف نمو طبقة الكولاك، التي اضطرت بعض أجزائها، والتي لم تكن قادرة على تحمل ضغط هذا التضييق، إلى وقف أنشطته كلما تعرضت للتدمير. لكن هذه السياسة لم تدمر القواعد الاقتصادية للكولاك كطبقة ولم لديها ميل للقضاء عليها أيضا. بل كانت هذه السياسة ضرورية لبعض الوقت، أي طالما كانت المزارع الجماعية ومزارع الدولة ضعيفة وغير قادرة على استبدال الكولاك في إنتاج الحبوب. في نهاية عام 1929، مع نمو المزارع الجماعية ومزارع الدولة، غيرت الحكومة السوفييتية سياستها بشكل جذري تجاه الكولاك، أصبح من الضروري آنذاك تدميرها كطبقة عن طريق مهاجمة قاعدتها الاقتصادية. تمت إزالة القوانين المتعلقة بكراء الأراضي وتوظيف العمال، مما حرم الكولاك من الأرض والعمال. رفعت الحكومة الحظر على مصادرة ممتلكات كولاك. وقد سمح ذلك للمزارعين بمصادرة الماشية والآلات والسلع الزراعية الأخرى من الكولاك لصالح المزارع الجماعية. وهكذا فقد الكولاك جميع وسائل إنتاجهم. تعرضوا لنزع الملكية مثلما حصل عندما تم نزع ملكية الرأسماليين في المجال الصناعي في عام 1918. الفرق كان هو أن وسائل إنتاج الكولاك لم تنتقل إلى أيدي الدولة، بل إلى أيدي الفلاحين الموحدين في مزارع جماعية. لتنفيذ هذه السياسة، تم اعتماد خطة مرحلية. حسب الظروف المناطق المختلفة، تم

لقد نجحت هذه السياسة في بناء قاعدة صناعية قوية، مستقلة عن الإمبريالية. كما سمحت بالدفاع عن القلعة الاشتراكية خلال الحرب العالمية الثانية. كما تطورت الصناعة بوتيرة أسرع من الدول الإمبريالية الأكثر تقدماً، مما يثبت التفوق الهائل للنظام الاشتراكي. كان العامل الرئيسي هو المشاركة دون تحفظ من قبل الطبقة العاملة بأكملها في زيادة الإنتاج. في الوقت الذي كان فيه العالم الرأسمالي بأكمله في خضم أزمة اقتصادية، كانت الصناعة الاشتراكية تشتغل دون أية مشكلة. إلا أنه، نظرا للتركيز الخاص على تنمية الصناعات الثقيلة ذات الأولوية، فقد تم إهمال الزراعة. وهكذا، في الفترة التي زاد فيها الإنتاج الصناعي أكثر من تسع مرات، لم يزد إنتاج الحبوب سوى بنسبة الخمس. هذا أظهر أن نمو الزراعة كان منخفضًا جدًا مقارنةً بالصناعة. وكان هذا هو الحال أيضا في الصناعة مع نمو الصناعة الثقيلة بمعدل أسرع بكثير من الصناعة الخفيفة. انتقد ماو، في نقده للاقتصاد السوفييتي، هذا التركيز ودعا إلى إعطاء دفعة متزامنة لكل من الصناعة والزراعة. في الصناعة، دعا إلى التنمية المشتركة للصناعات الثقيلة والخفيفة.

التجميع الزراعي: تم تنفيذ المرحلة الأولى من هذه العملية خلال فترة الإحياء الاقتصادي في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة مع تشكيل التعاونيات الأولى بين المزارعين الصغار والمتوسطين. ورغم ذلك، لم يكن هناك تقدم كبي، نظرا لمقاومة الكولاك (الفلاحين الأغنياء). بالإضافة إلى ذلك، اتخذ الكولاك موقف معارضةٍ نشيطة وعملوا على تخريب عملية بناء الاشتراكية. فرفضوا بيع فائض الحبوب إلى الدولة السوفيتية. واستخدموا الإرهاب ضد الفلاحين المتعاونين، وضد عمال الحزب والمسؤولين الحكوميين في الريف. وقاموا بإحراق المزارع الجماعية ومخازن الحبوب الحكومية. في عام 1927، بسبب هذا

الجديدة (NEP). ووفقاً لهذه الأخيرة، تم التخلي عن الاستيلاء الإجباري على فائض المزارعين، وتم إحياء التجارة الخاصة، وسُمح لأصحاب المشاريع الخاصة ببدء أعمال تجارية صغيرة. كان هذا ضروريًا لأن شيوعية الحرب وإجراءاتها الجذرية تسببت في معاناة بعض الفئات داخل جماهير الحزب، وخاصة الفلاحين. ومع ذلك، عارض التروتسكيون بقوة السياسة الاقتصادية الجديدة، التي اعتبروها فقط تراجعا ولا شيء آخر. عارض لينين، في المؤتمر الحزبي العاشر في مارس 1921، التروتسكيين وأقنع المؤتمر بتغيير السياسة، و تم بذلك تبنيه. كما قدم تبريرًا نظريًا لصحة السياسة الاقتصادية الجديدة في تقريره حول تكتيكات الحزب الشيوعي في روسيا، والذي تم تقديمه خلال المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية في يوليوز 1921. استمرت السياسة الجديدة حتى نهاية عام 1925، عندما اتخذ المؤتمر الرابع عشر للحزب قرار الانتقال إلى المرحلة التالية من بناء الاشتراكية، ألا وهي التصنيع الاشتراكي.

التصنيع الاشتراكي: كان الاتحاد السوفياتي لا يزال بلدا زراعيا متخلفا نسبيا في ذلك الوقت، حيث يأتي ثلثا الإنتاج الكلي من الزراعة وثلثه فقط من الصناعة. بالإضافة إلى كونها أول دولة اشتراكية، كانت مسألة الاستقلال الاقتصادي عن الإمبريالية ذات أهمية قصوى. لذلك، وجب أن يركز الطريق إلى بناء الاشتراكية أولاً على التصنيع الاشتراكي. وبتعبير ستالين الخاص: "*تحويل بلدنا من بلد زراعي إلى بلد صناعي، قادر على إنتاج الأدوات اللازمة بقواه الخاصة، هذا هو جوهر، أساس خطنا العام*". وبالتالي، كان التركيز الرئيسي على الصناعة الثقيلة التي من شأنها إنتاج الآلات للصناعات الأخرى وللزراعة.

من بين هذه النقاط الخمس، تم إنجاز أول خطوتين، أي الاستيلاء على السلطة وتأميم الصناعة الكبيرة في غضون بضعة أشهر. إلا أنه، لم يكن بالإمكان اتخاذ المراحل الأخرى في عملية بناء الاشتراكية على الفور بسبب الظروف الصعبة للغاية التي تتحملها الدولة البروليتارية الأولى، التي هوجمت من جميع الجهات. بسبب الحرب الأهلية، كان بقاء الدولة بحد ذاته موضع تساؤل. من أجل مواجهة هذا الهجوم العام، اضطر الحزب إلى حشد البلد بأكمله لمحاربة العدو. تم تقديم حزمة من تدابير الطوارئ سميت "شيوعية الحرب".

تحت سطوة الحرب، سيطرت الحكومة السوفييتية على الصناعات الصغيرة والمتوسطة بالإضافة إلى الصناعات الكبيرة. أدخلت احتكار الدولة لتجارة الحبوب وحظر بيعها الخاص؛ فقد أنشأت نظاماً للاعتمادات الفائضة، كان يتعين بموجبه بيع جميع الفائض الذي ينتجه الفلاحون إلى الدولة بأسعار ثابتة؛ وأخيراً قدمت خدمة العمل الشامل لجميع الطبقات، مما جعل العمل البدني إلزامياً للبرجوازية، وبالتالي تحرير العمال الضروريين لمسؤوليات أكبر على الجبهة. غير أن سياسة شيوعية الحرب هذه كانت مؤقتة بطبيعتها لتفي باحتياجات الحرب. وساعد ذلك على حشد جميع الناس للحرب، وبالتالي نتج عن ذلك هزيمة كل من التدخل الأجنبي وقوات الجيش الأبيض بحلول نهاية عام 1920، مع الحفاظ على الاستقلال و حرية الجمهورية السوفيتية الجديدة.

ابتداءً من عام 1921، سيأخذ الوضع في روسيا منعطفا آخر. بعد الانتهاء من الانتصار خلال الحرب الأهلية، كان الهدف الأساسي هو الانتقال السلمي إلى إعادة البناء الاقتصادي. لهذا، تم تغيير السياسة للانتقال من شيوعية الحرب إلى السياسة الاقتصادية

أ) يجب على البروليتاريا ألا تسمح لأي فرصة بالمرور ويجب أن تستفيد من جميع الظروف الملائمة للاستيلاء على السلطة. أن يكون المرء في موقف الانتظار والترقب يعني فقط أن الرأسمالية يمكن أن تستمر في النمو وأنها ستدمر ملايين المنتجين الأفراد الصغار والمتوسطين.

ب) يجب مصادرة وسائل الإنتاج في الصناعة وتحويلها إلى ممتلكات عامة.

ج) سيتعين على المنتجين الأفراد الصغار والمتوسطين تدريجيا أن يتحدوا في تعاونيات للمنتجين، أي في المؤسسات الزراعية الكبيرة والمزارع الجماعية.

(د) ينبغي تطوير الصناعة إلى حدودها القصوى، وينبغي أن تعتمد المزارع الجماعية على الأسس التقنية الحديثة للإنتاج على نطاق واسع. لا ينبغي مصادرة أراضي المزارع الجماعية، بل على العكس من ذلك، يجب تزويدها بسخاء بجرارات عالية الجودة وآلات زراعية أخرى.

هـ) ينبغي أن تتم المبادلات على أساس الشراء والبيع، أي أنه يجب الاحتفاظ بإنتاج السوق لفترة معينة من الزمن، لأن الفلاحين لن يقبلوا أي شكل آخر من أشكال الارتباط الاقتصادي بين المدينة والريف. ومع ذلك، لا يمكن تحقيق التجارة إلا من خلال التجارة السوفيتية، بين الدولة والتعاونيات والمزارع الجماعية. يجب تطوير هذا النوع من التجارة إلى أقصى الحدود، ويجب التخلص من الرأسماليين من جميع الأنواع في جميع الأنشطة التجارية.

أثناء ثورة أكتوبر، كان هناك نوعان من وجهات النظر الماركسية المزعومة فيما يتعلق ببناء الاشتراكية.

أولى هذه المواقف كان يمثلها المناشفة وحلفاؤهم. هؤلاء عارضوا استمرار الثورة الاشتراكية وأرادوا بقاء السلطة في أيدي البورجوازية. وكانت حجتهم أنه نظرا لأن الرأسمالية لم تتقدم بما فيه الكفاية، ولم تركز وسائل الإنتاج، وخاصة في مجال الزراعة، لم يكن الوقت مناسبا للبروليتاريا للاستيلاء على السلطة بعد. ولذلك طرحوا أن تنتظر البروليتاريا بعض الوقت حتى يتم التقدم بالرأسمالية بشكل كافٍ تحت سيطرة البرجوازية. وهذا من شأنه أن يخلق الظروف لتأميم جميع وسائل الإنتاج وبناء الاشتراكية. كان المناشفة إذن يعارضون معارضة تامة استيلاء البروليتاريا على السلطة واستمرار برنامج بناء الاشتراكية.

وجهة النظر الثانية تمثلت في مجموعة من داخل الحزب البلشفي، كانت تدعى "اليسار" الشيوعي. وكان موقفهم هو أنه ينبغي الإستيلاء على السلطة وأن يتم تأميم جميع وسائل الإنتاج، بما في ذلك الإنتزاع الفوري لممتلكات المزارعين الصغار والمتوسطين، وكذلك صغار المنتجين الآخرين. أراد هؤلاء الشيوعيون "اليساريون" اتخاذ موقف عدائي من الفلاحين وطرد الحلفاء الرئيسيين للثورة.

وقد رسم لينين، في الصراع ضد هذين التيارين، الطريق الصحيح نحو بناء الاشتراكية. يمكن تفسير الجوانب الرئيسية لهذا المسار على النحو التالي:

مارس 1917. ومنذ ذلك الحين إلى حدود وصول لينين في أبريل، قاد مركز الحزب.

وبالنظر إلى حياة ستالين السياسية طيلة نحو عشرين سنة من الثورة، فإنها تظهره كنموذج للشجاعة والتضحية والتكريس والإخلاص لقضية الثورة. وبصرف النظر عن سنوات عديدة في السجن وفي المنفى، كانت حياة ستالين، على الرغم من السرية ، في اتصال وثيق مع الجماهير. في مثل هذه الحياة من التفاني التام، كان من الصعب على ستالين أن يجد وقتا لكي تكون لديه "حياة خاصة". زواجه الأول كان في فترة شبابه مع إيكاترينا سفانيدزه ، أخت أحد زملائه الاشتراكيين في مدرسة تيفليس. سرعان ما ازداد لديها طفل، وبعد وفاة ايكاترينا خلال ثورة 1905، تمت تربيته من قبل والديها. أما زواج ستالين الثاني فكان مع ناديجدا أيلوييفا، ابنة عامل رفيق مقرب من ستالين. كانت لديه علاقات وثيقة جدا مع عائلته وكانوا هم الذين يرسلون له الطعام والملابس والكتب خلال أيام المنفى. **حدث هذا الزواج الثاني، عندما تم تعيين كليهما في تساريسين Tsaritsyn (أعيدت تسميتها لاحقا ستالينغراد Stalingrad) خلال الحرب الأهلية. وذلك بعد ثورة أكتوبر.**

خلال هذه الفترة، ضمت اللجنة المركزية البلشفية الأولى، التي تم انتخابها في يناير 1912 في المؤتمر البلشفي، ستالين إلى اللجنة في اجتماعها الأول. كانت إحدى مهام ستالين الأولى، بعد أن أصبح عضواً في اللجنة المركزية، هي إصدار العدد الأول من صحيفة البرافدا البلشفية اليومية. إلا أنه، اعتقل مرة أخرى على الفور تقريبا. وبعد ثلاثة أشهر في السجن وشهرين من الترحيل إلى سيبيريا فر مرة أخرى. ووصل إلى سانت بطرسبرغ في إبان الحملة الانتخابية لانتخابات مجلس الدوما. على الرغم من أن البلاشفة لم يفوزوا سوى بستة مقاعد فقط ، فإن هذا كان يمثل ثمانين بالمائة من العمال الصناعيين.

في نهاية عام 1912 وأوائل عام 1913، قضى ستالين بضعة أسابيع في الخارج حيث التقى وأجرى مناقشات مفصلة مع لينين ورفاق آخرين. خلال هذه الفترة، كتب كتابه النظري الشهير "*الماركسية والمسألة القومية*". ثم عاد إلى سانت بطرسبورغ في فبراير 1913، لكنه تعرض للخيانة في أقل من أسبوع على يد عضو آخر في اللجنة المركزية هو مالينوفسكي، الذي كان عميلا للشرطة السرية القيصرية. هذا العميل خان أيضا عضوا آخر في اللجنة المركزية، سيردلوف. تم ترحيل كل من ستالين وسيردلوف إلى الأطراف الأكثر عزلة في سيبيريا التي كان الهروب منها أكثرها صعوبة. خلال هذه الفترة، وضع خططًا متطورة لتنظيم هروبه، ولكن خطط الهروب هذه تم تمريرها أيضًا من قبل العميل السري نفسه. وبدلاً من تنظيم عملية هروب، لم يقم هذا العميل سوى بتعزيز المراقبة على أعضاء اللجنة المركزية. **وهكذا، أُجبر ستالين على البقاء في هذا المنفى لمدة أربع سنوات طوال، إلى حين اندلاع الثورة البرجوازية في فبراير عام 1917 التي أسفرت عن الإطاحة بالنظام القيصري. آنذاك، سُمح له بالعودة إلى سان بطرسبرغ، حيث وصل في 12**

والاستيلاء على المال. ومع ذلك، استمر القوقاز في كونه المركز الرئيسي لمثل هذه الأعمال بمقدار 1150 من مثل هذه العمليات التي جرت بين عامي 1905 و 1908.

عند نهاية عام 1907، تم انتخاب ستالين في لجنة باكو. كانت هذه المدينة النفطية التي يبلغ عدد أفرادها 50000 عامل عمالاً من قوميات وأديان مختلفة يواجهون استغلالاً قاسياً. سرعان ما وحد ستالين العمال وطوّر مركز النضال الوحيد في الفترة المظلمة من رد فعل ستوليبين. باعتماد هوية جديدة، أسس إقامته وصحافة سرية في الجزء المسلم من المدينة. في هذا الوقت بدأ ستالين الكتابة لأول مرة باللغة الروسية. في عام 1908، ألقي عليه القبض ولكنه استمر في كتابة المقالات وتوجيه أنشطة الحزب من داخل السجن. في عام 1909، تم نفيه مرة أخرى لكنه هرب في أقل من أربعة أشهر.

عاد ستالين مرورا عبر سانت بطرسبورغ ووجد قيادة الحزب في حالة من الفوضى العارمة في العاصمة. أثناء عودته إلى باكو، كتب على نطاق واسع حول الوضع ودعا إلى إصدار صحيفة لعموم روسيا. كما دعا في وقت لاحق إلى نقل المركز القيادي العملي إلى روسيا. بعد عدة أشهر من العمل المكثف في باكو ورسائل إلى جهاز الحزب في الخارج، ألقي القبض على ستالين مرة أخرى في مارس 1910. بعد عدة أشهر في السجن، تم نفيه مرة أخرى، مما أثر عليه حتى يونيو 1911. وكان هذه المرة ممنوعا من العودة إلى القوقاز أو غيرها من المدن الكبيرة، انتقل إلى مدينة بالقرب من سان بطرسبرج وموسكو. ومع ذلك، اعتقل مرة أخرى في أقل من شهرين. بعد بضعة أشهر في السجن، أُطلق سراحه مرة أخرى، لكنه كان مضطرا للعيش خارج المدن الكبرى.

قادته مواقفه السياسية القوية إلى الاتصال بلينين الذي طلب من الخارج نسخًا من مقالات ستالين. في نفس الوقت الذي كانت فيه المعركة الأيديولوجية ضد المناشفة، كان ستالين منخرطًا بشكل كبير في الصراعات الثورية التي كانت تتطور في جميع أنحاء البلاد مثل ثورة 1905. كان مركز عمل ستالين ، بالطبع، منطقة القوقاز.

بالإضافة إلى مشاركته في تنظيم الإضرابات العمالية، بدأ ستالين على الفور التطبيق العملي لدعوة البلاشفة للإعداد لانتفاضة مسلحة. **أصبح المنظم الرئيسي، الملهم ودليل المنظمة العسكرية في القوقاز. كما تم إنشاء مختبر سري فعال للمتفجرات. من خلال النضالات، تم وضع عدد من فرق القتال. شاركوا في العديد من التمردات، بمهاجمة العصابات المسلحة من الطبقة الحاكمة والحفاظ على صلة مع الفدائيين الفلاحين. في الفترة الموالية لتراجع الثورة، عندما شهد الحزب نقصًا حادا في الأموال، تم استخدام بعض أفضل الفرق القتالية في عمليات جمع النقود الكبرى والجريئة. لعب ستالين دورا رئيسيا في بناء وقيادة هذا الفرع التقني السري للغاية للحزب. كما كتب مقالات خلال هذه الفترة تشرح النهج الماركسي للإنتفاضة.**

في دجنبر/ كانون الأول 1905، شارك ستالين في أول مؤتمر بلشفي في روسيا، حيث تقرر بناء الوحدة مع المناشفة. هنا التقى لينين للمرة الأولى. كما شارك في مؤتمر الوحدة في أبريل 1906، حيث كان البلشفي الوحيد من بين المندوبين الأحد عشر من القوقاز. البقية كانوا جميعا مناشفة. كان أيضا البلشفي الوحيد القادم من القوقاز للمشاركة في مؤتمر عام 1907. في كل من المؤتمرين، كانت إحدى نقاط النقاش هي القرارات التي اتخذها المناشفة وتروتسكي، الداعية إلى حظر الأنشطة المسلحة

للجنة باتومي. وظلت الصحافة السرية، ومع ذلك، غير مكتشفة. **وخلال فترة باتومي، لُقِّب ستالين بواحد من أسمائه الحركية الكثيرة، والذي ظل معروفاً به طوال السنوات العديدة التي عمل فيها في القوقاز. إذ كان يطلق عليه اسم "كوبا"، وهو ما يعني الذي لا يقهر باللغة التركية وكان اسم بطل الشعب لقصائد أحد الشعراء المفضلين لدى ستالين في شبابه.**

قضى ستالين سنة ونصف في سجون مختلفة. في السجن، حافظ على انضباط صارم، إذ كان يستيقظ مبكرا، ويعمل بجد، قرأ الكثير وكان أحد المناظرين الرئيسيين في كمونة السجن. كان يُعْرَف أيضا بكونه رفيقا صبورا، حساسا وخدوما. بعد فترة سجنه عندما لم يتم إثبات أي من التهم ضده، تم نفيه في نوفمبر 1903 إلى شرق سيبيريا. **أثناء وجوده في السجن، تم انتخابه في مارس عام 1903 إلى الهيئة التنفيذية لاتحاد المجموعات الإشتراكية-الديمقراطية لعموم القوقاز حديث التشكيل.** وبما أنه كان من النادر جداً أن يتم انتخاب الرفيق المعتقل في لجنة، فإن هذا الإجراء يعطي فكرة عن أهمية ستالين في منظمة القوقاز. تزامن إبعاد ستالين إلى سيبيريا مع بداية الحرب الروسية اليابانية. استغل ستالين ورفاقه الفوضى التي سادت للفرار فور وصولهم إلى سيبيريا. في نهاية كانون الثاني 1904، عاد إلى تيفليس. وبمجرد عودته من المنفى، كان ملزما باتخاذ موقف بشأن الإشكالات التي أدت إلى القطيعة بين البلاشفة والمناشفة. كانت أغلبية الاشتراكيين في القوقاز من المناشفة، وكان العديد من البلاشفة توفيقيين. على الرغم من هذه الأغلبية الكبيرة للمناشفة، **سرعان ما انضم ستالين إلى لينين والبلاشفة. وأخذ يكتب في صحافة الحزب الجورجي دعما قويا للخط البلشفي. كتب في مقالته الأولى أن الحزب هو "مجموعة المناضلين القياديين" وأنه "يجب أن يكون منظمة متماسكة مركزية ".**

الاعتقالات والهجمات العنيفة من قبل الشرطة، نظمت مظاهرة تاريخية ضمت حوالي 2000 شخص.

كانت السنوات الأولى لستالين في المنظمة الاشتراكية أيام نقاش حاد حول الاقتصاد وقضايا أخرى. **وفي المنظمات الجورجية، كان ستالين يعارض دائما الانتهازيين ويتموقع مع الجناح اليساري**. عندما انطلقت الإيسكرا، كانت مجموعة ستالين أول من أصبح من مؤيديها المتحمسين ووزعها على تيفليس. سرعان ما أصدروا صحيفة غير قانونية باللغة الجورجية، في شتنبر/سبتمبر 1901، سميت Brdzola (الكفاح). كان ستالين أحد المحررين البارزين بالعديد من المقالات التي تدعم خط الإيسكرا. كان المقال المسمى *"الحزب الإشتراكي-الديمقراطي الروسي ومهامه الآنية"* المنشور في دجنبر/ديسمبر 1901 ذا أهمية *خاصة*.

في نوفمبر 1901، تم انتخاب ستالين إلى اللجنة الإشتراكية-الديمقراطية في تيفليس، التي كانت آنذاك الهيئة القائدة لكل القوقاز. وأرسل على الفور إلى باتومي، وهي بلدة صغيرة يسكنها 25 ألف نسمة، وكانت تشكل المركز الجديد لصناعة النفط المرتبطة بخطوط أنابيب النفط إلى أقدم مدينة نفطية، باكو. وسرعان **ما شكل لجنة بلدة تحت غطاء الإحتفال برأس السنة الجديدة**، كما أنشأ صحافة سرية في الغرفة الوحيدة التي كان يعيش فيها. تم نشر العديد من الكراريس، مما أدى بسرعة إلى اندلاع نضالات العمال. واحدة من هذه النضالات أسفرت عن إطلاق النار من قبل الشرطة مما أسفر عن مقتل 15 عاملا. كل هذه الأنشطة تمت على الرغم من معارضة الاشتراكيين المحليين الذين أصبحوا فيما بعد مناشفة. أخيرا، بعد أربعة أشهر ونصف فقط في باتومي، اعتقل ستالين في أبريل 1902 في اجتماع سري

الدراسية للعمال. قام بذلك من خلال عقد اجتماعات سرية في معقل العمال خلال وقت الفراغ القليل الذي يتبقى له من الدراسة. وأخيراً تم طرده من المدرسة الدينية في مايو 1899 بسبب غيابه عن الإمتحانات.

غير أن طرده المدرسة الدينية لم يغير الشيء الكثير فيما يخص الأنشطة الثورية لستالين. بعد إقامة قصيرة مع والدته في غوري، عاد إلى تيفليس، للتنظيم والتعليم مع البقاء وسط العمال. **في دجنبر/ديسمبر 1899 ، حصل على عمل كأجير في المرصد الجيوفيزيائي في تيفليس. استغرق في هذا العمل، على الرغم من ضعف مردوده المادي، كان يأخذ منه وقتًا ضئيلًا للغاية، ووفر له غطاءً مثاليًا للهروب من الشرطة السرية القيصرية**.

تحت هذا الغطاء، واصل ستالين توسيع أنشطته. في العام الموالي، 1900، قام بتنظيم أول احتفال بفاتح ماي الذي أقيم في القوقاز وألقى كلمة بالمناسبة. بسبب الإضطهاد القيصري، لم ينظم هذا التجمع، الذي حضره 500 شخص، في المدينة، بل في الجبال فوق تيفليس. كان التجمع حدثًا مثيرا للحماس أدى إلى الإضرابات في المصانع والسكك الحديدية في الأشهر الموالية. كان ستالين أحد المنظمين الرئيسيين. وفي العام الموالي، تقرر تنظيم مظاهرة في ماي/ أيار بشكل علني وسط مدينة تفليس، لكن القادة الرئيسيين اعتقلوا في مارس / آذار 1901. كما شهدت غرفة ستالين غارة للشرطة، لكنه تمكن من الهروب. **منذ ذلك اليوم وحتى نجاح الثورة في عام 1917 ، تحول ستالين إلى محترف ثوري سري**. كانت مهمته الأولى هي تولي قيادة المنظمة وقيادة وتنظيم حدث عيد العمال على الرغم من فقدان القادة الرئيسيين. لقد تمكن من هذا بنجاح، وعلى الرغم من

القادة ، كيتخوفلي، كان أيضا من مدرسة غوري حيث كان ستالين، كان أكبر منه بثلاث سنوات فقط. سرعان ما أصبح المعلم السياسي الأول لستالين.

غرق ستالين في السنة الأولى في قراءة كل أنواع الأدب الراديكالي. وكان عليه أن يفعل ذلك سراً، لأن معظم الكتب الدينية وغير الدينية كانت ممنوعة تماماً من المدرسة الدينية. نشر كتاباته السياسية والراديكالية لأول مرة تحت اسم مزيف في مجلة جورجية كبرى. آنذاك، كان ستالين، في سن الخامسة عشرة، على اتصال بالأوساط الماركسية السرية. فتم وضعه بسرعة تحت المراقبة من قبل سلطات المدرسة الكنسية، بل وإرساله إلى خلية العقوبة على القراءة المحرمة من الأدب. في ذلك الوقت تقريبا انضم إلى حلقة النقاش السري في المدرسة الدينية نفسها. وقد زاد هذا من أنشطته، مما أدى به إلى الدخول في اصطدامات أكثر مع سلطات المعاهد الدينية.

في سن الثامنة عشرة، في أغسطس 1898، انضم إلى ميسامي داسي (المجموعة الثالثة)، وهي أول مجموعة من الاشتراكيين في جورجيا، والتي أصبح قادتها فيما بعد من المناشفة البارزين. في وقت لاحق، **كان ستالين قد قال، "لقد أصبحت ماركسيا بسبب وضعي الاجتماعي (كان والدي عاملاً في مصنع للأحذية وكانت والدتي أيضًا عاملة) ولكن أيضًا لأن التعصب الشديد والانضباط اليسوعي سحقني بلا رحمة في المدرسة [...] الجو الذي عشت فيه كان مشبعاً بالكراهية ضد الإضطهاد القيصري"**. خارج المدرسة، في مدينة تيفليس، كان العمال في حالة اضطراب شديد. شهدت هذه السنوات ولادة الإضرابات الأولى في القوقاز. **وبمجرد انضمام ستالين إلى ميسام دازي (Mesame Dasi)، كانت لديه مهمة إطلاق بعض الحلقات**

قوية. **لقد بدأ ستالين خلال هذه السنوات بتغذية مشاعر ضد الظلم الاجتماعي واضطهاد شعبه.**

كان من المستحيل على ستالين متابعة تعليمه الجامعي، بسبب فقره. ومع ذلك، فقد أوصي بـه كـ"أفضل طالب" للحصول على منحة دراسية من قبل مدير المدرسة والقسّ المحلي. مكنه هذا من مواصلة دراسته من أكتوبر 1894 في أعلى مؤسسة للتعليم العالي في القوقاز. يتعلق الأمر بالمدرسة اللاهوتية (وهي كلية لتخريج كهنة أرثوذكسيين) في تيفليس. **كانت الخمس سنوات التي قضاها ستالين في مدرسة تيفليس الإكليريكية فترة تكوين حاسمة عندما أصبح ماركسيًا.**

كانت **جورجيا،** خلال شباب ستالين، في حالة مستمرة من الإضطرابات. كان أحد مصادر الاضطرابات هو الروح المتمردة للفلاحين، حيث تأخر إلغاء القنانة حتى بعد أن تم إلغاؤها في روسيا. التفسير الآخر كان الوصول المستمر للأفكار الثورية من روسيا. كان ذلك لأن الحكومة القيصرية كان لها تقليد طويل في إبعاد العديد من المتمردين والثوريين البرجوازيين إلى القوقاز. في وقت لاحق، شمل هؤلاء المبعدين حتى العمال الثوريين الماركسيين مثل كالينين، الرئيس المستقبلي للاتحاد السوفييتي، وليلوبيف، المنظم البلشفي وصهر ستالين.

كانت مدرسة تيفليس الكنسية واحدة من مراكز هذه الإضطرابات. كانت المعقل الرئيسي للمثقفين المحليين، وكذلك مركز المعارضة الرئيسي للقيصر. في عام 1893، قبل عام واحد فقط من انضمام ستالين إلى المدرسة الدينية، كان هناك إضراب أدى إلى استبعاد 87 طالبًا. أصبح القادة الرئيسيون للإضراب فيما بعد من الماركسيين والثوريين المهمين. واحد من

جوري. غير أنه لم يكن قادراً على كسب ما يكفيه، وترك زوجته وطفله في غوري للذهاب للعمل في مصنع للأحذية في تيفليس، حيث توفي في عام 1890.

وبما أن والد ستالين لم يساهم كثيرًا في العمل المنزلي، فقد كانت والدته، إيكاترينا، هي التي اعتنت به ورَعَته. عملت لساعات طويلة كغسالة وكانت مدخراتها هي التي دفعت كل نفقات البيت. كان لديها ثلاثة أطفال قبل ستالين، سرعان ما ماتوا بعد الولادة. كان ستالين هو ابنها الوحيد المتبقي، وقد بذلت الكثير من الجهد لتمكنه من تعليم جيد. على الرغم من فقرها، لم ترسل طفلها للعمل ولو أن ذلك كان أمرا طبيعيا في ظل ظروفها. أرسلت ستالين ، في سن التاسعة، إلى مدرسة كنسية محلية. كما بذلت هي أيضا المزيد من الجهد وتعلمت القراءة والكتابة في وقت لاحق عندما أصبحت أكبر سنا. وهكذا كانت إيكاترينا مثالاً رائعاً على شجاعة وتصميم الجماهير الكادحة.

عاش ستالين الفقر منذ طفولته. كان منزلهم يتألف من غرفتين صغيرتين للغاية، تم استخدامهما كمتجر وورشة عمل ومنزل. على الرغم من أن ستالين كان متينا وقوياً، إلا أنه أصيب بمرض الجدري عندما كان عمره ست أو سبع سنوات، وترك ذلك آثاراً على وجهه طوال حياته. كما أُصيب بالتهاب في الدم، مما أدى تقريب إلى موت وتضرر في ذراعه اليسرى بشكل دائم.

خلال السنوات الخمس التي قضاها في مدرسة غوري، شُهِد لستالين بالذكاء وبذاكرته الاستثنائية. في هذه الفترة كان ستالين على اتصال بالأفكار العقلانية وعارض الدين. بدأ كتابة الشعر وتأثر بالأدب والشعر الجورجي الذين كانا يتسمان بميول قومية

الفصل العشرون: حياة ستالين وإسهاماته الثورية إلى حدود ثورة 1917

في السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر، قاد لينين مباشرة جميع شؤون الدولة والحزب. في غشت/أغسطس 1918 تعرض لمحاولة اغتيال من قبل امرأة من الحزب الاشتراكي الثوري، حيث بقيت رصاصتان في جسده. وهذا ما أضعف لينين، لكنه استمر في عمله الدؤوب الذي لم يكن ترك له سوى ثلاث إلى أربع ساعات من النوم. بدأ هذا العمل المفرط يؤثر تأثيرا خطيرا على صحته، وخاصة على دماغه. ابتداءً من أواخر عام 1921، بدأ يعاني من صداع شديد ودوخة أثرت على عمله. في ماي/مايو 1922 ، تعرض لشلل أثر على ذراعه اليمنى وساقه وقدرته على الكلام. منذ تلك اللحظة إلى حين وفاته، وعلى الرغم من جهوده للتعافي والعودة إلى العمل، لم يتمكن من لعب دور نشيط وفعال. **قبل نوبته المرضية، في أبريل 1922، انتخبت اللجنة المركزية ستالين كأمين عام. وهكذا كان ستالين قد تولى قيادة الحزب خلال مرض لينين وبعد وفاته في 21 يناير 1924.**

كان **ستالين** (بمعنى "الرجل الفولاذي") هو الاسم الحركي الأكثر شعبية لجوزيف فيزاريونوفيتش دجوجاشفيلي الذي ولد في 21 ديسمبر 1879، في غوري، وهي بلدة صغيرة في جورجيا، والتي كانت آنذاك قومية مضطَهدة في الإمبراطورية الروسية (جورجيا اليوم بلد مستقل). كان والداه فقيران وأميان، وكانت أصولهما تعود إلى الأقنان. كان والده قد ترك قريته في عام 1875 بالقرب من تيفليس، عاصمة القوقاز (منطقة متخلفة من الإمبراطورية الروسية، التي كانت موطنا للجورجيين وللعديد من القوميات المضطهدة الأخرى)، بعد بضع سنوات من تحرره من العبودية لصاحب الأرض، أسس متجرًا صغيرًا كإسكافي في

الدول المستعمَرة، يتخذ لينين موقفاً مفاده أن الاشتراكيين يجب أن يطالبون ليس فقط بالتحرر الفوري وغير المشروط للمستعمرات دون تعويض، بل يجب عليهم أيضاً تقديم دعم حاسم لحركة التحرير الوطني في هذه الدول ودعم الثورة والحرب الثورية ضد القوى الإمبريالية التي تضطهدها.

كانت هذه هي أول مرة تتخذ فيها حركة اشتراكية أممية موقفا بمثل هذا الوضوح في القضايا القومية والاستعمارية. كانت هناك بالطبع مناقشات وارتباك. وكان من بين النقاشات آنذاك أن دعم تقرير المصير والتحرر الوطني سيتعارض مع الأممية البروليتارية. لقد قيل إن الاشتراكية تهدف إلى اندماج جميع الأمم. كان لينين موافقا على أن هدف الاشتراكية هو إلغاء تقسيم الإنسانية إلى دويلات صغيرة، ولجعل الدول مجتمعة، وحتى دمجها. ومع ذلك، شعر أنه سيكون من المستحيل تحقيق ذلك عن طريق الإندماج القسري للدول. **إن اندماج الأمم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الفترة الانتقالية للتحرير الكامل لجميع الأمم المضطهدة، أي حرية انفصالها. عندما قدم لينين برنامج الحزب في عام 1917، قال: "نريد توحيدًا حرًا، وهذا هو السبب في أننا يجب أن نعترف بحق الانفصال. بدون الحق في الانفصال، لا يمكن أن يسمى التوحيد حرا"**. كان هذا هو النهج الديمقراطي للبروليتاريا تجاه القضية القومية، وهو يتعارض مع سياسة البورجوازية المتمثلة في الإضطهاد القومي والإلحاق.

بالإمبريالية وقضية المستعمرات. لم يتم هذا إلا بعد تحليل لينين للإمبريالية في عام 1916. على أساس تحليل الإمبريالية، ربط لينين مسألة تقرير المصير للأمم بنضالات التحرر الوطني في البلدان المستعمرة. وهكذا، تطرق إلى الغالبية العظمى من شعوب العالم. لم يبق هذا مجرد مشكلة داخلية في بعض البلدان التي تتواجد داخل حدودها قوميات مضطهدة. لقد أصبحت المسألة القومية مشكلة عالمية، وهي مسألة تحرر الشعوب المضطهدة في جميع البلدان والمستعمرات التي ترزخ تحت نير الإمبريالية.

لذا عندما قدم لينين، في عام 1916، أطروحاته حول الثورة الاشتراكية وحق الدول في تقرير المصير ، أدرج جميع بلدان العالم في هذا التحليل. **وقسمها إلى ثلاثة أنواع رئيسية:**

أولاً، الدول الرأسمالية المتقدمة لأوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. إنها الدول المهيمنة التي تضطهد الأمم الأخرى في المستعمرات وداخل بلدها. **إن مهمة البروليتاريا في هذه الدول المهيمنة هي معارضة الإضطهاد القومي ودعم النضال الوطني للشعوب المضطهدة من قبل الطبقة الحاكمة الإمبريالية.**

ثانيا، أوروبا الشرقية وخاصة روسيا. مهمة البروليتاريا في هذه البلدان هي إبراز حق الأمم في تقرير المصير. وفي هذا الصدد، فإن المهمة الأكثر صعوبة والأكثر أهمية هي توحيد النضال الطبقي لعمال الدول المسيطرة بالنضال الطبقي لعمال الدول المضطهَدة.

ثالثًا، الدول شبه المستعمرة، مثل الصين وإيران وتركيا وجميع المستوطنات التي يبلغ عدد سكانها مليار نسمة. وفيما يتعلق بهذه

حول هذه القضية. خلال هذه الفترة، قام ستالين، في عام 1913، بتقديم أول عرض ماركسي منهجي للمسألة القومية. كان ستالين نفسه جورجيًا، أي عضوا في قومية مضطهدة في روسيا، حيث تطورت الحركة الوطنية بسرعة. في جورجيا، لذا كانت هناك ضرورة قصوى لتقديم الفهم الماركسي الصحيح واتخاذ الموقف السياسي الصحيح. هذا ما حاول ستالين القيام من خلال عمله الرائد 'الماركسية والمسألة القومية.

في كتابه، بدأ ستالين بتحديد ما هي الأمة. وعرّف الأمة بأنها "مجتمع مستقر ومشكل تاريخياً من لغة وأرض وحياة اقتصادية وتكوين نفسي، يُترجَم في مجتمع ثقافة ". رفض ستالين مفهوم الأمة على أساس الدين أو الثقافة، مثل اليهود. وأصر على أن المجتمع يجب أن تكون لديه كل الميزات المذكورة أعلاه ليطلق عليها اسم أمة. أشار ستالين إلى أن جميع الدول لها الحق في تقرير المصير. غير أن هذا الحق في تقرير المصير لا يمكن أن يقتصر على الحكم الذاتي، أو أن يرتبط فقط بالاتحاد في صيغة فيدرالية، كما اقترحت بعض الأحزاب في ذلك الوقت. يجب أن يتضمن الحق في تقرير المصير الحق في الانفصال، أي الانفصال والوجود كدولة مستقلة. ومع ذلك، قال ستالين إن الطريقة التي يطبق بها هذا الحق تعتمد على ظروف تاريخية ملموسة في لحظة معينة. لذا فإن الأمر متروك للثوريين للمحاولة والتأثير على قرار الأمة حول تقرير المصير. يستند قرار الحزب الثوري إما على الحكم الذاتي أو الفيدرالية أو الانفصال، أو أي شيء آخر يصب في مصلحة الجماهير العاملة وخاصة البروليتاريا.

على الرغم من أن عرض ستالين قد أوضح العديد من الأسئلة، إلا أنه لا يزال غير مكتمل لأنه لم يربط المسألة القومية

الفصل التاسع عشر: المسألة القومية والإستعمارية

ظهرت الحركات الوطنية الأولى في أوروبا الغربية. كانت هذه الحركات الوطنية تقودها البرجوازية بالدرجة الأولى في صراعها ضد الإقطاع. كان الهدف الرئيسي لهذه الحركات الوطنية هو توحيد منطقة كبيرة، كانت تحت سيادة العديد من اللوردات الإقطاعيين، في أمة ودولة واحدة، كان هذا ضروريًا للبرجوازية للحصول على سوق كبيرة واحدة وتجنب مضايقة وسيطرة العديد من اللوردات الإقطاعيين. وهكذا، فإن الثورة البرجوازية ضد الإقطاعية والحركة الوطنية لتأسيس دولة قومية واحدة غالباً ما كانت تعني نفس الشيء. لذلك لم تكن الحركة الوطنية مجرد نضال من أجل الإستقلال من اضطهاد أمة أخرى. في كل أوروبا الغربية، المكان الوحيد الذي وقعت فيه حركة استقلال وطني هو عندما قاتلت أيرلندا للتحرر من بريطانيا.

عاش ماركس وإنجلز خلال فترة، حيث لم تكن بعد نضالات التحرر الوطني قد بدأت تنفجر بشكل كبير. لذا لم يكرسا الكثير من الاهتمام لتطور النظرية الماركسية حول المسألة القومية. ومع ذلك، صاغ ماركس الموقف الأساسي فيما يتعلق بالمسألة الأيرلندية من خلال دعوة البروليتاريا الإنجليزية لدعم النضال الوطني للشعب الأيرلندي ومعارضة قمعها الوطني.

جاءت المرحلة الموالية من الحركات القومية من أوروبا الشرقية، مع انتشار الرأسمالية، وإضعاف الإمبراطوريتين الروسية والنمساوية-المجرية. بدأت المنظمات والحركات الوطنية في النمو في جميع أنحاء أوروبا الشرقية، بما في ذلك روسيا. كان من الضروري للحركة البروليتارية الدولية ولحزب العمال الإشتراكي الديمقراطي في روسيا أن فهما فهما وموقفا صحيحا

الإمبريالية الذي استمر حتى عام 1923. إلا أنه، ونتيجة لخيانة الإشتراكيين-الديموقراطيين للأممية الثانية ، وكذا نقاط الضعف الأيديولوجية والتنظيمية للأحزاب الشيوعية في هذه الدول، لم يتم إنجاح الثورة في الدول الرأسمالية الأخرى.

إلا أن الكومنترن لعبت دوراً مهماً في تأسيس، تطوير، وقيادة الأحزاب الشيوعية التي حديثة النشأة في المستعمرات وشبه المستعمرات. خلال عشرينيات القرن العشرين، عندما بدأت حركات التحرر الوطني تتقدم بسرعة في هذه البلدان، حاولت الكومنترن قيادة وتدريب الأحزاب الشيوعية على توفير القيادة لحركات التحرر الوطني. وكانت تلك أول مرة تقوم فيها الماركسية ببناء قاعدة بين شعوب الدول المضطهدة في العالم.

الثالثة هو أنها تمثل الآن البروليتاريا التي استطاعت الاستيلاء على سلطة الدولة وبدأت في تأسيس الاشتراكية.

بعد عمل تحضيري مكثف، حقق المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية الذي عقد في يوليو 1920 نجاحًا كبيرًا مع حضور واسع من 41 دولة. قدم لينين مساهمات كبيرة للنظرية الماركسية في ارتباط بهذا المؤتمر. أعد ما أراده أن يكون دليلاً لإستراتيجية وتكتيكات الحزب الشيوعي، وتم توزيعه على أعضاء المؤتمر. وسمي "مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية" وركز على تصحيح الأخطاء اليسراوية التي كانت شائعة آنذاك في العديد من الأحزاب التي انضمت إلى الأممية، كما أعد لينين أطروحات حول المسألة القومية والإستعمارية تم اعتمادها من قبل المؤتمر. شكلت هذه الوثيقة علامة فارقة وضعت الأساس الماركسي-اللينيني النظري لفهم وقيادة نضالات التحرر الوطني التي كانت تكتسب زخما في كل المستعمرات وشبه المستعمرات. إلى جانب ذلك، شدّد لينين على المهام الأساسية للأممية الشيوعية. وتبنى المؤتمر الأطروحات حول هذا الموضوع. كما تبنى أيضًا أطروحات حول كل من دور الحزب الشيوعي في الثورة البروليتارية، وحركة النقابات العمالية، والأحزاب الشيوعية والبرلمان، وحول النظام الأساسي وشروط القبول في الأممية الشيوعية. في نظامها الأساسي، أعلنت الكومنترن (الأممية الشيوعية) بوضوح أنها " *تقطع بشكل نهائي مع تقاليد الأممية الثانية التي لا تتواجد بها سوى الشعوب البيضاء*".

بالإضافة إلى الإسهامات النظرية، بدأت الأممية، من خلال لجنتها التنفيذية، تلعب دورا بارزا في توجيه الأحزاب والحركات في مختلف البلدان الأعضاء. وحاولت على وجه الخصوص، أن تفعل كل ما أمكنها إبان الوضع الثوري بعد الحرب في البلدان

في هنغاريا، قاد الشيوعيون ائتلافا مع الديمقراطيين الاشتراكيين وسيطروا على الحكومة في مارس 1919. لكنهم طُردوا بعد حوالي خمسة أشهر بسبب الضغط العسكري من جانب حكومات الحلفاء. استمر نضال العمال لمدة أربع سنوات أخرى على الأقل لكن هاتين الثورتين أخفقتا.

وقد أدى المد الثوري المتصاعد ونجاح الثورة في روسيا إلى تشكيل أحزاب شيوعية في العديد من البلدان. ما كان يشكل أساسا حقيقيا لاتحاد الأحزاب الشيوعية، لتشكيل الأممية الشيوعية الثالثة. كما ذكرنا سابقا، دعا لينين والبلاشفة إلى تشكيل الأممية الثالثة منذ عام 1914. في ظل هذا الوضع أمكنهم أخذ زمام المبادرة لإنزالها إلى أرض الواقع.

في يناير 1919، أرسل لينين رسالة مفتوحة إلى عمال أوروبا وأميركا يحثهم فيها على تأسيس الأممية الثالثة. بعد فترة وجيزة، تم إرسال دعوات لعقد مؤتمر أممي. وفي مارس 1919، عُقد مؤتمر الأحزاب الشيوعية الأول، حضرته أحزاب شيوعية من العديد من الدول، في موسكو وشكل الأممية الشيوعية. أنشأ المؤتمر لجنة تنفيذية للأممية الشيوعية الثالثة.

بعد شهر واحد فقط من المؤتمر الأول ، شرح لينين الأهمية التاريخية للأممية الثالثة على النحو التالي: "*أرست الأممية الأولى أسس النضال الأممي البروليتاري من أجل الاشتراكية. الأممية الثانية تمثل فترة تم فيها إعداد التربة لانتشار واسع وكبير للحركة في العديد من البلدان. أما الأممية الثالثة، فقد جمعت ثمار عمل الأممية الثانية، ألقت بنفاياتها البرجوازية الانتهازية، الإشتراكية-الشوفينية، والبرجوازية الصغيرة، وبدأت في إرساء دكتاتورية البروليتاريا*". وهكذا أبرز أن أهم جانب في الأممية

الفصل الثامن عشر: تأسيس الأممية الثالثة

شكلت نهاية الحرب العالمية الأولى فترة انتفاضات ثورية عبر العالم. فانتصار ثورة أكتوبر كان له تأثير على العديد من البلدان، حتى تلك التي كان فيها تأثير ضعيف أو منعدم للماركسية. أوربا، ساحة المعركة الرئيسية للحرب، كانت تشهد أزمة ثورية عميقة. فالحرب تسببت في إسقاط أربع أباطرة وحل أربعة إمبراطوريات كبرى، الإمبراطوريات الروسية، الألمانية، النمساوية (هابسبورغ) والتركية (العثمانية). بنيات الدول كانت في حالة فوضى والمزاج الثوري لدى الجماهير كان مرتفعا. بدأت احتجاجات الجماهير حتى قبل نهاية الحرب. في يناير 1918، اجتاحت أوربا الوسطى موجة من الإضرابات السياسية والمظاهرات الجماهيرية المناهضة للحرب. هذا ما تلاه تمردات وسط القوات المسلحة للعديد من البلدان. كانت هناك أيضا مجموعة من الإنتفاضات الوطنية أدت إلى تشكيل العديد من الدول الجديدة بعد تفكك الإمبراطوريات.

في ألمانيا والمجر، جلبت الأزمة للثورة. في نوفمبر 1918 ، تمرد البحارة الألمان، مما أدى مباشرة إلى انتشار موجة من الثورات أدت إلى الإطاحة بالإمبراطور وإنشاء جمهورية تحت قيادة الحزب الديمقراطي الاجتماعي. تم تأسيس السوفييت فورا في برلين ومدن أخرى. غير أنه تم سحقها في يناير 1919 بعد أسبوعين من القتال في الشوارع ضد القوات العسكرية الرجعية، والتي أعيد تنظيمها من قبل الحكومة الاشتراكية الديمقراطية. وفي أبريل 1919، تم تشكيل الجمهورية السوفيتية في بافاريا (مقاطعة ألمانيا). لكنها أيضا تعرضت للسحق.

ومع ذلك، كانت هناك معركة كبيرة قبل إرساء السلطة العمالية. بادئ ذي بدء كان يتوجب إنهاء الحرب مع ألمانيا. وهو ما تم عن طريق صلح برسيت ليتوفيسك في فبراير 1918. إلا أن هذا لم يجلب سلاما مستداما. إذ مباشرة بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، بدأت القوى المنتصرة، بريطانيا العظمى، فرنسا، اليابان وأمريكا في تدخل مباشر وغير مباشر لمد يد المساعدة للطبقات الحاكمة سابقا في روسيا لخوض حرب أهلية ضد السلطة السوفياتية. هذه الحرب الأهلية دامت إلى حدود نهاية سنة 1920. خرجت منها الدولة السوفياتية منتصرة، غير أنه مع نهاية الحرب كان الإقتصاد في وضعية خراب.

بعيدا عن ساحة المعركة الرئيسية، فأكمل آنذاك كتابه "الدولة والثورة" الذي دافع فيه وطور تعاليم ماركس وإنجلز بصدد الدولة. نظرا لكونه تعرض بشكل خاص للتشويهات التي تعرضت لها هذه القضية من قبل الإنتهازيين مثل كاوتسكي، كانت لعمل لينين أهمية نظرية وعملية كبيرة على المستوى الدولي. ويجد هذا تفسيره، كما رآه لينين نفسه آنذاك، أن الثورة البرجوازية لفبراير في روسيا كانت رابطا في سلسلة الثورات الإشتراكية التي تسببت فيها الحرب العالمية الأولى. لذا فمسألة علاقة الثورة البروليتارية بالدولة لم تكن فقط مسألة نظرية. نظرا للوضع الثوري الذي خلفته الحرب، يتعلق الأمر الآن بمسألة ذات أهمية عملية آنية وكان يتوجب تربية الحركة البروليتارية الأممية والجماهير لفهم ذلك والإجابة عليه.

مع بداية المد الثوري، انتقل لينين إلى بيتروغراد يوم 20 أكتوبر 1917. وبعد ثلاثة أيام من وصوله، انعقد اجتماع تاريخي للجنة المركزية وقرر إطلاق الإنتفاضة المسلحة بعد بضعة أيام. فتم بعث مندوبين إلى كل جهات البلاد وخصوصا إلى وحدات الجيش. بعد بلغتها أصداء مخطط الإنتفاضة، شنت الحكومة المؤقتة هجوما على البلاشفة، يوم 6 نونبر 1917، غداة انعقاد المؤتمر الثاني لسوفيتات روسيا. **فصد الحرس الأحمر والوحدات الثورية الهجوم، وفي 7 نونبر 1917، انتقلت سلطة الدولة إلى أيدي السوفيتات.**

مباشرة، في اليوم الموالي، أصدر مؤتمر السوفيتات مرسوما حول السلام ومرسوما حول الأراضي. وشكل أول حكومة سوفياتية – مجلس مفوضي الشعب – وانتُخِب لينين أول رئيس له. فأرست الثورة الإشتراكية الكبرى لأكتوبر ديكتاتورية البروليتاريا.

فورا موضوعات لينين وأعلنوا ، "الثورة في خطر". ورغم ذلك وفي ظرف ثلاثة أسابيع صادق المؤتمر الأول المفتوح للحزب البلشفي في روسيا (المؤتمر السابع) على تقرير لينين على أساس نفس الموضوعات. وأطلق شعار "كل السلطة للسوفيتات !" كما وافق على قرار هام للغاية، اقترحه ستالين، ألا وهو حق الشعوب في تقرير المصير، بما في ذلك الإنفصال.

في الأشهر الموالية، عمل البلاشفة بنشاط على ضوء خط المؤتمر، مقنعين الجماهير العمالية، الجنود والفلاحين بصحة موقفهم. انعقد المؤتمر السادس للحزب في غشت 1917 بعد عشر سنوات من الفراغ. وبسبب خطر هجوم الحكومة المؤقتة كان ينبغي أن يعقد المؤتمر بشكل سري في بيتروغراد في غياب لينين، فقدم ستالين التقارير السياسية الأساسية التي كانت تدعوا إلى الإعداد للإنتفاضة المسلحة. اعتمد المؤتمر أيضا قواعد حزبية جديدة تنص على أن جميع المنظمات الحزبية ستؤسس على المركزية الديمقراطية، كما تم القبول بعضوية المجموعة التي يتزعمها تروتسكي.

بعد فترة قصيرة من المؤتمر، قام قائد الجيش الروسي الجنرال كونيلوف بتنظيم تمرد للجيش من أجل سحق البلاشفة والسوفيات، إلا أن هؤلاء أقنعوا الجنود في العديد من الأقسام بعدم طاعة الأوامر وتم إفشال التمرد. بعد فشل هذا التمرد أدركت الجماهير أن البلاشفة والسوفيات هما الضمانة الوحيدة للسلام، الأرض والخبز، التي كانت مطالبهم الملحة. فتمت بسرعة بلشفة السوفيتات، وازدادت قوة الثورة وبدأ الحزب الإعداد للإنتفاضة المسلحة.

في هذه الفترة، ولأسباب أمنية، اضطر لينين للبقاء في فنلندا،

ما أن تمت الإطاحة بالقيصر بمبادرة من البلاشفة، حتى برزت سوفيتات نواب العمال والجنود. بيد أنه في الوقت الذي كان فيه البلاشفة يقودون النضال الجماهيري في الشوارع، كانت الأحزاب المساومة، الإنتهازية، المناشفة والإشتراكيين الثوريين (حزب برجوازي صغير شكل استمرارية للشعبويين الأوائل) كان هؤلاء يستولون على المقاعد ويشكلون الأغلبية في السوفيتات. فقادوا السوفيتات في بيتروغراد، موسكو وعدد من المدن. وفي هذه الأثناء، تعاقد البرجوازيون الليبراليون في الدوما، تحت الطاولة، مع المناشفة والإشتراكيين الثوريين وشكلوا حكومة مؤقتة. والنتيجة كانت هي تشكيل جهازين يمثلان ديكتاتوريتين: ديكتاتورية البرجوازية ممثلة في الحكومة المؤقتة، وديكتاتورية العمال والفلاحين ممثلة في سوفيتات نواب العمال والجنود. كان لينين يسمي هذا السلطة المزدوجة.

فور اندلاع الثورة البرجوازية، كتب لينين "رسائل من بعيد" الشهيرة، حيث حلل هذه السلطة المزدوجة. لقد أوضح كيف أن السوفيتات كانت تشكل جنين الحكومة العمالية، التي ينبغي أن تمضي إلى الأمام وتنتصر في المرحلة التالية من الثورة – الثورة الإشتراكية. وسيكون حلفاؤها في هذا الصدد هم الجماهير شبه البروليتارية، الفلاحين الصغار وبروليتاريا جميع البلدان.

يوم 16 أبريل 1917، عاد لينين إلى بيتروغراد بعد فترة طويلة من المنفى، وفي اليوم الموالي قدم "موضوعات نيسان" الشهيرة، أمام اجتماع للبلاشفة. دعا إلى معارضة الحكومة المؤقتة والعمل من أجل أغلبية بلشفية في السوفيتات وكذا نقل سلطة الدولة إلى السوفيتات. قدم برنامجا لتأمين السلام، الأرض والخبز. أخيرا دعا إلى عقد مؤتمر جديد للحزب، باسم جديد، ألا وهو الحزب الشيوعي لبناء أممية جديدة، الأممية الشيوعية. عارض المناشفة

الملايين من الناس مباشرة بسبب جروح أو أوبئة ناجمة عن ظروف الحرب. في يناير وفبراير 1917 ، ازداد الوضع تفاقما. فانتشرت الكراهية والغضب ضد الحكومة القيصرية.

حتى البرجوازية الإمبريالية الروسية لم تكن تثق في القيصر، الذي كان مستشاروه يعملون من أجل سلام منفصل مع ألمانيا. وهم أيضا، بدعم من الحكومتين البريطانية والفرنسية خططوا لتعويض القيصر عن طريق انقلاب، غير أن الشعب تصرف أولا.

ابتداءً من يناير 1917، اندلع إضراب ثوري في موسكو، بيتروغراد، باكو وغيرها من المراكز الصناعية الأخرى. نظم البلاشفة مظاهرات ضخمة دعما للإضراب العام، وفي 8 مارس/آذار، اليوم العالمي لنضال المرأة، كانت عاملات بيتروغراد مدعوات، من قبل البلاشفة، للتظاهر ضد الجوع، الحرب والقيصرية. دعم العمال العاملات عن طريق الإضرابات، وفي 11 مارس اتخذت الإضرابات والمظاهرات طابع انتفاضة ثورية، ودعا مكتب اللجنة المركزية، في نفس اليوم، إلى استمرار الإنتفاضة المسلحة قصد الإطاحة بالقيصر وإقامة حكومة ثورية مؤقتة. وفي 12 مارس، التحق 60.000 جندي بالثورة وواجهوا الشرطة وساعدوا العمال على الإطاحة بالقيصر. ومع انتشار الأخبار، بدأ العمال والجنود في كل مكان بالإطاحة بالمسؤولين القيصريين. انتصرت الثورة الديمقراطية البرجوازية في فبراير. (تسمى ثورة فبراير لأن التقويم الروسي خلال هذه الفترة كان متأخرا ب13 يوم عنه في جميع الأجزاء الأخرى من العالم، فتاريخ انتصار الثورة هو 27 فبراير حسب التقويم الروسي.

كان هناك جانب مهم من تكتيك الحزب إبان هذه الفترة يتمثل في إطلاق يومية البرافدا (الحقيقة)، التي ساهمت في تقوية المنظمات البلشفية ونشر تأثيرها وسط الجماهير. في وقت سابق كان البلاشفة يمتلكون صحيفة أسبوعية للعمال المتقدمين، غير أن صحيفة البرافدا كانت يومية واسعة جماهيرية، مخصصة للتوجه إلى قطاعات واسعة من العمال. بدأت في 5 ماي 1912 واستمرت لعامين ونصف، وواجهت خلال هذه الفترة العديد من المشاكل وغرامات ثقيلة من الرقابة الحكومية. تم وقفها ثماني مرات لكنها كانت تعاود الظهور كل مرة مع تغيير ضئيل في الإسم. كان لديها معدل إصدارات يقارب 40.000 نسخة. كانت البرافدا تحظى بدعم عدد كبير من العمال المتقدمين – 5600 مجموعة من العمال تجمع اكتتابات من أجل الصحافة البلشفية. من خلال البرافدا، انتشر التأثير البلشفي ليس فقط بين العمال بل أيضا وسط الفلاحين، في الواقع، خلال فترة نهوض الحركة الثورية (1912-1914) تم وضع أساس متين لحزب بلشفي كبير. كما قال ستالين:" برافدا سنة 1912 شكلت وضع حجر الزاوية لانتصار الثورة البلشفية سنة 1917".

مع اندلاع الحرب سنة 1914، نضج الوضع الثوري، وقام البلاشفة بدعاية واسعة وسط العمال ضد الحرب ومن أجل إسقاط القيصرية. تم إنشاء وحدات وخلايا في البحرية والجيش، في الجبهة وفي الخلفية، ووزعت كراريس ومنشورات للمطالبة بالنضال ضد الحرب. في الجبهة، وبعد تحريض مكثف من طرف الحزب من أجل الصداقة والأخوة بين الجنود في الجيوش المتحاربة، كان هناك عدد متزايد من حالات رفض الهجوم من قبل وحدات مسلحة ما بين 1915 و1916. كانت البرجوازية وملاّك الأراضي يجنون مليارات الدولارات من الحرب ، لكن العمال والفلاحين كانوا يعانون من صعوبات متزايدة. مات

أجل إدانة سياسة الحكومة القيصرية والأحزاب الليبرالية قصد كسب دعم الفلاحين للبروليتاريا. سمح الحفاظ على التنظيم السري للحزب على امتلاك خط صحيح وتجميع القوى من أجل نهوض جديد للثورة.

لوضع هذه التكتيكات حيز التنفيذ كان على البلاشفة النضال ضد انحرافين وسط الحركة – التصفويون والأوتزوفيستيين (الإنسحابيين). التصفويون، الذين كانوا مناشفة، كانوا يرغبون في إغلاق الهياكل السرية للحزب وإنشاء حزب شرعي "للعمل" بموافقة الحكومة. بينما الإنسحابيون، الذين كانوا ضمن البلاشفة، أرادوا سحب كل الأعضاء البلاشفة من الدوما، والإنسحاب أيضا من النقابات وكل أشكال التنظيم القانونية. كانوا يرغبون فقط في شكل التنظيم اللاشرعي. نتيجة التكتيكين كانت ستكون حرمان الحزب من تجميع القوى الضرورية من أجل نهوض جديد للثورة. **برفض التكتيكين لجأ البلاشفة إلى الجمع بين أشكال شرعية ولاشرعية وتمكنوا من ربح حضور قوي في العديد من منظمات العمال وأيضا ربح عدد من منظمات العمال المنشفية. وهذا ما قوى الحزب وهيأه لإعادة النهوض بالحركة الثورية الذي بدأ انطلاقا من 1912.**

عقد البلاشفة مؤتمرا منفصلا للحزب في يناير 1912 وانتظموا في حزب مستقل: حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي لروسيا (بلشفي). في هذا المؤتمر نفسه سجلوا صعود الحركة الثورية الذي لوحظ من خلال ازدياد عدد المضربين في سنة 1911. وخلال هذا المؤتمر واجتماعات اللجنة المركزية التي انبثقت عنه، وضعت تكتيكات جديدة وفقا للوضع الجديد. يتعلق الأمر بتوسيع وتكثيف نضالات العمال.

كما تمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الرابع عشر، اتسمت الفترة التي تلت هزيمة ثورة 1905 بقمع رهيب وردة فعل شديدة التطرف بقيادة الوزير الأول ستوليبين. كانت الطبقة العاملة هي المستهدفة الأساسية من الهجومات. إذ تم تخفيض الأجور من 10 إلى 15 % وتم تمديد يوم العمل من 10 إلى 12 ساعة. كما تم وضع لوائح سوداء لمناضلين عماليين حتى لا يتم تشغيلهم. وتم خلق نظام غرامات للعمال. وأية محاولة للتنظيم كانت تواجه بهجومات وحشية من طرف الشرطة والمليشيا المنظمة من قبل عملاء القيصر. في ظل هذا الوضع تخلى العديد من المثقفين والعناصر البرجوازية الصغيرة عن النضال بل التحق البعض منهم بمعسكر العدو.

لمواجهة هذا الوضع الجديد غير البلاشفة تكتيكاتهم الهجومية (مثل الإضراب العام **والإنتفاضة المسلحة التي استعملت خلال فترة ثورة 1905) إلى تكتيكات دفاعية. التكتيكات الدفاعية تعني تجميع القوى، تراجع الكوادر إلى العمل السري ومواصلة العمل في ظل السرية والجمع بين العمل اللاشرعي والإشتغال في المنظمات العمالية الشرعية. وتم استبدال الكفاح الثوري المكشوف ضد القيصر بطرق نضالية بديلة.**

أدت المنظمات القانونية المتبقية دور غطاء للمنظمات الحزبية السرية ووسيلة للحفاظ على الصلات مع الجماهير. **من أجل الحفاظ على رابطهم بالجماهير استعمل البلاشفة النقابات والمنظمات الشعبية الأخرى القائمة، مثل منظمات تقديم المساعدة للمرضى، تعاونيات العمال، النوادي، الجمعيات التربوية بل وحتى البرلمان.** استعمل البلاشفة منصة الدوما من

المضطهَدة وخصوصا استغلال المستعمَرات من طرف حفنة من القوى "العظمى" يحول العالم الإمبريالي شيئا فشيئا إلى عالم طفيلي يعيش على حساب عمل ملايين البروليتاريين في البلدان المتخلفة. يصل الأمر إلى حد أن الفئات العليا من البروليتاريا في البلدان الإمبريالية تعيش أيضا على عاتق مئات الملايين من المضطهَدين في المستعمَرات وأشباه المستعمرات.

الإمبريالية هي رأسمالية محتضرة، لأنها رأسمالية في مرحلة انتقالية نحو الإشتراكية. الإحتكار الذي يخرج من الرأسمالية، هو فعلا رأسمالية تموت، في طريق انتقالها نحو الإشتراكية، التنشئة الإجتماعية socialisation الهائلة للعمل من طرف الإمبريالية تؤدي إلى نفس النتيجة. التناقض الرئيسي في ظل الرأسمالية بين الطابع الإجتماعي للعمل والطابع الفردي للملكية لم يعد يشتد في ظل الإمبريالية، هكذا يقول لينين: "الإمبريالية هي عشية الثورة الإجتماعية للبروليتاريا".

بطريقة "ودية". بطبيعة الحالة هذه "الودية" ليست سوى مؤقتة ولا تدوم إلا إلى حين اندلاع الحرب من أجل إعادة تقسيم جديد للأسواق. **5) التقسيم الترابي (السياسي) للعالم (مستَعمَرات وأشباه مستعمرات) بين القوى الرأسمالية العظمى.** استُكمِلت عملية استعمار كل البلدان المتخلفة منذ فجر الإمبريالية، في حين أن مستعمرات أخرى ما كان ممكنا الإستيلاء عليها إلا بإعادة تقسيم العالم، عن طريق الحرب.

على أساس التحليل أعلاه عرف لينين الإمبريالية بالشكل التالي: **"الإمبريالية هي الرأسمالية التي وصلت إلى مرحلة من التطور حيث تم تأكيد** سيطرة الإحتكارات **والرأسمال المالي، حيث اكتسب تصدير الرأسمال أهمية كبرى، وبدأ تقسيم العالم بين التروستات العالمية وانتهى تقسيم كامل أراضي الكرة الأرضية بين البلدان الرأسمالية العظمى". حقيقة كون الإمبريالية رأسمالية طفيلية أو في طور التحلل تأكدت أولا في الميل إلى التفكك، الذي هو طابع كل احتكار في ظل نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. مقارنة بالتوسع السريع للإنتاج في ظل المنافسة الحرة، ينخفض الإنتاج في ظل الإحتكار. يتم إحباط التطور التكنولوجي ويتم حذف الإختراعات الجديدة وبراءات الإختراع عن عمد. ثانيا، يتجلى تدهور الرأسمالية في خلق سلسلة كبيرة من المستأجِرين، الرأسماليين الذين يعيشون بدون عمل، ولكن ببساطة من الفوائد أو المكاسب التي يحصلون عليها من استثماراتهم. ثالثا، تصدير رأس المال هو طفيلية رفيعة المستوى لأنه علامة على الإستغلال المفتوح لليد العاملة الرخيصة في البلدان المتخلفة. رابعا، الرأسمال المالي يهتم بالهيمنة وليس الحرية.** السياسة الرجعية على طول الخط هي خاصية الإمبريالية حيث يصبح الفساد في أعلى المستويات والغش بكل أشكاله عملة رائجة. **خامسا، استغلال الأمم**

وألف كتابه الشهير، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية. بالإضافة إلى هذا العمل كتب العديد من المقالات تربط هذا التحليل الإقتصادي الأساسي بتكتيك البروليتاريا.

في المقام الأول، حاول لينين إزالة الإلتباس التي خلفه كاوتسكي وانتهازيون آخرون فيما يتعلق بسؤال "ما هي الإمبريالية؟". للإجابة على هذا السؤال، أشار إلى أن الإمبريالية هي مرحلة تاريخية خاصة للرأسمالية. خصوصيتها ثلاثية الأبعاد: الإمبريالية هي **1) رأسمالية احتكارية، 2) رأسمالية طفيلية أو متحللة، 3) رأسمالية في طور الإحتضار أو على فراش الموت**. تعويض المنافسة الحرة بالإحتكار هي الخاصية الرئيسية والجوهرية للإمبريالية.

تتجسد الرأسمالية الإحتكارية في خمسة أشكال رئيسية: **1) الكارتيلات، تجمعات وتروستات** – تركيز الإنتاج بلغ درجة تفتح المجال لهذه الجمعيات الإحتكارية لتتوحد من سحق على المنافسين الآخرين. فهم يحددون الأسعار، ويعينون الإنتاج فيما بينهم ويقومون بترتيبات أخرى لمنع آخرين من الدخول وربح السوق. يلعبون دورا أساسيا في الحياة الإقتصادية. 2) **الموقع الإحتكاري للأبناك المالية الكبرى بفضل اندماج الرأسمال الصناعي الإحتكاري والرأسمال البنكي.** في مرحلة لينين، بلغ ذلك درجة استغلت فيها ثلاثة، أربعة أو خمسة أبناء عملاقة الحياة الإقتصادية في المقاطعات الصناعية الرئيسية. **3) تصدير الرساميل ذات الأهمية الخاصة** – هذه الخاصية تختلف عن تصدير البضائع في ظل الرأسمالية غير الإحتكارية ومرتبط ارتباطا وثيقا بالتقسيم الإقتصادي والسياسي للعالم. **4) التقسيم الإقتصادي للعالم من خلال الإتفاقيات،** في عهد لينين كان هناك أزيد من مائة كارتيل عالمي يتحكم في السوق العالمية ويقسمها

يتناسب تحليل ماركس لقوانين الحركة الرأسمالية مع رأسمالية المنافسة الحرة حيث يتنافس عدد كبير من المنتجين الرأسماليين في السوق. لقد حلل إلى حد ما صيرورة تمركز الرأسمال. لكنه لم يعش ليرى بروز مرحلة جديدة في الرأسمالية - ألا وهي الإمبريالية. حصل هذا في بداية القرن العشرين فترك تحليل ذلك للينين. في 1897-1898، قام لينين بدراسة أولية لتطور السوق الرأسمالية العالمية. لكن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى التي كانت حربا تسببت فيها الإمبريالية، كان من اللازم القيام بدراسة شاملة للرأسمالية لفهم الأساس الإقتصادي للحرب ونتائجها السياسية على البروليتاريا.

هذه القضية أصبحت أكثر استعجالية في سنة 1915، عندما ألف الزعيم الإنتهازي والتحريفي للأممية الثانية، كارل كاوتسكي، كتابا حول الإمبريالية دافع فيه عن كون النظام الرأسمالي يتطور نحو "مافوق-رأسمالية" حيث سيسود الإستقرار وتنعدم الحروب. تبريره مشابه لذلك الذي يقدمه البعض اليوم في تحليلهم للعولمة، ويؤكدون أنه نظرا لنمو المجموعات والشركات المتعددة الجنسيات وضخ رساميلها في كل البلدان، ستعارض هذه الشركات المتعددة الجنسيات الحرب وبالتالي لن يكون هناك خطر حرب عالمية جديدة. هذه النظرية لدى عرضها خلال الحرب العالمية الثانية أعطت صورة مغلوطة عن الإمبريالية.

ونظرا لأن هذه النظرية الخاطئة كانت قد قدمت من قبل كاوتسكي الذي كان آنذاك يحظى بالإعتراف بكونه المنظر الرئيسي للماركسية، كان من الضرورة ضرورة قصوى معارضة هذه النظرية وطرح التحليل السليم. كان ينبغي إزالة الإلتباس الذي تركته الأممية الثانية وطرح التكتيكات الصحيحة للحركة العمالية الأممية. لأجل ذلك قام لينين، سنة 1916، بإنجاز بحث معمق

ليست لا عادلة ولا تقدمية. لقد قارن الحرب الإمبريالية بحرب بين سيد يملك 100 عبد وسيد يملك 200 منهم يتقاتلون من أجل تقسيم "أكثر عدلا" للعبيد. الهدف الأساسي للحرب العالمية الأولى هو إعادة توزيع العبيد المستعمرين. لذا لا يمكن أن يكون لها أي طابع تقدمي، دفاعي أو عادل. **إنها حرب غير عادلة ورجعية. الوسيلة الوحيدة لجعلها عادلة هي الدعوة إلى تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية. الإستعمال الوحيد الممكن لحرب كهذه هو الإستفادة منها للقيام بالثورة.** للقيام بذلك، أشار لينين إلى أنه من الإيجابي أن تنهزم بلاده في هذه الحرب. إذ أن الهزيمة تضعف الطبقة المسيطرة وتسهل انتصار الثورة. **لذا فكل ثوري اشتراكي ينبغي أن يعمل من أجل هزيمة حكومته في هذه الحرب.**

وأخيرا سجل لينين أنه من واجب الإشتراكيين المشاركة في الحركة من أجل السلام. إلا بالمشاركة في هذه الحركة، ينبغي أن يؤكدوا على أنه لا يمكن تحقيق سلام حقيقي بدون حركة ثورية. في الواقع يجب على من يريد سلاما عادلا وديمقراطيا أن يدافع عن الحرب الأهلية ضد الحكومات والبرجوازية.

على الرغم من أن هذه المبادئ تم نشرها في أوساط كل أحزاب الأممية الثانية، إلا أن البلاشفة وحدهم هم الذين وضعوها حيز التنفيذ. كانت هذه المقاربة للحرب هي التي ساعدتهم على الإستفادة من وضعية الأزمة الثورية التي خلقتها الحرب وتحقيق انتصار الثورة الإشتراكية لأكتوبر 1917، في ظرف ثلاث سنوات.

الفصل السادس عشر: تحليل الإمبريالية من طرف لينين، المرحلة العليا للرأسمالية

يمكن عرض المبادئ والمهام التي وصفها لينين على الشكل التالي:

أولا، الإشتراكيون ليسوا مسالمين يعارضون أي حرب. فهم يسعون إلى تحقيق الإشتراكية والشيوعية، من خلال القضاء على كل استغلال، سيقضي بدوره على أية إمكانية لقيام الحرب. **ومع ذلك ، ففي النضال من أجل تحقيق النظام الاشتراكي ، ستكون هناك دائماً إمكانية للحروب الضرورية وذات الأهمية الثورية.**

ثانيا، عند نقاش أي موقف ينبغي اتخاذه بصدد حرب محددة، فإن القضايا الأساسية للإشتراكيين هي التالية: لماذا تصلح الحرب وما هي الطبقات التي تنظمها وتقودها؟ هكذا، أشار لينين أنه خلال مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية، ساند ماركس الحروب التي خاضتها البرجوازية ضد الإقطاعية والملوك الرجعيين. لأن هذه الحروب كانت تهدف إلى القضاء على الإقطاعية وإقامة وتوطيد الرأسمالية، كانت حروبا تقدمية وعادلة، وباعتماد معايير مماثلة، يؤكد لينين أنه في عصر الإمبريالية والثورة البوليتارية، سيدعم الإشتراكيون جميع الحروب التي تتبع الثورة الإشتراكية العالمية. **ووفقًا لهذا الفهم ، قدم لينين أمثلة عن أنواع الحروب التي يمكن تسميتها الحروب العادلة أو التقدمية: 1) الحروب الوطنية التي تشنها دولة مستعمَرَة أو شبه مستعمَرة ضد المستغل الإمبريالي 2) الحروب الأهلية التي تقودها البروليتاريا. والطبقات المضطهدة الأخرى ضد الطبقات الحاكمة الرأسمالية أو الإقطاعية ، 3) الحروب الاشتراكية للدفاع عن الوطن الاشتراكي.**

ثالثا، بناء على التحليل أعلاه، فإن الحرب العالمية الأولى

كبيرة لصالح الحرب.

فقط قلة من الثوريين بزعامة ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ هم الذين عارضوها. في حين امتنع عن التصويت كاوتسكي، الذي كان آنذاك القائد الأيديولوجي للأممية الثانية. **وهكذا، في 14 غشت 1914، وضع الحزب الإشتراكي الديمقراطي جانبا كل قرارات المؤتمر وصوت بالإجماع في البرلمان لدعم الحرب الإمبريالية. بالنسبة للبروليتاريا الثورية فإن الأممية الثانية انتهت منذ هذا التاريخ.** سرعان ما تبعت أغلبية الإشتراكيين في فرنسا، انجلترا، بلجيكا وبلدان أخرى الحزب الألماني. انقسمت الأممية الثانية إلى أحزاب اشتراكية شوفينية تعارض بعضها البعض.

كان البلاشفة تقريبا هم الحزب الوحيد الذي انضبط للقرارات المناهضة للحرب. في هذا الظرف الذي سقط فيه أغلب القادة الأمميين في أحضان الإنتهازية، لم يبقى سوى لينين والبلاشفة للحفاظ وتجسيد الموقف الماركسي بخصوص الحرب العالمية. سرعان ما نشر لينين كتابات تعرض هذا التحليل. دعت اللجنة المركزية لحزب العمال الإشتراكي الديمقراطي الروسي (البلشفي) إلى "تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية" وإلى بناء الأممية الثالثة عوضا عن الأممية الثانية. بدأ لينين عملية بناء الأممية الثالثة بتوحيد كل القوى المناهضة للحرب. على الرغم من أن هذه القوى بدأت في تنظيم مؤتمرات منذ عام 1915 ، كان هناك الكثير من الالتباس. كان على لينين أن يسعى جاهدا للتخلص من هذه الفوضى وأن يسيد بين هذه العناصر الموقف الثوري الصحيح على مبادئ الاشتراكية فيما يتعلق بالحرب وكذلك على مهام الاشتراكيين الديموقراطيين الثوريين على المستوى الدولي وفي روسيا.

لوحظ موقف إنتهازي مماثل للقيادة في نقاش الموقف من الحرب. أعد بيبل، القائد المعروف والتلميذ المقرب وشريك ماركس وإنجلز، قرارا حول هذا الموضوع. لكنه كان فضفاضا، بدون توجيه خاص أو خطة عمل للتنفيذ من قبل الأعضاء في حالة الحرب. **وقد تعرض هذا القرار لهجوم من قبل الثوريين – خاصة روزا لوكسمبورغ من ألمانيا ولينين-. واقترحوا تعديلا يعطي توجيها واضحا لأعضاء الأممية من أجل النضال قصد منع الحرب، النضال من أجل القضاء السريع على الحرب في حالة انطلاقها ولاستغلال الأزمة الإقتصادية والإجتماعية التي تسببها من أجل استنهاض الشعب للقيام بالثورة. هذا الموقف هو استمرارية للموقف البروليتاري من الحرب كما صاغه ماركس.** ونظرا لأن الإنتهازيين لا يستطيعون التعبير الصريح عن معارضة هذا التحليل، فقد تم تبني هذا القرار من طرف المؤتمر ومع اقتراب خطر الحرب، ناقشت مؤتمرات الأممية في 1910 و1912 وتبنت قرارات متعلقة بالحرب. فقررت أن كل الإشتراكيين في البرلمانات ينبغي أن يصوتوا ضد الإعتمادات المخصصة للحرب. كما كررت في قراراتها نص التعديل المقترح سنة 1907 من طرف لوكسمبورغ ولينين.

غير أن حضور الإنتهازية في الأممية الثانية كان كبيرا إلى درجة أن أغلب القادة الذين تبنوا هذه القرارات لم يكن لديهم أي إستعداد لاحترامها. حصل هذا عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في يوليور-غشت 1914. حيث أن الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني، الذي كان قائدا لا ينازع للأممية الثانية، فتح الطريق. فالبيروقراطيون النقابيون، عوض أن يحاولوا استنهاض العمال ضد الحرب ومن أجل الثورة، سرعان ما عقدوا اتفاقا لوقف الإضراب مع المشغلين. وفي اجتماع الحزب الذي جرى قبل التصويت البرلماني على اعتمادات الحرب، صادقت أغلبية

الفصل الخامس عشر: الحرب العالمية الأولى: الإنتهازية ضد التكتيك الثوري

جلب ظهور الإمبريالية منذ بداية القرن معه الحروب بين القوى الإمبريالية من أجل السيطرة على المستعمرات. وتشكل الحرب الروسية-اليابانية مثالا على هذه الصراعات التي تسعى إلى السيطرة على منشوريا شمال الصين وفي كوريا. بدأت حروب مماثلة للسيطرة على المستعمرات تجري في مختلف أجزاء العالم. كان من الضروري إذن على الحركة البروليتاريا أن تتخذ موقفا ثوريا صحيحا من قضايا الإستعمار والحرب. وهذا ما قُدِّم للمؤتمر الثاني للأممية.

بيد أن، الإنتهازية انتشرت في أحزاب الأممية الثانية. فالعديد من الأقسام المتزعمة للأحزاب في البلدان الإمبريالية كانت قد بدأت في تبني الموقف البرجوازي في العديد من القضايا السياسية الحاسمة. وهذا ما اتضح خلال المؤتمر الثاني للأممية في سنة 1907 حيث تم التطرق لقضايا الإستعمار والحرب لأول مرة.

بصدد موضوع الإستعمار، تبنى الجهاز القيادي للمؤتمر – اللجنة- قرارا حول السياسة الإستعمارية وحوله إلى الجهاز العام من أجل المصادقة عليه. هذا القرار، بعد انتقاد السياسة الإستعمارية للبرجوازية، لم يرفض بشكل مطلق مبدأ الإستيلاء على المستعمرات. في الواقع، دعم أنه في ظل نظام اشتراكي، يمكن في "مصلحة الحضارة" الإستيلاء على المستعمرات. هذا الموقف الإمبريالي الصريح من هؤلاء الماركسيين المزعومين تعرض لهجوم شديد من قبل الثوريين في الجهاز العام وتم هزم القرار نهائيا، ولكن بهامش صغير من 127 صوتا مقابل 108.

وحررت مبادرة الجماهير. وقد أدى ذلك إلى تشكيل لجان إضراب ثورية في المدن ولجان الفلاحين الثورية في الريف ، والتي تطورت فيما بعد إلى سوفيتات نواب العمال ونواب الفلاحين.

3) أضاف لينين أن الثورة **ينبغي ألا تتوقف بعد انتصار الثورة البرجوازية وتحقيق جمهورية ديمقراطية. وطرح أنه على الحزب الثوري أن يقوم بكل ما هو ممكن من أجل المرور من الثورة الديمقراطية إلى الثورة الإشتراكية. وهو بذلك يعطي شكلا ملموسا لمفهوم ماركس عن الثورة المتواصلة (ininterrompue).**

هذه المبادئ التكتيكية أصبحت أساس الممارسة البلشفية طيلة الفترة الموالية. وقد قادت في آخر المطاف إلى انتصار البروليتاريا سنة 1917 وبناء أول دولة عمالية.

والمناشفة مؤتمرين منفصلين. يبرز القضايا الخلافية الأساسية بين الفريقين.

المبادئ التكتيكية التي قدمها لينين في هذا الكتاب وفي كتب أخرى هي كالتالي:

1) **التكتيك الأساسي الذي يتردد باستمرار في كل كتابات لينين هو أن البروليتاريا تستطيع وينبغي أن تكون رأس حربة الثورة الديمقراطية البرجوازية.** وللقيام بذلك ينبغي توفر شرطين: أولا، ينبغي أن يتوفر للبروليتاريا حليف يرغب في هزيمة فعلية للقيصرية وأن يكون مستعدا لقبول قيادة البروليتاريا. اعتبر لينين أن الفلاحين يمكنهم أن يكونوا هذا الحليف. ثانيا، ينبغي أن يمارس الصراع ضد الطبقة التي تناضل ضد البروليتاريا وتنازعها في قيادة الثورة، ويتم هزمها. اعتبر لينين أن البرجوازية الليبرالية هي هذه الطبقة. **وهكذا، فإن جوهر مبدأ لينين التكتيكي الرئيسي لقيادة البروليتاريا كان يعني في الوقت نفسه سياسة التحالف مع الفلاحين وسياسة عزل البورجوازية الليبرالية.**

2) **فيما يتعلق بأشكال النضال وأشكال التنظيم، كان لينين يعتبر أن الوسيلة الفعالة للإطاحة بالقيصرية وتحقيق الجمهورية الديمقراطية هو الإنتفاضة المسلحة الظافرة للشعب.** لإنجاحها، دعا لينين إلى الإضرابات السياسية الجماهيرية وكذا إلى تسليح العمال. ودعم أيضا مطلب يوم عمل من 8 ساعات ومطالب أخرى استعجالية للطبقة العاملة تنتزعها بشكل ثوري متجاهلة السلطات والقانون. ودعا أيضا إلى تشكيل لجان الفلاحين الثوريين للقيام بتغييرات من قبيل انتزاع الأراضي بطريقة ثورية. تكتيكات الإستخفاف بالسلطات هذه شلت آلية دولة القيصر

وينبغي لها أن تقودها بنفسها. على هذا الأساس الثوري طور البلاشفة تحليلهم وتعاطيهم مع كل القضايا الإستراتيجية والتكتيكية الأخرى المهمة للثورة.

هكذا دعا البلاشفة إلى تمديد الثورة والإطاحة بالقيصر عن طريق انتفاضة مسلحة. بينما حاول البلاشفة الحفاظ على سلمية الثورة. وحاولوا إصلاح وتحسين امبراطورية القيصر. أعطى البلاشفة للطبقة العاملة قيادة الثورة، بعزل البرجوازية الليبرالية وبخلق تحالف مع الفلاحين، وعلى العكس من ذلك قبل المناشفة قيادة البرجوازية الليبرالية و التحالف معها ولم يعتبروا الفلاحين طبقة ثورية يمكن التحالف معها. عبر البلاشفة عن استعدادهم للمشاركة في حكومة ثورية مؤقتة تشكل على أساس الإنتفاضة الشعبية ودعوا إلى مقاطعة الدوما الممنوح من قبل القيصر. في حين عبر المناشفة عن استعدادهم للمشاركة في الدوما واقترحوا جعله مركزا "للقوى الثورية" في البلاد.

لم يكن التحليل المنشفي مثالا معزولا عن التيار الإصلاحي. في الواقع، كان ممثلا لفهم أغلب أحزاب الأممية الثانية في تلك الفترة. مواقفهم كانت تحظى أساسا بدعم زعماء الأممية الثانية. **وهكذا لم يكن لينين يناضل فقط ضد إصلاحية المناشفة، بل أيضا ضد الإصلاحية السائدة في صفوف ما يدعى بالأحزاب الماركسية في الأممية الثانية**. المواقف التي يدافع عنها لينين هي استمرارية وتطوير للتحليل الثوري لماركس وإنجلز. إنه تطوير إضافي للتكتيك الثوري الماركسي مطبقا في الشروط الجديدة التي خلقها تطور الرأسمالية إلى مرحلة جديدة – أي الإمبريالية. وقد عرضها لينين في مختلف كتاباته في خضم الثورة وخصوصا في كتابه "خطتا الإشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية". هذا الكتاب الذي كُتِب في يوليوز 1905 بعد أن عقدا البلاشفة

عامل في إضرابات في سنة 1906 وأزيد من 740.000 عامل سنة 1907. استولت حركة الفلاحين على أزيد من نصف المناطق في روسيا القيصرية خلال النصف الأولى من سنة 1906 وحوالي الخمس في النصف الثاني من السنة. رغم ذلك، لم تصل الثورة بعد إلى أوجها، في 3 يونيو 1907، قام القيصر بانقلاب، إذ حل الدوما التي أنشأها وتراجع عن الحقوق المحدودة التي كان مجبرا على تقديمها أثناء الثورة. شهد عهد الوزير الأول ستوليبين، قمعا رهيبا، وسميت فترة ردة ستوليبين. ودامت إلى حدود موجة الإضرابات والنضالات السياسية التي تلت سنة 1912.

رغم أن ثورة 1905 تعرضت للهزيمة إلا أنها هزت أسس الحكومة القيصرية. أكثر من ذلك، فإن فترة قصيرة دامت ثلاث سنوات، أعطت للطبقة العاملة والفلاحين تربية سياسية غنية. إنها أيضا الفترة التي أثبت فيها البلاشفة في الممارسة صحة فهمهم الثوري فيما يتعلق بإستراتيجية وتكتيك البروليتاريا. في خضم هذه الثورة ازداد ترسخ الفهم البلشفي فيما يتعلق بأصدقاء وأعداء الثورة وكذا في أشكال النضال والتنظيم.

كان للبلاشفة والمناشفة مواقف متعارضة فيما يخص القضايا أعلاه. إذ يكرر تحليل المناشفة الأفكار الإصلاحية و الشرعية التي كانت مشتركة لدى العديد من الأحزاب في الأممية الثانية. لقد كان هذا التحليل مستندا على أن الثورة الروسية، باعتبارها ثورة برجوازية، ينبغي أن تقودها البرجوازية الليبرالية، وبالتالي ينبغي للبروليتاريا ألا تتخذ إجراءات من شأنها أن تخيف البرجوازية وتدفعها إلى الإرتماء في أحضان القيصر. **غير أن البلاشفة، من جهة أخرى، تبنوا الفهم الثوري الذي يعتبر أن البروليتاريا لا يمكنها الإعتماد على البرجوازية لقيادة الثورة**

التي تعاني منها الجماهير العمالية. فزادت الحرب في تعميق هذه المعاناة. فكلما طالت الحرب وازدادت هزائم القوات المسلحة الروسية، ازدادت كراهية الشعب للقيصر. لينتفض سنة 1905.

ابتدأت الحركة بإضراب كبير لعمال النفط في باكو، تحت قيادة البلاشفة، في دجنبر 1904. كانت هذه "إشارة" لإطلاق حملة من الإضرابات والأنشطة الثورية في روسيا برمتها. وقد اندلعت العاصفة الثورية، على الخصوص، على إثر إطلاق النار على الحشود والمجزرة التي ارتُكِبت في حق مظاهرة لعمال غير مسلحين في 22 يناير 1905 في سان بطرسبرغ. محاولة القيصر سحق العمال بالحديد والنار لم تؤدي سوى لاستجابة أكثر شدة من قبل الجماهير. تميزت سنة 1905 بإضرابات سياسية خاضها العمال والإستيلاء على الأراضي ومحاصيل الملاكين من قبل الفلاحين، وأيضا بتمرد بحارة مدرعة بوتيمكين.

من أجل تحويل الصراع، عرض القيصر، مرتين، جعل الدوما (البرلمان الروسي) "استشاريا"، ثم "تشريعيا". رفض البلاشفة المقترحين، بينما قرر المناشفة المشاركة فيهما. حصلت ذروة الثورة بين أكتوبر ودجنبر 1905. خلال هذه الفترة، ولأول مرة في التاريخ، أنشأت البروليتاريا سوفيتات العمال –أي مجالس منتدبة من قبل العمال من كل المزارع والمصانع. لقد شكلت جنين السلطة الثورية الذي سيصبح نموذجا للسلطة السوفياتية التي أرستها الثورة الإشتراكية لسنة 1917. انطلاقا من إضراب عام في روسيا في أكتوبر، استمرت النضالات الثورية في النمو إلى أن تم دحر الإنتفاضات المسلحة التي قادها البلاشفة، في دجنبر، في موسكو و في مدن وقوميات أخرى مختلفة عبر البلاد. إلا أن الثورة لم يتم القضاء عليها، إذ تراجع العمال والفلاحون ببطء وواصلوا القتال دون أن يستسلموا. شارك أزيد من مليون

الفصل الرابع عشر: الثورة البرجوازية الروسية 1905: تطور التكتيكات البروليتارية

جاءت فترة الإنشقاق في حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي في روسيا في بداية تغييرات هامة شهدها الوضع العالمي. إذ انهارت فترة السلام الطويلة بين البلدان الرأسمالية الرئيسية، التي عمَّرت لأزيد من 35 سنة، عن طريق سلسلة من الحروب. تم الإعلان عن انطلاق عصر الإمبريالية، وبدأت القوى الإمبريالية الجديدة في التقاتل من أجل الغزو وتوسيع أسواقها. أسفرت عن العديد من الصراعات الإقليمية. يمكننا أن نذكر من بينها الحرب الروسية-اليابانية ل 1904-1905. **هذه الحروب الإقليمية لم تكن سوى وسيلة كان الإمبرياليون يُعِدُّون بها للحرب العالمية الأولى الفظيعة لسنوات 1914-1918 قصد إعادة تقسيم العالم. هذه الفترة نفسها كانت مطبوعة بعودة الثورات.** المصدر الأساسي لهذه الثورات لم يكن هو أوربا بل آسيا. شكلت الثورة البرجوازية الروسية لسنة 1905 أولى هذه الثورات، تلتها كل من الثورات البرجوازية التركية، الفارسية والصينية. **أهم هذه الثورات من وجهة نظر دور البروليتاريا وتطور التكتيك الثوري الماركسي، كانت هي الثورة الروسية لسنة 1905.** التي شكلت الحرب الروسية-اليابانية نقطة انطلاقها.

الحرب الروسية-اليابانية، التي بدأت بتاريخ 8 فبراير 1904، انتهت بهزيمة القيصر مع معاهدة سلام مخزية في 23 غشت 1905. **اتخذ البلاشفة موقفا واضحا من الحرب، عارضوا حكومات بلدهم وعارضوا الأفكار الخاطئة حول القومية والوطنية. طرحهم كان أن هزيمة القيصر ستكون مفيدة لأنها تضعف القيصرية وتقوي الثورة.** وهو ما حصل بالفعل. إذ أن الأزمة الإقتصادية ل 1900-1903 كانت قد فاقمت الصعوبات

المركزية وهيئة تحرير الشرارة، التي كانت تتوافق مع مقترحات لينين. إلا أن الإختلافات بين المجموعتين كانت قوية واستمرت حتى بعد المؤتمر.

مذ ذاك فصاعدا، أصبح أنصار لينين، الذين حصلوا على الأغلبية، يدعون البلاشفة (أي الأغلبية باللغة الروسية). بينما خصوم لينين، الذين حصلوا على أقلية الأصوات، أصبحوا يدعون المناشفة (أي الأقلية باللغة الروسية).

مباشرة بعد المؤتمر، بدأ المناشفة يقومون بتلاعبات ويقسمون الأنشطة. وهو ما خلق نوعا من الإرتباك. لتصحيح هذا الإرتباك، نشر لينين في ماي 1904 كتابه الشهير، خطوة إلى الأمام، خطوتان إلى الوراء. أعطى فيه تحليلا مفصلا للصراع داخل الحزب سواء خلال المؤتمر أو بعده وشرح في هذا الصدد المبادئ التنظيمية الأساسية للحزب البروليتاري ، والتي ستشكل فيما بعد الأسس التنظيمية للحزب البلشفي. غير أن الأجهزة المركزية، اللجنة المركزية وهيئة تحرير الشرارة، كانت تحت سيطرة المناشفة. الذين كانوا عازمين على مصارعة قرارات المؤتمر. فاضطر البلاشفة لتأسيس لجنتهم الخاصة وجهازهم الخاص. وبدأ الفريقان في الإعداد كل من جانبه لعقد مؤتمره الخاص. وهو ما تم في سنة 1905. **أصبح انشقاق الحزب تاما. ومع ذلك فقد وُضِعت الأسس لبناء حزب ثوري حقيقي – الحزب البروليتاري من صنف جديد.**

أبرز لينين كيف أن وجهات نظر الإقتصادويين كانت تسعى إلى الإنحناء أمام عفوية الحركة العمالية وإغفال مكانة الوعي داخل الطبقة البروليتارية وكذا الدور الطليعي للحزب. وأوضح كيف يمكن لهذا أن يؤدي إلى استعباد الطبقة العاملة من قبل الرأسمالية. في وقت يدعون فيه تبني الماركسية، أراد الإقتصادويون تحويل الحزب الثوري إلى حزب إصلاحات اجتماعية. وهكذا أبرز لينين كيف أن الإقتصادويين هم ممثلون روس للتيار الإنتهازي لبرينشتاين. نجح كتاب لينين، التي انتشر بشكل واسع، في أن يكبد الإقتصادوية هزيمة حاسمة. ووضع بذلك المبادئ التي أصبحت فيما بعد الأساس الأيديولوجي للحزب البلشفي.

تمت الولادة الحقيقية للتيار البلشفي في حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي في روسيا في المؤتمر الثاني للحزب، بين يوليوز وغشت 1903. انصب النقاش الرئيسي في المؤتمر حول طبيعة الحزب، وبالتالي، مسألة توسيع الحزب. **كان لينين يتبنى فكرة حزب منظم، فعال، محترف وثوري، وكانت صيغته أن أعضاء الحزب ينبغي أن يكونوا أعضاء عاملين على الأقل في إحدى منظمات الحزب. بينما مارتوف، من جهة أخرى، كان يأخذ كنموذج الأحزاب الشرعية الموجودة في أوربا والتي كانت مشاركة في الأممية الثانية آنذاك.** فاقترح معايير فضفاضة للعضوية، مما يسمح لأي شخص قبل برنامج الحزب ودعمه ماديا بالإنضمام إليه واكتساب العضوية. كان مستعدا إذن لمنح العضوية لأي متعاطف

أثناء التصويت على هذه النقطة، كانت الأغلبية مع مارتوف. لكن، بعد ذلك، على إثر انسحاب فصائل إنتهازية من المؤتمر، أصبحت الأغلبية مع لينين. وهذا ما تجلى في انتخابات اللجنة

شتلات، توضع علامة خاصة على حائط مجاور قصد تلقي تقرير كامل في الصباح عن تأثير عمل الليل. في المدن الصغرى والقرى كانت الكراريس والمناشير تُحمَل على عربات الفلاحين أيام الأسواق ليتم إلصاقها على الجدران. كل هذا كان عملا خطيرا لأن من يُضبَط حاملا كراسا يتم إلقاء القبض عليه حالا مع إمكانية نفيه إلى سيبيريا. الرفاق المكلفون بهذا العمل بدؤوا في التطور ببطء كمحترفين ثوريين على الأساس الذي توقعه لينين لبناء الحزب.

فيما يخص بنية وتركيبة الحزب نفسه، قدَّر لينين أنه ينبغي أن يتشكل من قسمين: أ) حلقة ضيقة من الكوادر ومن القادة البروليتاريين، خصوصا محترفين ثوريين، أي متفرغين من أي شغل غير العمل الحزبي، وحاصلين بالضرورة على حد أدنى من المعرفة النظرية إضافة إلى تجربة سياسية في تنظيم العمل وفن مواجهة الشرطة القيصرية. و ب) شبكة واسعة من المنظمات المحلية الحزبية وقاعدة واسعة من الأعضاء المتعاطفين ودعم مئات الآلاف من العمال. عندما انطلقت عملية بناء حزب من هذا الصنف بمساعدة الشرارة، أعطى لينين توجيهات لهذه العملية من خلال مقالاته وكتبه: **من أين نبدأ؟ ما العمل؟ ورسالة إلى صديق بصدد مهامنا التنظيمية، وهي كتب ذات أهمية قصوى. في هذه الأعمال وضع أساسا أيديولوجيا وتنظيميا للحزب البروليتاري.**

بالإضافة إلى القضايا التنظيمية، خاض لينين صراعا ضد الإقتصاديين، الذي أرادوا حصر الحزب الإشتراكي الديمقراطي فقط في النضال الإقتصادي للعمال. هذا التيار نما في روسيا طيلة فترة نفي لينين وأدرك هذا الأخير أن الإقتصادوية ينبغي دحرها على المستوى الأيديولوجي قبل الدعوة إلى المؤتمر الأول للحزب. فشن هجوما مباشرا على هذا التيار في كتابه ما العمل؟

الديمقراطيين، نظمها الإتحاد قصد مناقشة هذه الخطة. كان شركاؤه الرئيسيون هم مارتوف وبوترسوف، أعضاء في المجموعة المركزية لسان بطرسبورغ اللذان كانا قد تعرضا للإعتقال والنفي إلى سيبيريا في نفس الوقت الذي نفي فيه إليها. كانت الخطة تتمثل في إصدار صحيفة في الخارج، إذ كان من الخطير فعل ذلك في روسيا. كان لينين يعتزم أيضا التوحد مع جماعة تحرير العمل لبليخانوف، الذي يتواجد مسبقا في الأممية. كان من المفترض أن تتشكل هيئة التحرير من ستة أعضاء: ثلاثة من جماعة تحرير العمل في الخارج، وفي الداخل لينين، مارتوف وبوترسوف. بعد ترتيب كل شيء صدر العدد الأول في دجنبر 1900.

كانت الصحيفة تسمى **الأيسكرا**، أي الشرارة. إسمها يحيل إلى كلمات الثوريين البرجوازيين الروس الأوائل لسنة 1825 " شرارة ستضيء لهبا". تم طبع الشرارة في دول مختلفة – ألمانيا، انجلترا وسويسرا. لم يتم أبدا إرسالها مباشرة إلى روسيا، بل كانت تعبر طرقا ملتوية قبل أن تصل إلى اللجان السرية للشرارة في روسيا. كانت مهمة الموزعين شديدة الصعوبة لتفادي الشرطة السرية، وفي حالة توقيف مهربي الشرارة يتم مباشرة نفيهم إلى سيبريا. شكلت الشرارة أداة مهمة لتربية الطبقة العاملة، حيث أن الحلقات الدراسية كانت في الغالب تتشكل من قراءات في الجريدة. وكلاء الشرارة يستغلون كل الفرص المتاحة لتوزيعها كما هو الحال مع الكراريس السرية. كانت الجرائد توزع ليس فقط في المصانع، بل أيضا في الشوارع، المسارح، في ثكنات الجيش وعبر البريد. في المدن الكبرى توضع في الشوارع وتحت شرفات المسارح. في المدن العمالية كانت توزع في أوقات متأخرة من الليل أو في الصباح الباكر أو تترك ببساطة في الساحات أو قرب مضخات الماء. بعد كل عملية مشابهة، تدعى

الفصل الثالث عشر: لينين والحزب البرليتاري من صنف جديد

شكلت مهمة بناء الحزب البروليتاري الثوري المهمة العاجلة والملحة للينين بعد رجوعه من منفاه. فتم رسميا تأسيس حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي في مؤتمر انعقد سنة 1898 شاركت فيه تسعة وفود. بيد أن اللجنة المركزية المنتخبة فيه سرعان ما تعرضت للإعتقال من قبل الشرطة. ورغم أن الوحدة أعلِنت فيه، لكن المؤتمر لم يتمكن فعلا من تفعيلها لبناء منظمة واحدة على شكل حزب. وهكذا، في سنة 1900، بقيت هذه المهمة عالقة.

تم إعداد خطة بناء الحزب خلال فترة المنفى. مفتاح التوحيد كان يكمن بالنسبة للينين في إصدار جريدة سياسية موحدة لكل المنظمات الروسية.

كان لينين يعتقد أن الوسيلة الوحيدة للتوحيد السياسي والتنظيمي للخلايا الدراسية الماركسية، المجموعات والمنظمات المتفرقة يمر عبر جريدة مشتركة. هذه الجريدة يمكنها أن تربط كل خلايا روسيا برمتها من خلال تقديم الخط الصحيح والنضال الفوري ضد كل الإنحرافات الإنتهازية. ولكن في الوقت نفسه ، فإن السرية التي يفرضها واجب توزيع جريدة غير قانونية ستخلق في حد ذاتها منظمة سرية مدربة للتعامل مع قمع الشرطة السرية الروسية. أراد لينين وضع هذه الخطة موضع التنفيذ قبل عقد مؤتمر الحزب لأنه كان من الضروري أولاً هزيمة النزعات الانتهازية والتحريفية التي تنامت في السنوات السابقة.

خطة لينين تم أولا نقاشها والمصادقة عليها من طرف اتحاد النضال في مختلف المدن الروسية وخلال ندوة للإشتراكيين

تطور الرأسمالية في روسيا. **رغم أنه كان يدرس ليل نهار، كان لينين يمارس التمارين الرياضية يوميا قبل النوم.**

بعد ما يفوق سنة من السجن، أطلق سراح لينين لكنه سرعان ما أدين بثلاث سنوات من المنفى في سيبيريا، حيث تم ترحيله إليها في ماي 1897. كانت كروبسكايا أيضا تتعرض للإعتقال بين الفينة والأخرى. طلب لينين الزواج منها في سيبريا. فكان جوابها ببساطة:"إذا كنت سأصبح زوجة، فليكن كذلك". تمكنت من الإلتحاق به في سيبيريا، حيث وصلت في شهر ماي 1898. قضى لينين معظم وقته في سيبيريا في عمله النظري. بمساعدة كروبسكايا، ترجم مؤلفا بالإنجليزية بعنوان الديمقراطية الصناعية. نجح أيضا في إتمام عمله حول الرأسمالية في روسيا، الذي نشر في 1899. **وبدأ نضاله ضد الإقتصادويين –تيار انتهازي ارتبط بتحريفية برينشتاين الذي أشرنا إليه في الفصل السابق. كتب أيضا الشيء الكثير حول ما يجب أن يكون عليه برنامج والأهداف الآنية للثوريين الروس.** بعد العودة من منفاه، في بداية سنة 1900، بدأ العمل على إنجاز هذه المهام.

روسيا. وفي فبراير 1895، قرر اجتماع لمجموعات ماركسية في مختلف المدن إرسال لينين ومندوب آخر من موسكو إلى الخارج لربط الإتصال بجماعة تحرير العمل. **دامت أول زيارة قام بها إلى أوربا من أبريل إلى شتنبر 1895. التقى خلالها ببليخانوف و أليكسرود من جماعة تحرير العمل بالإضافة إلى قادة آخرين لمنظمات عمالية ألمانية وفرنسية. كان يرغب في لقاء إنجلز لكنه لم يتمكن من ذلك لأن هذا الأخير كان على فراش الموت.**

بعد عودته إلى روسيا، وحد كل الأوساط الماركسية في منظمة سياسية واحدة سميت اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة. سرعان ما بدأ الإتحاد التشهير السياسي وتنظيم الإضرابات في المعامل الكبرى للمدينة. خطط أيضا لإصدار مجلة سرية للعمال. هذه المجلة لم يكن إصدارها ممكنا. إذ نجحت الشرطة السرية، التي راقبت لينين بعناية، في النهاية، بمساعدة أحد المخبرين، في اعتقاله بالأدلة. وتم سجنه في ديسمبر 1895 بينما كان يحمل أول مخطوط للمجلة وتم إرساله إلى السجن.

على الرغم من سجنه، نجح لينين في الحفاظ على صلات وثيقة برفاقه في الخارج. جلبت له والدته وأخته العديد من الكتب واستخدمها لإرسال خطابات مكتوبة بلغة سرية تعلمها من آنا. وكان يكتب فيها أيضا بالحليب، الذي يستخدم كمداد غير مرئي إلا بعدما يتم تجفيف الرسالة. كان يستخدم خبزه الأسود كمدواة للحبر لأنه بهذه الطريقة يسهل عليه التخلص من الأدلة عن طريق ابتلاعها في حالة مرور أي حارس أمام زنزانته. وهكذا، حتى من داخل السجن **نجح لينين في كتابة كراريس وقيادة إضرابات اجتاحت روسيا سنة** 1896. لقد أصبح القائد الفعلي للإتحاد. وبدأ في هذه الفترة بالذات في كتابة مؤلفه النظري الأول

بسمارا بعد أن تخلوا عن السياسة. **كان لينين يرغب دوما في التعلم من عملهم الثوري، من تقنياتهم السرية ومن سلوكهم الثوري أثناء الإستنطاقات والمحاكمات.** في سمارا بدأ لينين أولى كتاباته، التي انتشرت بين الحلقات الدراسية. كما قام بترجمة البيان الشيوعي إلى الروسية. بدأت أنشطة لينين وتأثيره ينتشران خارج سمارا ليبلغا أقاليم أخرى في جهة الفولغا.

بعد أن طور وكون وجهة نظره، أراد لينين أن يوسع نطاق العمل الثوري. لهذا انتقل في غشت 1893 إلى سان بطرسبورغ التي كانت مركزا صناعيا مهما مع بروليتاريا ضخمة. وكتغطية اشتغل كمساعد محامي في سان بطرسبورغ. لكنه لم يقم سوى بالقليل من العمل القانوني وركز على الأنشطة الثورية. **سرعان ما أصبح لينين شخصية رائدة وجلب حياة جديدة للعديد من الحلقات الدراسية السرية في سان بطرسبورغ. وطال تأثيره أيضا حلقات موسكو.** بالإضافة إلى محاضراته، كان شديد الإهتمام بكل دقيقة من حياة العمال الذين يتحدث إليهم. **أقنع جزءً كبيرا من الثوريين بالإنتقال من الدعاية الإنتقائية (الدعاية في تلك الفترة كانت أشبه بدروسنا في التربية السياسية حاليا) في حلقات صغيرة إلى التحريض الجماهيري وسط جماهير العمال.**

خلال هذه الفترة التقى بزوجته المستقبلية، كروبسكايا، التي كانت معتادة على الماركسية التي كانت تُدَرّسها بشكل تطوعي في مدرسة ليلية للعمال. كان العديد من طلابها قد شاركوا في حلقات دراسة نظمها لينين. لينين نفسه كان سعيدا بالتعلم من معرفتها العميقة بظروف حياة وعمل عمال سان-بطرسبورغ. عندما مرض، زارته وشيئا فشيئا تحولت صداقتهما إلى حب .

آنذاك واصل لينين توسيع صلاته في عدد من المدن الأخرى في

خلال هذه الفترة وبعدها، عندما انتقلت عائلته إلى إقليم آخر، سامارا، قضى لينين جزءً كبيرا من وقته في القراءة والدراسة. بالإضافة إلى مؤلفات الثوريين، بدأ لينين، وهو في سن 18 سنة، قراءة العديد من مؤلفات ماركس وبليخانوف. وبدأ في نشر معارفه في الماركسية، بداية مع أخته الكبرى، آنا، وبعد ذلك في جماعات نقاش مع أصدقائه. تعلم أيضا السباحة والقنص.

خلال هذه الفترة حاولت والدته مرارا إرجاعه إلى الجامعة. فتم رفضه مرة أخرى في قازان. كما تم رفض تسليمه جواز سفر ليواصل دراسته خارج روسيا، بعد محاولات عديدة تم أخيرا قبوله سنة 1890 كطالب خارجي في الحقوق في جامعة سان بطرسبرغ. كان لديه الحق في اجتياز الإمتحانات دون الحق في حضور الدروس. كان لينين مصرا على إتمام دراسته في نفس الوقت مع رفاقه في قازان. فدرس بمفرده وتمكن من اجتياز أربع سنوات من الدروس في سنة واحدة. بعد نهاية امتحانات سنة 1891، حصل على أعلى النقط، في كل المواد وحصل على شهادته بامتياز. وفي يناير 1892، تم قبوله كمحامي وبدأ في الترافع أمام المحكمة الإقليمية لسامارا.

بيد أن لينين لم يكن مهتما بالعمل في ميدان القانون. **أثناء دراسته في سان بطرسبورغ حصل على صلات ماركسية هناك وتم تزويده بالأدب الماركسي. وفي سمارا قضى جزءً كبيرا من وقته في إلقاء محاضرات في الحلقات الدراسية للعمال والمجموعات الأخرى السرية. شكل أيضا أول حلقة دراسية ماركسية في سامارا**. كانت سمارا مركزا للشعبويين وقام لينين بتركيز جهوده على محاربة الأيديولوجية الشعبوية خلال تلك الفترة، التي تكيفت مع الليبرالية. وكان رغم ذلك يحترم الثوريين الشعبويين الشجعان وغير الأنانيين لسنوات 1870 الذين عاد العديد منهم ليقطن

في سنة 1887 ألقي القبض على ألكسندر وأخته الكبرى آنا وعدد من الرفاق أثناء محاولتهم اغتيال القيصر. تم فيما بعد إطلاق سراح آنا وإجلاؤها من سان بطرسبورغ. في حين تم إعدام ألكسندر الذي كان زعيما للمجموعة، يوم 8 مارس 1887. أقسم لينين على الإنتقام وسنه لم يكن يتجاوز آنذاك 17 سنة.

كان لينين منذ صغره، تلميذا نموذجيا يمتلك طريقة دراسة متقنة. على عكس الطلبة الآخرين لم يكن يتأخر في تقديم فروضه. على العكس من ذلك كان يحضِّر خططا أولية ومسودات، ويسجل باستمرار ملاحظات ويجري دائما إضافات وتعديلات قبل تسليم العمل النهائي. كان قادرا على التركيز وتجاهل من قد يُلهيه عن دراسته. كان يقدر كثيرا أخاه الأكبر ويحاول دائما تقليد ألكسندر في أبسط حركاته وتصرفاته عندما كان صغيرا. شهرا بعد إعدامه، ورغم الحداد والإضطرابات القوية، كان على لينين أن يجتاز امتحانات نهاية دراسته. حصل على الميدالية الذهبية لأفضل طالب في المدرسة.

على الرغم من حصوله على الميدالية الذهبية لم يتمكن لينين من ولوج جامعة سان بطرسبورغ وجامعة موسكو لأنه أخ ثوري معروف. حصل في آخر المطاف على القبول في الجامعة الصغيرة لقازان. إلا أنه تعرض للترحيل منها في الثلاثة أشهر الأولى على إثر مشاركته في مظاهرة ضد القوانين الجديدة التي تقلص من استقلالية الجامعات وحرية الطلاب. الشرطي الذي قاد لينين إلى خارج قازان حاول إقناعه أنه في أسفل الجدار، أجابه لينين أن الجدار متعفن وتكفيه ركلة واحدة ليتهادى. في السنة الموالية، 1888، تم السماح للينين بالرجوع إلى قازان لكنه لم يتمكن من العودة إلى الجامعة. هنا بدأ في الحضور في حلقة دراسية ماركسية سرية.

كانت لها ميول فوضوية وإرهابية. لعب ماركس وجماعة تحرير العمل دورا أساسيا لجعل هؤلاء الثوريين ماركسيين. ويعتبر لينين، الذي سرعان ما انضم إلى هذه الجماعة، أبرز وجوهها، وسرعان ما تزعم الماركسية والحركة البروليتارية.

لينين هو لقب فريديريك إليتش أوليانوف، ولد في 22 أبريل 1870، في مدينة سابيرسك. التي تتواجد على نهر الفولغا، أكبر نهر في روسيا. رغم أنها عاصمة إقليمية، إلا أن تواصلها مع العالم الخارجي كان محدودا. لم تكن فيها سكك حديدية ووسيلة النقل الأساسية هي الباخرة البخارية. طيلة فصل الشتاء عندما يتجمد النهر تتوقف البواخر عن الحركة، ينبغي امتطاء ظهور الأحصنة من أجل السفر.

والد لينين كان رجلا متعلما، تحول، بفضل عمل شاق، من فلاح فقير إلى مدرس، مفتش ثم مدير المدارس الإبتدائية في إقليم سابيرسيك. حصل أيضا على رتبة نبيلة هي مستشار مدني في سنة 1874. توفي سنة 1886. والدة لينين كانت ابنة طبيب. رغم أنها لم ترتد المدرسة، تلقت تعليمها في المنزل وتعلمت العديد من اللغات الأجنبية، تمكنت بعد ذلك من تعليمها لأبنائها، توفيت في سنة 1916. كان لديهما ثمانية أبناء، توفي إثنان منها في سن مبكرة والثالث في سن المراهقة. لينين كان هو الرابع في الترتيب. كل إخوته وأخواته أصبحوا ثوريين عندما كبروا.

لكن لينين كان أكثرهم تأثرا بأخيه الأكبر، ألكسندر. هذا الأخير كان طالبا لامعا وحصل على ميدالية جامعة سان بطرسبورغ (التي كانت آنذاك عاصمة لروسيا). كان عضوا في حلقات الدراسات الثورية السرية بين شباب سان بطرسبورغ وقام بدعاية ثورية وسط العمال. كان أيديولوجيا بين الشعبويين والماركسية.

الفصل الثاني عشر: الماركسية في روسيا – مرحلة شباب لينين

روسيا هي أحد البلدان التي انتشرت فيها الماركسية والأدب الماركسي بشكل مبكر جدا. في الواقع، أول ترجمة لكتاب ماركس الرأسمال كانت ترجمة روسية. الطبعة المنشورة سنة 1872 (فقط بعد خمس سنوات من صدور الطبعة الألمانية الأصلية)، عرفت نجاحا سريعا من خلال أعداد المبيعات والمواقف المؤيدة في المجلات المرموقة. تأثيرها بلغ حد ظهور اقتباسات من رأس المال في دعاية الطلاب الراديكاليين في المدن الروسية الكبرى سنوات 1873-1874. كما عمل الثوريون الروس الذين اجتذبتهم الماركسية، أيضا، على ترجمة العديد من المؤلفات الماركسية.

كانت فيرا زاسليش Vera Zasulich، إحدى هؤلاء، وهي ثورية شهيرة بمحاولتها اغتيال حاكم ستراسبورغ. بدأت المراسلة مع ماركس منذ 1881، وتابعتها مع إنجلز بعد وفاة ماركس. في سنة 1883 أصبحت عضوا فاعلا في أول منظمة ماركسية روسية –جماعة تحرير العمل تحت قيادة جورج بليخانوف. شارك بليخانوف في المؤتمر الأول للأممية الثانية سنة 1889، حيث تمكن من مقابلة إنجلز. بعد هذا اللقاء واصل بليخانوف نسج روابط قوية مع إنجلز والحصول على نصائح منه.

لعب بليخانوف دورا مركزيا في إرساء الماركسية في روسيا. إذ ترجم ونشر العديد من مؤلفات ماركس وإنجلز. وفي صراعه ضد وجهات النظر الفوضوية والإشتراكيين الفلاحيين الشعبويين، قدم العديد من الإسهامات النظرية للماركسية. كانت روسيا خلال هذه الفترة تحت السيطرة الإستبدادية للقيصر، الذي بدأت العديد من الجماعات الثورية أنشطتها ضده. العديد من هذه الجماعات

ينبغي تعديل كل المقترحات الأساسية التي جاء بها ماركس. أعلن أنه ليس من الضروري قيام ثورة عنيفة لبلوغ الإشتراكية وأن إصلاح المؤسسات الرأسمالية سيؤدي تدريجيا إلى الإشتراكية. مع نمو الإنتهازية في الحركة العمالية، سرعان ما وجدت تحريفية برينشتاين أنصارا لها في فصائل مختلفة. وفي الوقت نفسه ارتبط العديد من الثوريين الحقيقيين بالماركسية. استمر النقاش قبل مؤتمر الأممية الثانية المنعقد سنة 1904. أدان هذا المؤتمر بشدة التحريفية ب25 صوتا مقبل 5 وامتناع 12 عضوا عن التصويت. كما تم رفض توصية أخرى لا تدين التحريفية بشكل صريح بمجموع 21 صوتا. وهكذا في قراري المؤتمر الإثنين، كان هناك عدد كبير ممن يدعمون أو لا يرغبون في إعطاء موقف واضح من الإنتهازية. **رغم أن المؤتمر أدان في آخر المطاف التحريفية، كان واضحا جدا، في سنة 1904، أن الإنتهازية والتحريفية شكلت قاعدة أساسية في المستويات العليا من قيادة الحركة الأممية العمالية.** بيد أن معارضة الإنتهازية في العديد من البلدان كانت قوية. شكلت روسيا إحدى أهم قلاع النضال ضد الإنتهازية، حيث خاض البلاشفة، بقيادة لينين صراعات عديدة ضد الأنواع الروسية من الإنتهازية.

نضالات العمال من أجل رفع الأجور، وكانت تتوصل بمساعدات من الدولة لإنشاء تعاونيات للعمال كان يعتبرها لاسال قنوات أساسية للعمل من أجل إصلاح المجتمع والسير تدريجيا نحو تحقيق الإشتراكية. للنضال ضد هذ التحليل الخاطئ لنضالات المأجورين، كتب ماركس كتيبه "الأجور، الأسعار والأرباح" وقدمه إلى المجلس العام للأممية الأولى سنة 1865. استمر النضال ضد اللاسالية في سنة 1975 عندما كتب ماركس "نقد برنامج غوتا". برنامج غوتا هذا كان قد وضع أثناء توحيد الأحزاب البروليتارية اللاسالية والماركسية في ألمانيا في حزب واحد. في هذه الفترة، كان الماركسيون يرغبون بشدة في الوحدة مما دفعهم إلى تقديم العديد من التوافقات مع السياسة اللاسالية. فصل ماركس في نقده النقاط التي اعتبرها أخطاءً إنتهازية. ورغم ذلك فهذا النقد لم يعطَ سوى لحفنة من الأعضاء الماركسين في الحزب الألماني ولم يعمم على الجميع، وقليلة هي اقتراحات ماركس التي وضعت حيز التنفيذ. غير أنه، في سنة 1891، عند صياغة برنامج جديد، أكد إنجلز على ضرورة نشر النقد، رغم احتجاجات بعض الأعضاء الأساسيين في الحزب. فتمت إزاحة الجوانب اللاسالية.

تعرضت تيارات انتهازية أخرى للهجوم من قبل ماركس وإنجلز طالما كانت تهاجم الإشتراكية. بعد وفاة إنجلز جاءت إحدى أقوى الهجومات على الماركسية من الحركة البروليتارية نفسها. باعتبار أن المعارضة المباشرة للماركسية كانت صعبة جدا، جاء هذا الهجوم هذه على شكل محاولة لـ"مراجعة" الماركسية. **هذا التيار، سمي فيما بعد بالتحريفية، أطلقه برينشتاين**، أحد الأعضاء الأساسيين في الحزب الألماني وأيضا في الأممية الثانية. قدم موقفه أولا خلال 1898-1899 من داخل الحزب الألماني. **طرح برينشتاين، أنه بسبب تغير الشروط التاريخية ،**

الأممية الثانية. هذه الأممية التي أعطت دفعة جديدة لظهور أحزاب اشتراكية بروليتارية في العالم.

استمر ماركس إنجلز حتى نهاية حياتهما، في لعب دور القادة الإيديولوجيين والمنظمين العمليين للحركة العمالية المتنامية. فقد قدما مساهمات نظرية مستمرة لتوطيد أسس الإشتراكية. ركز ماركس على دراسة معمقة للإقتصاد السياسي والرأسمالية، حيث أصدر الجزء الأول من رأس المال سنة 1867. بعد ذلك واصل النضال ضد المرض محاولا إتمام الأجزاء الأخيرة من هذا العمل. ورغم ذلك ظل غير مكتمل إلى حدود وفاته في 14 مارس 1883. لكن إنجلز أكمل المهمة الضخمة المتمثلة في تجميع كل ملاحظات ماركس، قصد تحريرها ونشر الجزأين الثاني والثالث من رأس المال. قام إنجلز بإنجاز أعمال نظرية هامة بعد أن أصبح محررا بدوام كامل سنة 1869. سواء مع ماركس أو بمفرده، نشر العديد من الأعمال حول الفلسفة، النظرية الإشتراكية، التطور البيولوجي، أصل المؤسسات الإجتماعية والسياسية ... إلخ. وبعد وفاة ماركس، لعب دورا مركزيا في توجيه وبناء الحركة البروليتارية في مختلف البلدان. من خلال مراسلته المستمرة مع الإشتراكيين الآخرين، لعب دورَ مركزٍ ما كان له أن يكون لولاه آنذاك. وهو ما قام به إلى حدود وفاته في 5 غشت 1895.

ركز جزء كبير من مؤلفات ماركس وإنجلز على النضال ضد الإنتهازية التي بدأت تتقوى مع تنامي الحركة. شكل أتباع فرديناند لاسال، إحدى أهم هذه التوجهات، كانوا حاضرين في الأممية الأولى، لكنهم واصلوا عملهم سنوات بعد ذلك. كان فيرديناند لاسال مؤسس أول حزب اشتراكي للطبقة العاملة سنة 1863 في ألمانيا. **اللاسالية كانت انتهازية لأنها كانت تثبط**

الفصل الحادي عشر: نشر الماركسية ونهوض الإنتهازية

كانت الفترة التي تلت الكومونة مطبوعة بالقمع الرجعي للبرجوازية على الحركة العمالية. وهو ما كان له تأثير على الأممية الأولى. كان الفرع الفرنسي هو الأكثر تضررا، أغلب أعضائه، الذين أصبحوا لاجئين سياسيين في بلدان أخرى، وكانوا يخوضون معارك فصائلية داخله.

شهدت الحركة العمالية الألمانية أيضا نكسة بسبب سجن قادتها الماركسيين الرئيسيين، بيبل وليبكنخت، اللذان عارضا الحرب وضم الجهات الفرنسية الألزاس ولورين. أي أن أكبر فرعين للأممية كانا معاقين بشكل كبير، في الوقت نفسه، شهد الفرع الإنجليزي انشقاقا عندما قرر بعض القادة مغادرة المنظمة بسبب مساندة ماركس للكمونة. هذا، بالإضافة إلى مناورات الفوضويين، وهو ما أدى إلى إضعاف الأممية. قرر ماركس وإنجلز نقل مقرها من لندن إلى نيويورك. اتخِذ هذا القرار في مؤتمر 1872. إلا أن الأممية، التي ضَعَفت للغاية، لم تستطع معاودة النهوض من جديد ليتم حلها سنة 1876.

هذا الحل لم يوقف رغم ذلك الماركسية، حيث تم تأسيس أحزاب بروليتارية جديدة. بعد كمونة باريس، كانت هناك 35 سنة من السلم، بدون حرب كبرى بين الدول الرأسمالية في القارة الأوربية. خلال هذه الفترة، شهدت الحركة العمالية في البلدان الأكثر تصنيعا انتشارا سريعا. وأقامت الأحزاب الإشتراكية، التي كانت تتشكل أساسا من عناصر بروليتارية، هياكل كبيرة. نمت، تحت قيادتها بشكل كبير النقابات، الجرائد، تعاونيات العمال ...إلخ. كانت في الغالب تشتغل خارج الشرعية، وشاركت بنجاح في البرلمانات البرجوازية. من هذه الأحزاب ولدت سنة 1889

هذه الإستجوابات، قدم التحليل الجيد في مختلف البلدان.
الماركسية تعطي إذن مرة أخرى الإجابات الصحيحة.

لعدم وجود قيادة واضحة للكمونة ، فإن جميع قراراتها كانت تحمل بوضوح بصمة البروليتاريا الباريسية. وعلى الرغم من حالة الحصار الدائمة التي عرفتها، أظهرت الكومونة أول إلهام للمجتمع الذي سينتج عن الثورة البروليتارية. وقدمت التجربة الأولى للبروليتاريا على رأس الدولة - ما أطلق عليه ماركس وإنجلز أول تجربة لدكتاتورية للبروليتاريا.

على الرغم من نقاط ضعفها، قدمت الكومونة دروسا قيمة للنضالات المقبلة للبروليتاريا. وهي الدروس التي قام بإبرازها ماركس. الخطأ الأول للكمونة كان هو غياب قيادة واضحة ومركزية من طرف حزب بروليتاري واحد. من خلال هذا، استخلص ماركس أن نجاح الثورة يمر بالضرورة من خلال وجود قيادة حزب بروليتاري قوي، منظم ومدرك للوضعية. النقطة الأخرى، التي أشار إليها ماركس مرارا، هي ضرورة الإسراع بتفكيك جهاز الدولة. قصد بناء الدول العمالية المقبلة، لا يمكن الإعتماد على أدوات الدولة البرجوازية حيث يكون الموظفون السامون هم أكثر المدافعين عن الإستقرار الإجتماعي. في الواقع، ينبغي أولا تحطيم جهاز الدولة بأسرع ما يمكن والتخلص من الإداريين المرتبطين به.

في فترة التراجع والقمع الذي تلا الكومونة ، حصل ارتباك كبير وسط القوى الثورية، حول الطريقة التي يحللون بها تجاربها والخلاصات الصحيحة التي يجب استخلاصها منها. كان الفوضويون، الذين شاركوا بكثرة في الكومونة ، عاجزين عن القيام بذلك. تحليل ماركس أعطى موقفا واضحا سمح بمواجهة هذا الإرتباك. كما ساعد ماركس على تعميم التحليل الجيد للكمونة للعالم أجمع. بعد الكومونة ، فصورته الرجوازية بكونه القائد الفعلي للكمونة، كما قامت الصحافة العالمية بمحاورته. وبفضل

القضايا العسكرية، كان يبعث أيضا في موضوع الدفاع العسكري للكمونة. على الرغم من أن قيادة الكومونة كانت تحت أيدي أعضاء مجموعات وتوجهات أخرى، بذل الماركسيون كل ما في مقدورهم لتوطيد أنشطتها والدفاع عنها. بعد فشل الكومونة ، أصبحت الأممية المنظمة الوحيدة التي كانت قادرة على التكفل بإقامة ومساعدة الكمونيين المنفيين على العثور على عمل بعيدا عن القمع الوحشي للبرجوازية الفرنسية.

سرعان ما حيا ماركس الكومونة باعتبارها حدثا ذا أهمية تاريخية، وقام بتحليلها بشكل عميق محاولا استخلاص الدروس من تجربتها. هذا العمل، "الحرب الشعبية في فرنسا"، كُتِب في خضم الكومونة . لكن لم يتمكن من الصدور إلا يومين بعد اندحارها. **وقد ساعد على الدعاية لإنجازات الكومونة وإعطاء الثوريين والعمال في العالم قراءة صحيحة لهذا الحدث.**

أكد ماركس أولاً على الإنجازات الإيجابية والثورية العظيمة التي اتخذتها الكومونة ، والتي قدمها كحاضنة للمجتمع الجديد. وأشار إلى القرارات السياسية الرئيسية التي تمثلت في الفصل بين الكنيسة والدولة، إلغاء الإعانات الكنسية، واستبدال الجيش المحترف بالميليشيات الشعبية، والانتخابات والسيطرة على جميع القضاة والمحاكم ، والحد من أجور جميع ممثلي الشعب ومساءلتهم أمام الناخبين وما إلى ذلك. وتمثلت التدابير الاجتماعية-الاقتصادية الرئيسية للكومونة في التعليم المجاني والمعمم ، وإلغاء العمل الليلي في المخابز، وإلغاء غرامات أصحاب العمل على الأجور في ورش العمل، إغلاق مكاتب الرهونات، الاستيلاء على المصانع التي تخلت عنها تعاونيات العمال، التعويضات عن البطالة، وتقنين المساكن ومساعدة المديونين. وقد أظهرت جميع التدابير المذكورة أعلاه أنه نظرا

للعمال، بينما اتهم زعماء فرنسا وبروسيا بإثارة الحرب. بسبب دعاية الأممية، سادت روح الأممية القوية بين العمال الألمان والفرنسيين. وسُجن أغسطس بيبل وفيلهلم ليبكنخت، وهما عضوان في البرلمان وزعيما حزب البروليتاريا الألماني بسبب تصويتها ضد ائتمانات الحرب البروسية بينما كانا أعضاء ماركسيين في الأممية الأولى.

في بداية الحرب، وصفها ماركس بكونها حربا دفاعية من جانب ألمانيا نظرا للطبيعة الرجعية والقمعية لنظام نابليون الثالث. وتنبأ بسقوط هذا الحاكم الرجعي. عندما حصل ذلك، كتب ماركس وثيقة جديدة يطالب فيها العمال الألمان بمعارضة ما تحول إلى حرب غزو من قبل ألمانيا، وطالب بالسلام مع فرنسا والإعتراف بالجمهورية الجديدة. بالنسبة له، هذه الجمهورية كانت تقودها الأريستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة. ومع ذلك، شعر أنه من السابق لأوانه محاولة قلب الجمهورية لتشكيل حكومة عمالية. في الحقيقة، عارض ماركس أية محاولة للتمرد في باريس. في الواقع ، كان العدو الألماني قد حاصر بالفعل باريس وكان هناك احتمال ضئيل للغاية بأن تتمكن الانتفاضة من الإستمرار في ظل هذه الظروف.

على الرغم من توجيهات ماركس، حاول مناضلون من مختلف الميول الفوضوية والتآمرية، الذين كان لهم صيت في باريس، تنظيم انتفاضات. بعد أن اندلعت الإنتفاضة بالفعل، عبر ماركس عن دعمه التام والنضالي للكمونة، على الرغم من أنه كان يعارض انطلاقها من قبل. وسرعان ما أقر بأهميتها التاريخية، وبعث مئات الرسائل عبر العالم في محاولة لدعم الثورة. وقد حافظ على صلاته بالكمونيين عن طريق رسائل كان يبعثها لأعضاء الأممية منهم. وبعد استشارة إنجلز الذي كان خبيرا في

لتشكيل مجلس الكومونة المشكل من 92 عضوا. هذا المجلس، الذي ضم العديد من العمال بالإضافة إلى أعضاء في الأممية الأولى أصبح جهازا لحكم الكومونة. اتخذ العديد من الإجراءات التقدمية لتنظيم الحياة السياسية والإدارية في المدينة، وحصل بذلك على دعم مجموع العمال. كانت حكومة كمونة باريس تتعرض لهجومات مستمرة. ونظرا لخوفهم من قوة الطبقة العاملة، اتحد المضطهِدون الألمان والفرنسيين للقضاء عليها. وقد ساعدت ألمانيا بشكل مباشر حكومة تييرس عن طريق فك أسر جزء كبير من الجيش الفرنسي الذين كانوا قد تعرضوا للأسر سنة 1870. شرعت الحكومة الفرنسية التي تقوت بفضل هذا الدعم، في إطلاق حملة للاستيلاء على باريس. قاتل العمال بشراسة، لكنهم قواهم لم تكن في مستوى كفاءة جيش محترف وجيد التجهيز. بعد عدة أيام من القتال البطولي الذي خلف آلاف الشهداء، تم سحق الكومونة في 28 ماي 1871. وبعد استيلاء حكومة فيرساي على باريس، تم قتل ما يزيد عن 30.000 من الكمونيين بدم بارد. كما تمت محاكمة أكثر من 45.000 شخص ، وأُعدم العديد منهم بينما تم إرسال آخرين إلى السجن أو في غيانا الفرنسية أو إلى المنفى. كانت البرجوازية مصرة على إعطاء درس للعمال حتى لا يحلموا أبدا بالإستيلاء على السلطة من جديد.

كانت الأممية الأولى في ذروة جاذبيتها الشعبية أثناء الحرب الفرنسية-البروسية وكمونة باريس. كانت تمتلك قاعدة عريضة بين العمال وتقدم بانتظام توجيهات بشأن القضايا السياسية. عندما اندلعت الحرب الفرنسية-البروسية قام ماركس على الفور بإصدار وثيقة نيابة عن المجلس العام للأممية الأولى. **هذه الوثيقة هي واحدة من التطبيقات الأولى للمبادئ التكتيكية الماركسية المتعلقة بالحرب.** دعا ماركس إلى التضامن الأممي

الفصل العاشر: دروس كمونة باريس

شكلت كمونة باريس أول مرة في التاريخ تستولي فيها البروليتاريا على السلطة وتحاول فرض قانونها. إلا أنها لم تتمكن من توطيد سيطرتها وتم القضاء عليها في ظرف 72 يوما. ورغم ذلك فإن تجربتها لها أهمية تاريخية عالمية. خلال هذه الفترة الوجيزة من وجودها أعطت نظرة على ما يمكن أن يكون عليه المجتمع الجديد. وبفضل إيجابياتها وكذا أخطائها، أعطت دروسا قيِّمَة للطبقة العاملة في العالم أجمع. **ماركس من خلال دوره كزعيم للأممية الأولى، لخص دروس هذه التجربة العظيمة بالنسبة للبروليتاريا العالمية.**

سياق كمونة باريس تسببت فيه الحرب الفرنسية-الألمانية ل 1870-1871. هذه الحرب التي انطلقت في يوليوز 1870 عندما أعطى امبراطور فرنسا الرجعي نابليون الثالث الأمر بمهاجمة بروسيا (التي أصبحت، بالإضافة إلى أقاليم أكثر صغرا، ألمانيا منذ 1871)، لأنه كان يعتقد خطأ أن البروسيين كانوا في وضعية ضعف. لكن سرعان ما انهزمت جيوشه واستسلم نابليون الثالث وتم أسره من قبل البروسيين في شتنبر 1870. استسلام نابليون الثالث تلاه تأسيس جمهورية بقيادة رجل سياسي يدعى تييرس Thiers. وهو الذي وقع ميثاق السلام مع الألمان في مارس 1871. لم تستسلم باريس لحكومة تييرس، رغم محاصرتها من طرف الجيش البروسي منذ شتنبر 1870. كانت المدينة تحت سيادة الحرس الوطني، المشكل أساسا من العمال. وفي 18 مارس 1871، قرر تييرس إرسال جيشه إلى باريس لنزع سلاح الحرس الوطني. وهو ما أشعل انتفاضة قُتِل فيها جينرالان من الجيش الفرنسي، ليضطر للتراجع. كانت السلطة بباريس كليا في يد الحرس الوطني الذي نظم في الأسبوع الموالي انتخابات

استطاعت الحفاظ على فعاليتها العملية. كما أن الماركسية ولم تعد تقتصر على المجموعات الصغيرة، بل أصبحت ظاهرة جماهيرية حقيقية. امتد تأثيرها إلى حركات البروليتاريا في مختلف البلدان الصناعية. وشكلت القيادة الأيديولوجية للأحزاب البروليتارية المستقلة. وقادت حركة بروليتارية ضخمة، بدأت بالفعل في تهديد البرجوازية. لقد عززت الماركسية روابطها واندماجها مع جماهير الطبقة العاملة.

تكن منظمة منحصرة في مجموعات صغيرة من الثوريين. في الواقع، انضمت إليها مختلف مجموعات العمال، خصوصا من انجلترا وفرنسا، وكانت تضم أعدادا هائلة من العمال. غير أن أغلب هذا المنظمات لم تكن تمتلك فهما واضحا وصحيحا. رغم أنها كانت تتشكل من أساسا من العمال، كان مستوى الوعي الطبقي أقل منه لدى ثوريي عصبة الشيوعيين. لذا كان من اللازم أن تراعي صياغة البرنامج والتأسيس هذا الواقع. الخط الصحيح وجب أن يتم عرضه بطريقة تجعله مقبولا من طرف المنظمات العضو في الأممية. وقد كان ماركس بعمقه الإيديولوجي الكبير وخبرته العملية، الشخص الوحيد في تلك الفترة الذي يمكنه صياغة وثيقة من هذا النوع. وفي السنوات الموالية، كان أيضا هو الذي يكتب مختلف الوثائق الأكثر أهمية للأممية الأولى.

كانت إذن الماركسية وحدها هي التي تمكنت من إعطاء التصور الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي للأممية الأولى. إن تنفيذ هذا التصور يعني صراعا مستمرا ضد مختلف النزعات الفوضوية والانتهازية التي نشأت داخل الحركة. من بين أمور أخرى، عارض الفوضويون تنظيمًا قويًا، في حين كان الانتهازيون معارضين لصراع قوي. ومن خلال مكافحة هذه الانحرافات، عمل ماركس وإنجلز على بناء المنظمة الأممية كمنظمة جماهيرية للنضال، وتوحيد العمال في أوروبا وأمريكا. لقد قاما بذلك بشكل جيد، وفي الوقت نفسه، تم تشكيل أحزاب بروليتارية مستقلة في العديد من الدول الصناعية عبر العالم.

في عهد كمونة باريس عام 1871 ، كانت الماركسية قد تجاوزت موقعها في زمن ثورة 1848. إذ لم تعد مجرد ميل من ميولات الاشتراكية وفقط. لقد شطب التاريخ العلامات القديمة للإشتراكية الطوباوية ، وكانت الماركسية وحدها هي التي

نشر مقالات في الجريدة الأمريكية الكبرى نيويورك تريبون. وهو ما لم يكن كافيا طبعا لأسرة ماركس. فكانت معرضة لفقر مستمر، وديون وحتى للجوع. في العديد من المرات، قاموا برهن أثاث منزلي حتى يشتروا ما يأكلون. كان لماركس ستة أبناء، لكن ثلاثة منهم فقط عاشوا ليتجاوزوا مرحلة الطفولة. عندما ماتت إبنته الصغرى تم تأخير الدفن لبضعة أيام إلى أن تم تدبير ما يكفي من المال لذلك. كان ماركس نفسه يعاني من عدة أمراض، اضطر أن يقاومها ليواصل عمله.

خلال هذه الصعوبات الإقتصادية، كان إنجلز هو المدعم الأساسي لعائلة ماركس. بعد فشل ثورة 1848، اضطر أن يشتغل في مكتب والده في مانشستر. اشتغل هناك طيلة عشرين سنة، في البداية كسكرتير، ثم طيلة الخمس سنوات الأخيرة كشريك إلى حدود سنة 1869. خلال هذه الفترة، كان يحصل على دخل مهم، يساعد به ماركس بانتظام.

مساعدة إنجلز لم تقتصر على الجانب الإقتصادي. على الرغم من أنه لم يكن لديه ما يكفي من الوقت الحر بسبب عمله، بذل كل جهوده من أجل مواصلة دراساتهما المشتركة. واستمرا في تبادل الرسائل والأفكار بدون انقطاع. طالما استشار ماركس إنجلز في القضايا الهامة، خصوصا القرارات المتعلقة بحركة الطبقة العاملة الأممية.

وأخيرا أعطت مجهوداتهما أكلها سنة 1864 بتأسيس الجمعية الأممية للعمال – الأممية الأولى. سرعان ما صار ماركس رئيسا لها وقد كان أساسا المسؤول عن صياغة برنامجها الأول وعن تأسيسها. بيد أن برنامج الأممية لم يكن يتضمن الكلمات القوية للبيان الشيوعي. الأممية الأولى على عكس عصبة الشيوعيين لم

في الفترة التي تلت، واصل ماركس كتاباته حول جميع الأحداث السياسية الكبرى في جميع أنحاء العالم. في كل هذه النصوص، قدم منظورا واضحا من وجهة نظر البروليتاريا. وهذا ما يميزه عن جميع أنواع الاشتراكية الأخرى، التي أثبتت عدم قدرتها على تقديم إجابات ملموسة على الوضع العالمي المتغير باستمرار. لقد أثبت بوضوح تفوق الماركسية على الأشكال أخرى من الاشتراكية كأداة عملية لفهم العالم وتغييره.

في الوقت نفسه عمل ماركس بعزم شديد من أجل توحيد المنظمات الضعيفة والمتشتتة للطبقة العاملة. تعرضت عصبة الشيوعيين، التي كان مركز عملها في فرنسا، لقمع شرس من طرف الشرطة البروسية. حيث اعتقل عدد كبير من أعضائها وتم حل المنظمة نفسها في نونبر 1852. طيلة الفترة الطويلة للتراجع التي تلت فشل ثورة 1848، حاول ماركس وإنجلز باستمرار إعادة تنظيم وإطلاق الحركة العمالية. إذ بالإضافة إلى الكتابة ونشر أعمالها، حافظا على الصلات الدائمة بمنظمات الطبقة العاملة في مختلف البلدان، خصوصا في إنجلترا، فرنسا وألمانيا. هدفهما الدائم كان هو بناء منظمة أممية للطبقة العاملة وتنظيم الأجزاء المختلفة للبروليتاريا في البلدان الصناعية.

العمل الأساسي في هذا الإطار قام به ماركس. حيث اشتغل طيلة هذه الفترة في ظروف صعبة جدا. بعد أن طاردته حكومات مختلف البلدان، حتى بعد استقراره في لندن، كان تحت مراقبة الشرطة السرية، خصوصا البروسية. بالإضافة إلى القمع السياسي طالما عاش ماركس في ظروف مادية صعبة. ونظرا للحالة السيئة والضعف التنظيمي للحركة العمالية الثورية خلال تلك الفترة، لم يكن من الممكن له أن يتفرغ للنضال الثوري طيلة الوقت. إذ كان مصدر رزقه الوحيد هو ما كان يحصل عليه مقابل

للبروليتاريا الناشئة في ألمانيا. حتى أن ماركس وإنجلز حاولا تشكيل حزب جماهيري بجمع عمال من جمعيات في مختلف مقاطعات ألمانيا. استمرت الصحيفة لمدة سنة. مع انهيار الثورة في ألمانيا وأجزاء أخرى من أوروبا ، كان على النشر أن يتوقف و طُرِد ماركس من قبل ملك بروسيا. تقاعد إلى باريس، لكنه غادر بسرعة بسبب الاضطهاد من قبل السلطات الفرنسية. بقي إنجلز في ألمانيا كجندي في الجيوش الثورية حتى نهاية الثورة. بعد الهزيمة العسكرية، هرب، وبحلول نهاية عام 1849 انضم إلى ماركس، الذي استقر في لندن. ثم بقيا في إنجلترا حتى وفاتهما.

لقد زرعت هزيمة ثورة 1848 البلبلة وسط الثوريين ومناضلي البروليتاريا في جميع أنحاء أوروبا. معظم الميول المهيمنة السابقة للاشتراكية لم تتمكن من أن تقدم أي تفسير لأسباب هذا التراجع الثوري. كانت الحركة متحللة إلى درجة أن ماركس قرر تحليل القوى الاجتماعية الكامنة وراء انتصار ثم هزيمة الثورة. وبما أن فرنسا كانت المركز ونقطة الانطلاق الرئيسية لظهور الاحتجاج وتراجعه، ركز ماركس تحليله على الأحداث الفرنسية. هذا ما فعله من خلال أعماله الرائعة ، "صراع الطبقات" في فرنسا ، 1848-1850 و "الثامن عشر من برومير لويس بونابرت". التي شكلت المحاولات الأولى لماركس لتفسير الأحداث التاريخية من خلال التصور المادي للتاريخ. لقد حلل بوضوح تام القوى الطبقية الكامنة وراء كل من الانتكاسات الكبيرة للوضع في الثورة. وهكذا قدم القاعدة الطبقية للتكتيكات الثورية للبروليتاريا. عن طريق عرض دور الطبقات المختلفة في مراحل مختلفة، أظهر من هم أصدقاء وأعداء الثورة، وبالتالي شكل تعاطي البروليتاريا مع كل منهم.

الفصل التاسع: الماركسية توطد صلاتها بالطبقة العاملة

كما رأينا سابقاً ، كان ماركس وإنجلز منخرطين بشكل عميق في الجماعات الشيوعية الثورية في أربعينيات القرن التاسع عشر ، وقد جاءا لقيادة عصبة الشيوعيين ، وهي هيئة دولية تضم الثوريين من مختلف البلدان الأوروبية. كما كتبا برنامجها - البيان الشيوعي - الذي أصبح ذا أهمية تاريخية عالمية. ومع ذلك، في تلك الفترة - **في عام 1848 - كان تأثير الماركسية لا يزال يتطلب الوصول إلى الجماهير الضخمة للطبقة العاملة**. كان تأثير العصبة الشيوعية محدودًا وكانت تتشكل بشكل رئيسي من العمال والمثقفين في المنفى. في الواقع، في ذلك الوقت، **لم تكن الماركسية سوى واحدة من الاتجاهات العديدة للاشتراكية.**

شكلت **ثورة 1848** ، التي كانت تنتشر في القارة الأوروبية ، **أول حدث تاريخي كبير أثبتت فيه الماركسية قيمتها في الممارسة.** كان ماركس وإنجلز في بروكسل عندما اندلعت الثورة في فرنسا. طردت الحكومة البلجيكية ماركس من بروكسل، خوفا من انتشار الثورة، وأجبرته على المغادرة إلى باريس حيث انضم إليه إنجلز. ونظرا لأن الموجة الثورية انتشرت لتصل إلى ألمانيا، قرر كلاهما الاستقرار هناك من أجل المشاركة مباشرة في الأحداث الثورية.

هناك، حاولا تعزيز عمل عصبة الشيوعيين والجمعيات العمالية. أصدرا صحيفة يومية، جريدة نيو راين جازيت، التي كانت بمثابة أداة دعاية للخط الثوري. انحازت الصحيفة إلى جانب الديمقراطية البرجوازية الراديكالية لأنها رأت أن الانتهاء من الثورة الديمقراطية البرجوازية هو المهمة الرئيسية في ألمانيا. في نفس الوقت كانت الصحيفة بمثابة المنظم للحزب الثوري

الوحيدة التي لها المصلحة والقدرة على بناء الإشتراكية.

حلل ماركس الطريقة التي تعمق بها كل أزمة تناقضات النظام الرأسمالي. إذ وصف الصيرورة التي تظهر أنه عند كل أزمة يتركز الرأسمال في أيدي فئة قليلة من الرأسماليين. وهذا يحصل بالموازاة مع البؤس والتذمر الذي يتفجر وسط جماهير العمال. وكلما اشتدت تناقضات الرأسمالية، ازدادت الإنتفاضات الثورية قوة، وهو ما ينتج عنه في آخر المطاف الثورة، أي انتزاع رأسمال الرأسماليين وبناء مجتمع اشتراكي يتسم بالطابع الاجتماعي للملكية المتوافق مع الطابع الإجتماعي للإنتاج.

بهذه الطريقة، أخرج ماركس انطلاقا من الوحدة الأساسية للإقتصاد – أي البضاعة-، طابع القوانين الإقتصادية التي تحكم الرأسمالية. وهو بذلك يعطي الأساس الإقتصادي العلمي للثورة الإشتراكية وكذلك الطريق نحو الشيوعية.

السوق كل ما يُنتِجه الرأسمالي.

أوضح ماركس أن أداء الرأسمالية نفسه يؤدي بشكل لا محيد عنه إلى الأزمة. وأبرز كيف أن الرأسماليين، في سعيهم الدائم إلى تحقيق المزيد من الربح، يزيدون الإنتاج بحماقة. لكن في الوقت نفسه يحاول كل رأسمالي الحفاظ على معدل ربح مرتفع من خلال تخفيض أجور العمال حتى لو أدى ذلك إلى تفقيرهم. الطبقة العاملة هي القسم الأكبر من المجتمع وفقرها يعني بشكل أوتوماتيكي انخفاض القدرة الشرائية ونقص الطلب على البضائع المعروضة في السوق. هكذا فالرأسمالية تسعى من جهة إلى زيادة انتاج البضائع لبيعها في السوق بينما من جهة أخرى تخفض القدرة الشرائية لشريحة كبيرة من المشترين في نفس السوق. **هذا يؤدي بشكل طبيعي إلى تناقض صارخ بين، من جهة توسع الإنتاج ومن جهة أخرى تناقض السوق. النتيجة أزمة زيادة الإنتاج في سوق مغرق ببضائع بدون مشترين. مما يؤدي إلى إفلاس العديد من الرأسماليين**. والمئات من العمال يتعرضون للطرد ويصبحون عرضة للمجاعة بينما المخازن مليئة بالسلع التي لا يملك أحد الوسائل لاقتنائها.

خلص ماركس أيضا إلى أن فوضى هذه الأزمات لا يمكن حلها إلا بالقضاء على التناقض الرئيسي في الرأسمالية بين الطابع الإجتماعي للإنتاج والطابع الخاص للملكية. وهذا لا يمكن أن يتم إلا عن طريق تدمير النظام الرأسمالي وبناء الاشتراكية والشيوعية لإعطاء الطابع الإجتماعي لملكية وسائل الإنتاج. أوضح ماركس أن القوة الإجتماعية التي ستكون مصدر هذه الثورة خلقتها الرأسمالية بنفسها، إنها البروليتاريا . البروليتاريا وحدها هي التي ليست لديها مصلحة في استمرار نظام الإستغلال والملكية الخاصة الحالي. البروليتاريا هي الطبقة

المنتجين الفرديين في مجموعة واحدة: السوق، إلا مع النمو الهائل للأموال وظهور الرأسمالية. حيث أن الرأسمالية تحول عمل البروليتاريا إلى سلعة يتم شراؤها وبيعها بحرية في السوق.

يبيع الأجير قوة عمله لمالك وسائل الإنتاج، أي للرأسمالي. يقضي العامل جزءً من وقت عمله في إنتاج ما يعادل أجرته، أي ما هو ضروري لتغطية تكاليف الإعالة له ولعائلته. الجزء الآخر من يوم عمله يُصرَف على إعالة ونمو الرأسمالي. البروليتالي لا يأخذ إطلاقا أجره على هذا الإنتاج الذي يعود بكامله إلى الرأسمالي. **هذه القيمة الزائدة التي ينتجها كل العمال بالإضافة إلى القيمة الضرورية لأداء أجورهم، يسميها ماركس فائض القيمة. وهي مصدر ربح وثروة الطبقة الرأسمالية.**

اكتشاف فائض القيمة فضح طبيعة الإستغلال الذي تتعرض له الطبقة العاملة. كما سلط الضوء على مصدر العداء بين البروليتاريا والبرجوازية. هذا العداء الطبقي هو التجلي الرئيسي للتناقض الرئيسي في المجتمع الرأسمالي: التناقض بين الطابع الإجتماعي للعمل والطابع الخاص للملكية. اكتشاف فائض القيمة تم وصفه من طرف إنجلز باعتبارها **ثاني اكتشاف مهم لماركس** (إضافة إلى التصور المادي للتاريخ). **قال لينين أن نظرية فائض القيمة هي حجر الزاوية في النظرية الإقتصادية لماركس.**

حلل ماركس أيضا بتفصيل الأزمات الدورية التي تعرفها الرأسمالية. فأوضح أن هذه الأزمات هي أيضا تجلي للتناقض الرئيسي للرأسمالية. وكشف خطأ الإقتصاديين البرجوازيين الذين كانوا يدعون آنذاك أن الرأسمالية تستطيع أن تواجه أي أزمة وأن اشتغال السوق سيحل مشاكله. لقد حاولوا خلق نموذج يباع فيه في

الفصل الثامن: الإقتصاد السياسي الماركسي

كما رأينا سابقاً ، طور ماركس مبادئه للاقتصاد السياسي في استمرار ومعارضة لإقتصاد البرجوازيين والاقتصاديين الإنجليز. معظم كتابات ماركس الاقتصادية في الفترة من 1844 إلى 1859 هي نقد للاقتصاد السياسي البرجوازي. لقد أثبت أن النظريات البرجوازية التي اعتقدت أن الرأسمالية نظام دائم وعالمي كانت خاطئة. ومقابل ذلك، أثبت أن الرأسمالية لا يمكن أن توجد إلا لفترة زمنية محدودة وأن مصيرها الزوال والاستعاضة عنها بنظام اجتماعي متميز. ركزت تحليلاته الاقتصادية اللاحقة، لا سيما مجلدات **مؤلفه الرئيسي، رأس المال، على اكتشاف القوانين الاقتصادية للرأسمالية. يشكل التحليل المتعمق لعلاقات الإنتاج في ظل الرأسمالية، في أصولها، تطورها، ومصيرها، المحتوى الرئيسي للاقتصاد السياسي لماركس.**

لطالما استند الاقتصاديون البرجوازيون في تحليلهم على شكل العلاقة بين الأشياء ، مثلا تبادل سلعة مقابل أخرى. ومع ذلك ، أظهر ماركس أن الاقتصاد لا يهتم فقط في الحقيقة بالأشياء ، بل يتعلق بالعلاقات بين الناس ، وفي نهاية التحليل بالعلاقات بين الطبقات.

بما أنه في ظل الرأسمالية إنتاج السلع هو الذي يهيمن، بدأ ماركس تحليله بالبضاعة. وأشار إلى أن تبادل البضائع ليس مجرد تبادل للسلع، بل هو تعبير عن علاقة بين المنتجين الفرديين في المجتمع مرتبطين ببعضهم البعض عن طريق السوق. حتى لو كانت البضاعة موجودة منذ آلاف السنين، ففقط ، فالبضاعة لم تصل إلى ذروتها من خلال ربط الحياة الاقتصادية لملايين

يستخدموا هذا الأساس لإيجاد طريقة لوضع حد للصراعات الطبقية من أجل بناء الاشتراكية والشيوعية.

كانت النظرية الماركسية واضحة من الناحية العلمية لدرجة أن معظم الاشتراكيين المخلصين في أربعينيات القرن التاسع عشر رفضوا بسرعة اشتراكيات ما قبل الماركسية التي لم تحلّل الطبقات. أصبح ماركس وإنجلز قادة الخط الأيديولوجي داخل الحركة الاشتراكية. عندما تم إنشاء منظمة أممية جديدة في عام 1847 لتوحيد العمال والمفكرين والثوريين في جميع البلدان، أصبحا قادة. لقد كانا هم اللذان اقترحا اسم عصبة الشيوعيين وطُلِب منهما كتابة برنامجها. هذا البرنامج هو العمل التاريخي للماركسية ، بيان الحزب الشيوعي.

لم يكن "بيان الحزب الشيوعي" هو فقط البرنامج الأول والخط العام للبروليتاريا الدولية. بل عالج أيضا مبادئ الاشتراكية العلمية ومقاربتها تجاه جميع أنواع الاشتراكية الأخرى. مع ترجمته السريعة إلى العديد من اللغات الأخرى، أتاح البيان إمكانية نشر الماركسية في أوروبا والعالم. وظلت المبادئ المبينة في هذا الكتاب، في جوهرها، ثابتة وقابلة للتطبيق لأكثر من 150 سنة حتى يومنا هذا.

وكما قال ماركس نفسه، فإن الصراع الطبقي لم يكن من اختراعه. بل، كان الاشتراكيون الأوائل وحتى بعض الكتاب البرجوازيين على وعي تام بهذه المشكلة. ومع ذلك، **فإن الفرق الأساسي هو أن نظرية الصراع الطبقي الماركسي أظهرت كيف أن هذا الكفاح يؤدي حتمًا إلى الاشتراكية والشيوعية.**

أولاً، أوضح ماركس أن الطبقات ليست أمرا جديدا بل وُجِدت منذ زمن طويل في المجتمع البشري. وأبرز أنه كانت هناك فترة طويلة في التاريخ حيث لم يكن هناك طبقات على الإطلاق (الشيوعية البدائية). وستكون هناك أيضا فترة في المستقبل لن يكون هناك أي طبقة أيضا. **ثانيا**، حلل ماركس على وجه الخصوص الصراع الحالي بين البرجوازية والبروليتاريا ، وكشف كيف سيقود هذا الكفاح العمال إلى الثورة وإقامة ديكتاتورية البروليتاريا، أي الاشتراكية. **ثالثًا**، أشار ماركس إلى أن ديكتاتورية البروليتاريا نفسها كانت فترة انتقال إلى مجتمع جديد. لا تستطيع البروليتاريا أن تطور نفسها إلا بتدمير نفسها كطبقة، بإلغاء كل الطبقات وإقامة مجتمع لا طبقي ، أي الشيوعية.

نظرية الصراع الطبقي هذه هي التي طورها ماركس وأنجلز ونشراها وقاما بتطبيقها في حياتهما. **هذه النظرية هي التي جعلت الاشتراكية علمًا، وأسست الاشتراكية العلمية. بهذا المعنى، لم تعد الاشتراكية نتاجًا لعقول برجوازية لامعة، بل كانت النتيجة الضرورية للصراع بين طبقتين اجتماعيتين تاريخيتين - البروليتاريا والبرجوازية**. بفضل الاشتراكية العلمية، لم تعد مهمة الاشتراكيين هي محاولة تطوير أكثر الأنظمة كمالاً وانسجاماً وعقلانية. مع الاشتراكية العلمية ، على الاشتراكيين أن يحللوا المجتمع وتاريخه والأساس الاقتصادي لتناقضاته، وأن

شكلت الفوضى في الإنتاج الرأسمالي سبباً آخر لظهور هذه النظريات الجديدة. **إذ حاول الاشتراكيون الطوباويون إنشاء أنظمة عقلانية تلبي احتياجات الإنسانية بطريقة منظمة ومتناغمة**. وقد تمكن بعضهم من إقناع الرأسماليين والحكومات بأن نظمهم الاشتراكية كانت أكثر عقلانية وتخطيطًا ، وبالتالي مرغوبة ، أكثر من الرأسمالية. لذا حاولوا الحصول على أموال من الأغنياء لتمويل مشاريعهم الكبيرة.

كان العيب الرئيسي للمذاهب ما قبل الماركسية هو أنه لم يكن لديهم فهم حقيقي للتناقضات والصراعات الطبقية التي تحدث في المجتمع. وحتى لو كانت أفكارهم، هم أنفسهم، نتاج هذه التناقضات ، فإن الإشتراكيين الطوباويين لم يدركوا على الإطلاق أنه من الضروري للغاية قيادة الصراع الطبقي من أجل تحقيق الاشتراكية. في حين أن أفكارهم كانت في الواقع انعكاسا لتطلعات البروليتاريا الناشئة ، كما **لم يعترف الاشتراكيون الطوباويون بالأهمية المركزية للدور الثوري للبروليتاريا في السير بالمجتمع نحو الاشتراكية**.

عندما اتصل ماركس وانجلز بالجماعات الاشتراكية والشيوعية ، حاولا إقناع الاشتراكيين الطوباويين بأن أفكارهم غير صحيحة. فشاركا بشكل مكثف في مناقشات مع العديد من المجموعات الثورية حيث تمت مناقشة هذه النظريات. كان هدفهما قبل كل شيء إعطاء أساس علمي للنظرية. ولهذا، كان عليهما أن يظهرا العيوب وسوء الفهم لدى الاشتراكيين الأوائل وأن يعيدا الاشتراكية إلى الأساس السليم للنظرية الماركسية للصراع الطبقي.

الفصل السابع: الصراع ضد الاشتراكية الطوباوية وتأسيس الاشتراكية العلمية

الإشتراكية الطوباوية هو المصطلح المستعمل لوصف الحركات الرئيسية للإشتراكية الما قبل ماركسية، التي ولدت وأصبحت مهمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. مصطلحا: "طوباوية" (مشتق من Utopia، التي هي حالة مفترض أن يكون فيها كل شيء مثاليا) و "اشتراكية" أصبحا شعبيين منذ سنة 1830. **استُخدِما لوصف مجموعة من المفكرين الذين طوروا نظريات لتغيير المجتمع على أساس من المساواة والقضاء على الفردانية، الأنانية والتنافسية.** هؤلاء المفكرين وأتباعهم طالما حاولوا ترسيخ نظرياتهم في تجمعات صغيرة مثالية حيث كل الأعضاء يعملون ويتقاسمون نتاج عملهم على أساس تعاوني. كانوا يعتقدون أن هذا النوع من التجارب يمكن اتخاذه كمثال يُتَّبَع في المجتمع ككل. من هذا المنطلق، لم يكونوا يهتمون بالصيرورة الحقيقية التي تجري في المجتمع من أجل بناء الإشتراكية. عوضا عن ذلك، كانوا يعتقدون أن عقلانية خططهم وأفكارهم نفسها كافية لإقناع الشعب وقيادته نحو تغيير المجتمع.

كانت الإشتراكية الطوباوية قبل كل شيء رد فعل على القمع واستغلال العمال في ظل الرأسمالية. إذ أعطت البروليتاريا دماءها للقضاء على الإقطاعية. ومع ذلك فإن شعارات الحرية، المساواة والأخوة البرجوازية كانت تعني الحرية للطبقة الرأسمالية وتشديد الإستغلال للعمال. **مختلف النظريات الإشتراكية انبثقت عن بروز التناقضات الطبقية بين الرأسماليين والعمال. وهي تحتج ضد الإستغلال وتحاول بناء نظام يؤدي إلى العدالة لفائدة العمال.**

عرقلة تطور القوى المنتجة. ما لم تتغير علاقات الإنتاج، فإن القوى المنتجة لن تستطيع التطور. هذه المرحلة التي تتحول فيها علاقات الإنتاج إلى أغلال تعرقل تطور القوى المنتجة هي بداية الثورات الإجتماعية. الثورة ضرورية لتغيير علاقات الإنتاج، أي العلاقات بين مختلف الطبقات في المجتمع. عندما يتم ذلك وتتحطم علاقات الإنتاج والملكية، أي عندما يتغير الأساس الإقتصادي، يتغير البناء الفوقي بدرجات متفاوتة من السرعة.

التصور المادي للتاريخ هو أول اكتشاف كبير لماركس، أنجزه في 1844-1845. لقد كان الأساس الذي بنيت عليه الركائز الأخرى الكبرى للنظرية الماركسية.

في السنوات الموالية، طور ماركس وإنجلز ومعلمون ماركسيون آخرون بعمق أكبر فلسفة البروليتاريا، إلا أن المبادئ الأساسية للمادية الجدلية والتاريخية المذكورة أعلاه تظل جوهر هذه الفلسفة.

جديدة وثورية لفهم المجتمع والتحولات الإجتماعية والثورات السياسية لا باعتبارها اكتشافات من طرف بعض الأشخاص اللامعين وأدمغتهم بل كنتاج لصيرورة المجتمع. هذا يبرز لكل الثوريين أن الطريق نحو التغيير الإجتماعي يوجد في فهم المجتمع وفي صياغة أفكار التغيير.

نقطة البداية للفهم المادي للتصور المادي للتاريخ هي مستوى تطور **العلاقات المادية للإنتاج، أي الأدوات، الآلات، المهارات ... إلخ**. أوضح ماركس أنه بناء على مستوى تطور القوى المنتجة، يمكننا أن نحدد علاقات الإنتاج، أي **علاقات الملكية والسيطرة على وسائل الإنتاج**. مثلا، عندما تكون القوى المنتجة متخلفة مثل: المطاحن الهوائية وعمل الحيوانات، تعطينا علاقات إنتاج إقطاعية، بينما القوى المنتجة الحديثة مثل الجرارات، عندما تكون معممة، تولد علاقات إنتاج رأسمالية. **علاقات الإنتاج هذه تشكل البنية الإقتصادية للمجتمع، أو الأساس الإقتصادي للمجتمع**.

على هذا الأساس الإقتصادي للمجتمع يقوم بناء فوقي قانوني وسياسي تطابقه بنيات اجتماعية محددة من الوعي. أكثر من ذلك قال ماركس أن نمط الإنتاج (الذي يضم القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج) يحدد الحياة الإجتماعية، السياسية والفكرية بشكل عام. هكذا، مثلا نمط الإنتاج الإقطاعي يولد اضطهادا شديدا للنساء والطبقات الدنيا بالإضافة إلى نظام لاديمقراطي. من جهة أخرى تقلل الرأسمالية من الإضطهاد الإجتماعي وتؤدي إلى خلق بعض الحقوق الديمقراطية البرجوازية.

في مستوى محدد من تطور القوى المنتجة تدخل في صراع مع علاقات الإنتاج القائمة. علاقات الإنتاج القديمة هذه تبدأ في

دوائر بدون أي تطور أو تغيير حقيقي. رفض ماركس المادية الميكانيكية لأنها لا تسمح بفهم التحولات والتغييرات التاريخية.

لهذا، اضطر ماركس أن يلجأ إلى الديالكتيك، الذي هو علم القوانين العامة للحركة. جوهر الديالكتيك هو أنه يفهم الأشياء في تفاعلها وتناقضاتها. الديالكتيك إذن كان قادرا على تقديم فكرة الحركة والتطوير التي كانت ماركس يعرف أنها ضرورية لتغيير العالم.

في هذه الفترة، كانت فلسفة هيغل وقوانين الديالكتيك (التي درسها ماركس بعمق) الأكثر تقدما في أوربا. لكن هيغل كان قد صاغ قوانين الديالكتيك الخاصة به من منظور مثالي بجعلها غير قابلة للتطبيق إلا على مستوى الفكر. كان ينتمي إلى المعسكر المثالي ورفض الإعتراف بأن الطبيعة والحقيقة الإجتماعية لهما الأسبقية وأن الروح والأفكار ثانوية. لم يكون يقبل أن نظام تفكيره نفسه هو نتاج لتطور المجتمع البشري في مستوى محدد. كان يرفض فهم أن قوانينه نفسها كانت تشكل انعكاسا لقوانين الطبيعة والمجتمع. وهكذا، كما عبر عن ذلك ماركس، فديالكتيك هيغل "كان يمشي على رأسه"، وهو ما يعني أنه كان منافيا للعقل وغير منطقي. فقلبه ماركس "على قدميه"، بمعنى جعله عقلانيا. بجعل المادية أساسا للديالكتيك. أخذ ماركس قوانين الديالكتيك من هيغل وأعطاها طابعا ماديا. جعل إذن من قوانين فكر هيغل قوانين للطبيعة والمجتمع. فصاغ المادية الديالكتيكية، التي هي جوهر الفلسفة الماركسية.

بإعطاء الديالكتيك أساسه المادي والعقلاني، حوله ماركس إلى فلسفة للثورة. طبق مع إنجلز المادية الديالكتيكية في دراسة المجتمع واكتشفا بذلك التصور المادي للتاريخ. الذي كان وسيلة

الفصل السادس: أسس الفلسفة الماركسية: المادية الجدلية والتاريخية

كما رأينا ذلك مرارا، أكد كل من ماركس وإنجلز أن كل فلسفة ينبغي أن تكون عملية ومرتبطة بالعالم الواقعي. هذا ما عبر عنه ماركس بوضوح في مقولته الشهيرة:" حتى الآن، قام الفلاسفة بتفسير العالم بمختلف الطرق، في حين أن المهم هو تغييره".

بهذا يقصد ماركس أن المرء لا ينبغي أن يصبح "فيلسوفا" مثل أونفراي أو أساتذة جامعاتنا الذي يظلون جالسين على كنباتهم لكتابة كتب غير مقروءة عن إيجابيات الروح. ماركس لا يرى ضرورة لصياغة فكر ما لم يسع إلى تغيير العالم. بحثه الأول هو محاولة فهم كيف يتغير العالم، قصد المشاركة في هذا التغيير. ما كان يهمه إذن هو الفلسفة التي تستطيع أن تكون قابلة للتطبيق في الممارسة الإجتماعية.

من أجل هذه الغاية، كان على ماركس الإنحياز إلى جانب واحد من التقسيمات الأساسية للفلسفة– التقسيم بين المثالية والمادية. هذا التعارض يطرح تساؤلا بسيطا: من الأسبق، الروح أم المادة؟ أولئك الذين ينحازون إلى جانب الروح ينتمون إلى معسكر المثالية بينما ينتمي الذين ينحازون للمادة إلى معسكر المادية. المثالية ترتبط في الغالب بالدين. و باعتبار كل من ماركس وإنجلز رجال ممارسة، معارضين تماما للمعتقدات الدينية، كان من الطبيعي أن يؤسسا بثبات الماركسية في المعسكر المادي.

بقيامهما بذلك من المؤكد أنهما تأثرا وساعدتهما كتابات فيورباخ والفلاسفة الماديين في تلك الفترة. غير أن هؤلاء الفلاسفة كانوا **فلاسفة ميكانيكيين** يفهمون المادة والمجتمع مثل آلة تدور في

باريس قضى وقتا مهما مع زعماء وأعضاء العديد من المجموعات الإشتراكية والثورية. **فأخذ –ماركس- أفضل ما في الإشتراكية وأعطاه الأسس العلمية للصراع الطبقي. وطور بهذه الطريقة الماركسية، يعني الإشتراكية العلمية.**

هكذا إذن انبثقت الماركسية عن المصادر الثلاثة الكبرى في ما كان أكثر الجهات تقدما في العالم، أوربا. **المصادر الثلاثة للماركسية –الفلسفة الألمانية، الإقتصاد السياسي الإنجليزي والنظريات الإشتراكية الفرنسية- تتناسب مع المكونات الثلاثة الأساسية لهذه الأيديولوجيا الجديدة – الفلسفة الماركسية للمادية الديالكتيكية، الإقتصاد السياسي الماركسي والإشتراكية العلمية**. في الصفحات الموالية، سنحاول فهم جوهر كل من هذه المكونات.

اكتشافه الأساسي هو تطوير نظرية القيمة-العمل، التي تبين أن كل قيمة يخلقها عمل. ثم حلل بعدها اقتصاديون آخرون أسباب الأزمات المتكررة في ظل الرأسمالية.

كان الإقتصاد السياسي الإنجليزي يخدم مصالح الرأسمالية الصناعية. إذ لعب دورا في المعركة ضد النبلاء. في حين لم يدفع الإقتصاديون أبدا أبحاثهم إلى حد يضر بمصالح الطبقة البرجوازية. بالنسبة لريكاردو مثلا، رغم أنه طور نظرية القيمة-العمل، لم يعرض الإستغلال الناتج عن العمل من قبل الطبقة البرجوازية. كان لزاما انتظار ماركس ليقوم بذلك. إذ دفع تحليلات الإقتصاديين الإنجليز لتتجاوز الحدود المرسومة من طرف الطبقة الرأسمالية واستخلص منها خلاصات ثورية ضرورية. هكذا طور ماركس مبادئ الإقتصاد السياسي الماركسي.

5) المصدر الثالث للماركسية هو **النظريات الإشتراكية في المرحلة، التي جاءت أساسا من فرنسا**. هذه النظريات كانت تعرض آمال وطموحات الطبقة البروليتارية الصاعدة. شكلت في الوقت ذاته انعكاسا للإستغلال الرأسمالي وللتمرد ضد القمع من قبل الطبقة العاملة. كانت فرنسا آنذاك مركز المجموعات والنظريات الثورية التي تُلهِم أروبا كلها. فكان من الطبيعي أن تأتي النظريات الإشتراكية أيضا من فرنسا.

6)

أغلب هذه النظريات كانت تتضمن مشاكل كثيرة لأنها لم تكن مستندة إلى تحليل علمي للمجتمع. في كل الأحوال كانت تمثل قطيعة مع الفردانية والمصلحة الشخصية وتنافسية النظريات البرجوازية. درس ماركس إذن هذه النظريات الإشتراكية والشيوعية قبل صياغة المبادئ الماركسية للإشتراكية العلمية. في

تفكير بدلا عن ذلك.

ومع ذلك، رغم كون هذه الطبقة تضم العديد من الموظفين، كانت لديها العديد من الجوانب المتناقضة. أحيانا تميل نحو البرجوازية الصناعية والبروليتاريا، وأحيانا أخرى نحو الطبقات الإقطاعية. وهذا ما انعكس إذن على الفلسفة الألمانية وكان له في الوقت نفسه جانب تقدمي وجانب مناهض للتقدمية. نجد هذا بارزا على الخصوص في فلسفة هيغل التي استند عليها كثيرا كل من ماركس وإنجلز. **فقررا رفض كل الجوانب الرجعية التي تشرعن المجتمع الإقطاعي، وطورا فكرهما حول الأجزاء التقدمية والثورية، قصد بناء الفلسفة الماركسية.**

3) الإقتصاد السياسي الإنجليزي هو الملهم الثاني للماركسية. بما أن إنجلترا كانت مركز الثورة الصناعية، كان من الطبيعي أن تبلغ دراسة الإقتصاد السياسي وقوانينه أوجها في هذا البلد. فهو حقل جديد للدراسة بدأ ينمو مع ازدهار الرأسمالية الحديثة. كان يسعى إلى خدمتها وتبريرها وتمجيدها. يعطي الإقتصاد أيضا الحمولة الفكرية للبرجوازية الصاعدة في معركتها ضد النبلاء.

4)
بدأ الإقتصاد السياسي بشكل فعلي، في المملكة المتحدة، سنة 1776 مع إصدار المؤلف الشهير لآدام سميث "ثروة الأمم". لقد دافع في هذا الكتاب على أنه إذا كانت الرأسمالية حرة في تطورها فستقود إلى تقدم البشرية. مطالبا إذن بتقليص الإجراءات الرقابية من كل نوع من قبل الإقطاعيين على الطبقة الرأسمالية. يعتبر دافيد ريكاردو اقتصاديا شهيرا آخر لعب دورا هاما في معركة البرجوازية ضد الملاكين العقاريين. فهو الذي أكد أنه كلما تقدمت الرأسمالية، كلما انخفض معدل ربح الرأسماليين.

الفصل الخامس: مصادر الماركسية الثلاثة

منذ بداية سرد سيرة حياة كل من ماركس وإنجلز، اتضح أنهما رجلان عبقريان. غير أنه، من الواضح أن الماركسية لم تكن مجرد اختراع ناجم عن هاذين الدماغين اللامعين وفقط. بل أن **التحولات السوسيو-اقتصادية في المرحلة هي التي وضعت أساس انبثاق الإيديولوجية البروليتارية الحقة. مضمون وشكل هذه الإيديولوجيا هما، بالتالي، نتاج الصراعات التي خيضت في ميادين الفكر الأثر أهمية في المرحلة**. كان ماركس وإنجلز مثقفان، وكان لهما فهم عميق للتطورات الأخيرة في التفكير في البلدان الأكثر حداثة في مرحلتهما. فاستطاعا بذلك الإستناد على المفكرين العظماء السابقين لهما وتبني ما هو جيد، ورفض ما لم يكن كذلك. **وبذلك كانا قادرين على بناء هيكل ومضمون الماركسية.**

نسعى إذن إلى فهم مصادر الماركسية. لنر ما هي مجالات التفكير التي استندت عليها أفكار مؤسسي الماركسية.

1) المصدر الأول للفكر الماركسي هو **الفلسفة الكلاسيكية الألمانية**. كيفما كانت الإيديولوجيا ينبغي أن تجد أسسها في فلسفة أخرى وقد رأينا أن ماركس وإنجلز يمتلكان دراية كبيرة بالفلسفة الكلاسيكية الألمانية.

2)
أصبحت الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، بين سنتي 1760 و 1830، أكثر المدارس الفلسفية تأثيرا في أوربا. وجدت أساسها في الطبقة الوسطى الألمانية. هذه الطبقة التي كانت متقدمة فكريا لكنها لم تنل بعد السلطة السياسية للقيام للثورة، ولا الموارد الإقتصادية للقيام بالثورة الصناعية. قد يكون هذا ما قادها إلى بلورة نظم

فكر إنجلز في الثماني أشهر الموالية في تكثيف الدعاية الشيوعية والعمل التنظيمي في ألمانيا. خلال هذه الفترة، كان في تمرد مستمر ضد والده الذي عارض كليا أفكاره الشيوعية وكان يريد منه الإشتغال معه في المصنع. بعد أسبوعين في مكاتب والده، تخلى عنه إنجلز كليا وغادر بارمن لينضم إلى ماركس. خلال هذه الفترة، كان ماركس قد أصبح هدفا للسلطات الفيودالية. إذ ضغط الملك البروسي على ملك فرنسا قصد ترحيله من باريس. وأجبِر على الإنتقال إلى بروكسيل ببلجيكا صحبة زوجته و طفله ذو الثمانية أشهر. هنا ذهب إنجلز واستقر بمنزل مجاور لمنزل ماركس.

في هذه الأثناء، عمل ماركس بجد وطور السمات الرئيسية للتصور الجديد للعالم الذي كان قد ناقشه هو وانجلز في لقائهما السابق. وفي بروكسيل، بدآ عملا مشتركا مكثفا. كان هدف هذا العمل هو، كما قال إنجلز، تطوير هذا التصور الجديد في مختلف اتجاهاته. والنتيجة كانت الكتاب التاريخي، الأيديولوجية الألمانية، الذي لم ينشر إلا بعد مائة سنة من كتابته. أتاح الكتاب للمفكرين الكبيرين توضيح أفكارهما القديمة ووضع ركائز الرؤية الجديدة للعالم، التي ستسمى فيما بعد الماركسية. هنا أصبح كل من ماركس وإنجلز ماركسيان !

معيشة وعمل البروليتاريين في المدينة. وكان يزور باستمرار أحياء الطبقة العاملة لامتلاك معرفة مباشرة. في خضم هذا العمل نشأ حب بين إنجلز وماري بورنز، عاملة إيرلندية أصبحت بعد ذلك رفيقة حياته وزوجته. بالموازاة مع تجميع المادة الضرورية لإنجاز كتابه المقبل حول أوضاع الطبقة العاملة في إنجلترا، حاول إنجلز فهم الإمكانات الثورية للبروليتاريا. وقد أقنعته مشاركته المستمرة في الحركات الإجتماعية أن الطبقة العاملة لم تكن فقط طبقة معاناة بل كانت خصوصا طبقة مكافحة ستبني نضالاتُها الثورة المستقبل.

بالإضافة إلى اتصالاته بالطبقة العاملة، أعد إنجلز أيضا دراسة معمقة لمختلف النظريات الإشتراكية والشيوعية، والتقى بالعديد من القادة والكتاب الفرنسيين والألمان الذين صاغوا هذه النظريات. وعلى الرغم من أنه لم يتبن أيا منها، فقد قام بتحليل لنقاطها السلبية والإيجابية. في الوقت نفسه شرع في دراسة الإقتصاد السياسي البرجوازي. وذلك بهدف المساعدة على فهم العلاقات الإقتصادية في المجتمع. إذ كان قد بدأ يشعر أنه من هنا يأتي أساس التغيير الإجتماعي. ووضع أولى نتائج دراسته في مقال نُشِر من طرف ماركس في جريدته الصادرة في باريس. كما رأينا ذلك أعلاه، وهذا ما أدى إلى بدء المراسلات بين الرجلين وإلى لقائهما التاريخي سنة 1844.

كان إنجلز في طريق عودته من بارمن إلى مانشستر، عندما توقف لمقابلة ماركس الذي كان يقيم في باريس. وقد ساعدت نقاشاتهما ماركس على صياغة جيدة للفهم المادي للتاريخ الذي كانا قد بدآ في تبنيه. كما كتبا في الوقت نفسه كتابهما المشترك الأول، الذي كان ردا هجوما على برونو باور والهيغليين الشباب الذين انتميا إليهما من قبل.

باعتقاداته الديمقراطية. لكنه لم يحز تقدما في هذا الإتجاه إلا بعد أن أنهى تدريبه في بريم سنة 1841، وبعد بضعة أشهر، انتقل إلى برلين لمدة سنة من الخدمة العسكرية.

أثناء أدائه لخدمته العسكرية، قام بالتسجيل في جامعة برلين كطالب خارجي وتابع دروسه في الفلسفة. اتصل بمجموعة الهيغيليين الشباب، المجموعة التي كان ينتمي إليها ماركس. وعلى غراره تأثر كثيرا بالبراهين المادية التي جاء بها كتاب فيورباخ الذي نشر في نفس السنة. هذه الكتابات بدأت تُبرِز بعض الجوانب المادية. أهم شيء ركز عليه هو العمل السياسي. وهو ما جعله ينسحب سنة 1842 من مجموعته *ألمانيا الفتاة*، التي كان يشعر فيها أنه مقتصر على النقاشات الأدبية. واستمر في الإرتباط بقوة بالهيغيليين الشباب، وخصوصا ببرونو باور وأخيه.

هذا التقارب بين إنجلز وآل باور هو الذي منع صداقته مع ماركس، عندما التقيا للمرة الأولى في نونبر 1842. كان إنجلز قد أنهى خدمته العسكرية حديثا وكان على وشك الإلتحاق بوالده كمساعد في مانشستر بإنجلترا. وفي طريقه، زار ماركس في مكاتب جرائد كولونيا حيث كان مدير تحرير. وكان ماركس قد بدأ انتقاد الهيغيليين الشباب، وخصوصا آل باور، على تركيز دعايتهما على الدين وليس بما يكفي على السياسة. لهذا، واعتبارا لارتباطات سياسية لم يحصل التقارب بين ماركس وإنجلز أثناء لقائهما الأول.

تجارب إنجلز في إنجلترا هي التي جعلت منه شيوعيا. إذ ربط علاقات تقارب مع عمال مانشستر، وأصبح قائدا للحركة الثورية الشارتية. مانشستر كانت أهم مركز لصناعة النسيج في العالم الحديث، وسرعان ما أنجز إنجلز دراسة معمقة حول أوضاع

على الرغم من أنه تم وضع حد لمشوار دراسته الرسمية، استمر انجلز في الدراسة في أوقات فراغه، حيث درس التاريخ، الفلسفة، الأدب واللغات. وكان مستمرا في كتابة الشعر، باعتبارها ممارسة كان مرتبطا بها. في السنة الموالية، أي 1838، تم إرساله كمتدرب في شركة كبرى في ميناء بريم Brême. حيث أن المناخ العام للمدينة الكبيرة وضع إنجلز في صلة مع الصحافة والأدب الأجنبي. خلال هذه الفترة، بدأ في قراءة الروايات والكتب السياسية. واستمر في تعلم لغات أجنبية جديدة، وبصرف النظر عن الألمانية كان يعرف اللاتينية، اليونانية، الإيطالية، الإسبانية، البرتغالية، الفرنسية، الإنجليزية، الهولندية ... هذه السهولة في تعلم اللغات استمرت معه طيلة حياته التي تمكن خلالها من إتقان أكثر من 20 لغة بما فيها الفارسية والعربية. في بريم تعلم أيضا أن يصبح سباحا ماهرا، سيافا، فارسا ومتزحلقا.

أثناء تواجده في المدرسة، صارع إنجلز البيروقراطية. وبعد أن أصبح رجلا، كانت تجتذبه الأفكار الراديكالية الديمقراطية البرجوازية التي كانت تتشكل في ألمانيا. تعتبر مجموعة ***ألمانيا الفتاة*** *Jeune Allemagne* أول مجموعة ارتبط بها، وهي مجموعة أدبية كانت تتبنى وجهات نظر راديكالية. سرعان ما بدأ يكتب لجريدة كانت المجموعة تنشرها عبر ميناء هامبورغ. غير بعيد عن بريم. كتب مقالين عن الوضع في بلاده. فأظهر الإستغلال الوحشي الذي يعاني منه العمال في بريم وإيلبيرفيلد، الأمراض التي كانوا يعانون منها، وهم مجبرون على العمل في المصانع. كان أيضا يهاجم إيمان وتدين البرجوازيين المستغِلين (بما فهم والده).

في أواخر سنة 1839 بدأ يدرس هيغل، وحاول أن يربط فلسفته

ساعدهما على إتمام اتفاقهما التاريخي. إذ في هذه الفترة توصلا إلى المفهوم المادي للتاريخ، الذي يشكل حجر الزاوية في الماركسية.

ولد فريديريك إنجلز يوم 28 نونبر 1820 في مدينة بارمن بإقليم الراين في بروسيا. والده كان هو الثري مالك مصنع نسيج وكان متدينا بروتيستانتيا متشددا وذا فكر رجعي.

بارمن مثلما هو حال تريي (مسقط رأس ماركس)، كانت تنتمي إلى الجزء البروسي الذي شهد عشرين عاما من الإحتلال الفرنسي. حيث ظلت التأثيرات التقدمية بارزة فيها أيضا. ورغم ذلك فميزتها الأساسية كانت هي كونها إحدى أكبر المراكز الصناعية في الراين، ما جعل إنجلز شاهدا منذ صغره على بؤس واستغلال البروليتاريا. إذ كان الحرفيون، من أجل الصمود أمام المنافسة، مجبرين على الإشتغال ليل نهار. غالبا ما كانوا يخفون بؤسهم في الكحول. وكانت عمالة الأطفال وأمراض الشغل مثل الأمراض الصدرية، عملة يومية.

ارتاد انجلز مدرسة بارمن إلى حدود سن 14 سنة. ليتم إرساله بعد ذلك إلى ثانوية في مدينة مجاورة إلبيرفيلد (حاليا تشكل المدينتان مدينة واحدة). Gymnasium (إعدادية/ثانوية في ألمانيا) كانت تحظى بشهرة كونها إحدى أفضل المؤسسات في بروسيا. كان إنجلز تلميذا ذكيا أظهر سهولة مبكرة في تعلم اللغات. كان أيضا عضوا في حلقة شعراء وسط التلاميذ وكان يكتب أشعاره بالإضافة إلى قصص. كان يعتزم دراسة الإقتصاد والحقوق لكن رغبة والده في أن يكون أكبر أبنائه وريثا له في الصناعة. جعلته يخرجه فجأة من المدرسة ليلتحق به كمتدرب.

واستعداداته للإنتقال إلى باريس حيث كان قد خطط لإصدار ***الحوليات الفرنسية-الألمانية***. هذا الإنتقال كان قد تقرر منذ فترة لتفادي الرقابة البروسية. وبالرغم من هذا الإستعداد، وبينما كان من المزمع أن تكون الجريدة شهرية، فشلت بعد إصدار أول عدد لها في فبراير 1844.

اتسمت الفترة الباريسية لماركس بتجارب جديدة مهمة له. احتكاكه المباشر بالعديد من المجموعات الشيوعية والإشتراكية، التي كانت باريس مليئة بها أكثر من أي مدينة أخرى في القارة، هذا الإحتكاك كان ذا أهمية قصوى. بالإضافة إلى التقائه بالعديد من المنظرين، استفاد ماركس من مرافقته الدائمة للعمال الثوريين في باريس. في نفس الوقت، بدأ يدرس الإقتصاد السياسي، الذي كان قد قرأ فيه أشهر الأعمال الكلاسيكية الإنجليزية في المرحلة. كان للقاءاته الثورية ودراساته تأثير، برز في كتاباته.

كانت للحوليات أهمية قصوى لكونها تضمنت التعميم الأول للفهم الماركسي المادي للتاريخ، الذي تضمنه المقال المُنتقِد لفلسفة هيغل. إذ في هذا المقال صاغ ماركس نظرته الهامة جدا للدور التاريخي للبروليتاريا. ومن هنا أيضا تأتي عبارته الشهيرة "الدين أفيون الشعوب". هذا العدد تضمن أيضا مقالا لإنجلز حول الإقتصاد السياسي، وهو يعطي أيضا رؤية مادية لتطور الرأسمالية الحديثة.

اهتمام ماركس بكتابات إنجلز هو الذي قادهما إلى اللقاء في باريس ما بين 28 غشت و6 شتنبر 1844. وهو اللقاء الذي يعتبر لقاء تاريخيا ساعد المفكرين الكبيرين على توضيح أفكارهما ووضع الأسس لما سيصبح فيما بعد "الماركسية". رغم أنهما وصلا بشكل مستقل أحدهما عن الآخر لنفس الخلاصات، فهذا

الروسي، مارس هذا الأخير ضغطا على الملك البروسي لكي يتصرف. فتم منع الجريدة وأغلقت في مارس 1843. بدأ ماركس في الإنخراط في مشروع إطلاق جريدة جديدة، *Deutsch-Franzosische Jahrbucher* *(الحوليات الفرنسية-الألمانية)*

خلال هذه الفترة، من 1841 إلى 1843، كان ماركس منخرطا بعمق في الحياة السياسية التي كانت تجري آنذاك. بيد أنه كان ما يمكن تسميته "ديمقراطيا راديكاليا" ولم يكن بعدُ آنذاك يتبنى وجهة نظر شيوعية. على مستوى الفلسفة، تعتبر سنة 1841 أكبر تحول له، بعد أن قرأ كتاب *جوهر المسيحية* للودفيغ فيورباخ الذي قدم نقدا للدين من منظور مادي. هذا المؤلف لعب دورا هاما في تغيير أفكار ماركس من مثالية الهيغليين الشباب نحو المادية. وهناك عمل آخر أثر في ماركس كان عبارة عن محاولة من قبل صديقه، موس هيس Moses Hess، لتطوير فلسفة شيوعية بدمج الإشتراكية الفرنسية وأفكار الهيغليين الشباب، وهو (الترجيحية الأوربية) سنة 1841.

ومع ذلك، آنذاك لم يكن ماركس يمتلك سوى معرفة محدودة بأفكار الإشتراكيين والشيوعيين. أول احتكاك له معها حصل سنة 1842، عندما درس بعناية مؤلفات العديد من المنظرين الإشتراكيين الفرنسيين المهمين. **لم يقتنع بالشيوعية والإشتراكية انطلاقا من هذه الكتب. إذ أن التغيير الفعلي الذي حصل له جاء بعد احتكاكه بمجموعات العمال الشيوعيين ودراسة الإقتصاد السياسي، هذان الأمران حصلا في باريس سنة 1843.**

بعد سبع سنوات من خطوبتهما، **تزوج ماركس وجيني في يونيو 1843**، وأثناء شهر عسلهما القصير بسويسرا، كتب ماركس كراسة كان ينتقد فيها هيغل. بعد هذا السفر، بدأ دراسته

التي كانت خارج سيطرة البروسيين.

بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، كان يرغب في أن يصبح أستاذا في جامعة بون التي انتقل إليها برونو باور سنة 1837. لكن باور نفسه كانت لديه مشاكل ناتجة عن الإضطرابات التي كانت تخلقها دروسه المناهضة للدين. في الأخير أصدر الملك نفسه أمرا بعزل باور من جامعة بون. وهو ما يعني نهاية مشوار باور كأستاذ، وكذا إجهاض أي أمل في أن يشتغل ماركس كأستاذ.

ركز ماركس على **الصحافة**، وهو الأمر الذي بدأه مباشرة بعد خروجه من الجامعة. وهذا ما ساعده أيضا على المشاركة في **المعارضة المتصاعدة للحركات الراديكالية الديمقراطية** التي كانت تنمو في إقليم الراين وفي الجهة المجاورة لويستفاليا. هذه الأقاليم كانت قد قامت بتجربة إصلاحات مناهضة للفيودالية، تحررية مستمدة من الفرنسيين وكانت تشكل مراكز هامة لمعارضة الملك البروسي. كان التصنيع يؤدي أيضا إلى انبثاق البرجوازية، وخصوصا في كولونيا، المدينة الأكثر غنى في الراين. هذا يعني أن هذه المعارضة الديمقراطية كانت تحصل على دعم قوي من قبل الرأسماليين الصناعيين، الذين سئموا من السلطة الفيودالية المفرطة.

كان ماركس في البداية يكتب لجريدة، **الجريدة الرينانية** (***Rheinische Zeitung***)، ليصبح بعدها مدير تحريرها في أكتوبر 1842. بين يدي ماركس تحولت الصحيفة بسرعة إلى أداة نضالية من أجل الحقوق الديمقراطية الراديكالية. وهو ما وضع ماركس في صراع مستمر مع الرقابة البروسية التي كانت شديدة القمع. أخيرا، عندما نشرت الجريدة نقدا لطغيان القيصر

بروسيا، وكانت تعتبر مركزا أكاديميا كبيرا. ومباشرة بعد أن قام بالتسجيل في دروسه أُخِذ ماركس في دوامة من العمل. كان يظل مستيقظا ليلة بعد أخرى، يأكل في أي وقت، يدخل كثيرا ويقرأ كتبا سميكة ويملأ دفاتر الملاحظات. عوض عن الدروس النظامية، كان ماركس يفضل أن يدرس بنفسه. كان يشتغل بوتيرة يسمح فيها لنفسه بالإنتقال من القانون إلى الفلسفة، ثم إلى الفن، كتابة القصص والمسرحيات الشعرية وأخيرا يعود إلى الفلسفة والشعر. إجهاده كان له أثر سلبي على صحته، خصوصا بسبب التدخين الذي دمر رئتيه. وكان أحيانا يضطر إلى الإستراحة. لكنه سرعان ما يعود إلى عاداته المفرطة، يقرأ كل شيء، من الأكثر قدما إلى أحدث الإنتاجات العلمية والفلسفية. كان يميل إلى الفلسفة لأنه كان يبحث عن المعنى الكوني، عن المطلق من حيث المبادئ والتعاريف والمفاهيم.

خلال سنته الثانية في الجامعة، تمكن من الإنضمام إلى مجموعة تتشكل من طلاب وأساتذة فلسفة تسمى **الهيغليين الشباب**. كانوا يتبنون الفيلسوف الألماني الشهير فريديريك هيغل، الذي كان يدرّس ببرلين إلى حدود وفاته سنة 1830. كانوا يحاولون إعطاء تأويل راديكالي لفلسفة هيغل، وهو ما جعلهم يسمون بالهيغليين الشباب. أحد أصدقاء ماركس في هذه المجموعة، زعيمها الفكري، كان يسمى برونو باور. كان مناضلا ملحدا يهاجم باستمرار الأساتذة المتدينين. هذه الهجومات بالإضافة إلى الرؤى السياسية الراديكالية للهيغليين الشباب جعلت أنظار السلطات البروسية تتركز عليهم. لذلك عندما أنهى ماركس رسالة الدكتوراه الخاصة به لم يتمكن من الحصول على شهادته من جامعة برلين، التي كان يسطر عليها الرجعيون المعينون من قبل الحكومة البروسية. بعد أن أنهى دراساته في برلين، قدم رسالته وحصل على شهادته من طرف الجامعة الليبرالية في جينا Jena،

مهم). وقد قام ماركس، الذي كان يرغب في تعلم أكثر ما يمكن، بالتسجيل في تسعة دروس تضم، إلى جانب الحقوق، الشعر، الأدب، الفن ... في البداية كان دقيقا يحضر لكل الدروس، لكنه سرعان ما فقد اهتمامه بها، وخصوصا بالحقوق، التي كان يجدها جافة وغير مُرضية. فقلص دروسه إلى ستة ثم إلى أربعة.

قرر أن يدرس ليجد نفسه منغمسا في حياة الطلاب المحمومة التي سيجد نفسه قائدا لها. ونظرا لاهتمامه بالشعر، أصبح عضوا في نادي الشعر Poetenbund. نادي خاص بالكتاب الشباب أُسِّس من قبل الطلاب الثوريين. وفي خضم الصراع المستمر بين أبناء الأسياد الإقطاعيين والبرجوازيين، وجد نفسه زعيما لمجموعة برجوازية. كان دائما الإنخراط في معارك الشارع وأحيانا حتى في مبارزات بالسيوف. كان يحتفظ معه بخنجر، تسبب له بالتوقيف ووضع في لوائح المراقبة من قبل الشرطة. وتم توقيفه أيضا وحبسه ليوم واحد بسبب "السكر والتسبب بالإزعاج الليلي". وتعرض ماركس للإصابة في حاجب عينه اليمنى خلال مواجهة بالسيوف. وهو ما دفع والده إلى سحبه من جامعة بون وإعادته إلى تريي في غشت 1836.

أثناء تواجده في تريي، قام سرا بخِطبة جيني فون ويستفالن، ابنت البارون فون ويستافالن، أحد النبلاء والموظفين البروسيين السامين. جيني، التي كانت تكبره بأربع سنوات، وماركس كانا يعيشان قصة حب منذ طفولتهما، كانا قد قررا أن يتزوجا منذ أن كان ماركس لازال في المدرسة. فعقدا إذن خطبتهما بموافقة عائلة ماركس وبدون موافقة عائلة جيني. التي لم يتمكنا من الحصول عليها إلا سنة 1837.

خلال أكتوبر 1836، انتقل ماركس إلى جامعة برلين، عاصمة

تعتبر مدينة تريي، مسقط رأس ماركس، أقدم مدينة في ألمانيا، شكلت لوقت طويل مقر إقامة الإمبراطورات الرومانيين وبعد ذلك مقر الأساقفة الكاثوليك، مع إدارة دينية للمدينة ونواحيها. في غشت 1794، استولت القوات الفرنسية على المدينة وأقامت إدارة مدنية. لقد جلبوا معهم الأفكار الثورية. لم تعد المدينة إلى سيطرة ملك بروسيا إلا بعد هزيمة نابليون، سنة 1815. كانت تريي إذن تحتفظ، طيلة فترة شباب ماركس، بتأثير قوي ناتج عن 20 سنة من الأفكار الثورية القادمة من فرنسا.

تريي كانت مدينة صغيرة، تشبه في حجمها قرانا الحالية، بتعداد سكاني يقدر بحوالي 12.000 نسمة. كانت آنذاك مدينة تمارس التجارة مع الجهات المجاورة، التي كانت مشهورة طيلة قرون بكرومها. كانت ساكنتها تتكون من رجال ونساء نموذجيين لمدينة "خدمات": موظفون، كهنة، تجار صغار، حرفيين إلخ. كانت المدينة قد نجت من الثورة الصناعية وبالتالي ظلت تعيش في تخلف اقتصادي. أثناء فترة شباب ماركس شهدت المدينة أيضا معدل كبيرا للفقر. وشهدت إحصائيات البطالة في المدينة أرقاما مهولة، حسب الأرقام الرسمية لسنة 1830، واحد من أربعة أشخاص كانوا في عداد العاطلين عن العمل، ولو أن الرقم الحقيقي من المحتمل أن يكون أكبر من ذلك. المتسولون والعاهرات كانوا كثرا وأرقام الجرائم الخفيفة مثل الإغتصاب كانت مرتفعة. وبالنتيجة كان ماركس منذ طفولته شاهدا على بؤس الطبقات العاملة.

بعد إنهائه للدراسة الإبتدائية التحق ماركس بإعدادية فريديريك ويلهيلم سنة 1831، التي تخرج منها سنة 1835. بعد ثلاثة أسابيع تم إرساله لمتابعة دراساته في كلية الحقوق بالجامعة على بعد 40 ميلا من تريي، في مدينة بون **Bonn** (مركز حضري

الفصل الرابع: حياة الشابين ماركس وإنجلز إلى أن أصبحا ماركسيين

طبعا، ما من أحد وُلِد ماركسيا، بما في ذلك ماركس نفسه. ينبغي أن تكون هناك صيرورة تتطور من خلالها الأفكار والآراء وتصاغ قبل أن تأخذ الشكل الأساسي لأيديولوجية. من الطبيعي أن كلا من ماركس وإنجلز كان من اللازم أن يسلكا هذا المسار قبل أن يكتشفا ويستوعبا الحقائق الأساسية لما نعرفه اليوم باسم الماركسية. صيرورة التفكير هذه تم تحديدها في جزء أكبر من خلال التجارب الملموسة التي مرا بها. إذا أردنا فهم الماركسية، ينبغي لنا أن نهتم بشكل موجز بحياة هذين المعلمين الكبيرين.

ولد كارل ماركس يوم 05 ماي 1818، بمدينة تريي (Trier)، في ما كان يُعرف بالراين البروسي، الذي يشكل اليوم جزء من ألمانيا. والده، هينريش ماركس، كان من المحامين الأكثر شهرة في المدينة. كانت عائلته ميسورة ومثقفة، لكنها لم تكن ثورية. يعود نسب والديه إلى أصول يهودية عريقة. وهذا ما يفسر أنه بالرغم من غناهم، تعرضوا للتمييز والجو المعادي لليهود الذي كان سائدا في بروسيا. في سنة 1816، أُجبِر والد ماركس على التحول إلى المسيحية نظرا لأن الحكومة البروسية آنذاك أصدرت قانونا يقضي بمنع اليهود من ممارسة المهن المرتبطة بالحقوق. وبنفس الطريقة، في سنة 1824، كان هناك قانون آخر يمنع أبناء غير المسيحيين من ولوج المدرسة العمومية. ولتجاوز ذلك، اضطر والد ماركس إلى تعميده هو وإخوته وأخواته. وبهذه الطريقة ورغم أنه لم يكن يعتقد بأية ديانة منظمة، أُجبِر والد ماركس على تبني اعتقاد جديد، فقط من أجل متابعة مهنته وضمان ولوج أبنائه إلى التعليم.

نتيجة لذلك، عرفت الحركة البروليتارية، منذ سنة 1840، نموا متسارعا، اتسم بالقوة والكثافة في العديد من البلدان الصناعية. ومع ذلك كان لا يزال ضعيفا وغير قادر على فرض تهديد على طبقة النبلاء القديمة ولا على البرجوازية المسيطرة الجديدة. رغم أن بروز البروليتاريا كطبقة مستقلة شكل حدثا ذا صدى عالمي. فانبثاق البروليتاريا كان يعني في الوقت نفسه ميلاد أفكار جديدة تعبر عن هذه الطبقة الثورية الجديدة. إذ طفت على السطح العديد من الأفكار والنظريات التي تعلن أنها تعبر عن مصالح العمال. شكلت الماركسية، عند صياغتها سنة 1840، إحداها. وعلى الرغم من أن العديد من النظريات انبثقت عن نفس الشروط الإقتصادية، إلا أن الماركسية وحدها هي التي قدمت الوسائل الكفيلة بفهم هذه الشروط وأيضا لتغييرها. لذلك أثبتت الماركسية، في السنوات الموالية، أنها الأيديولوجية البروليتارية الحقيقية.

عدد أعضائها 500.000 عضوا ما بين سنتي 1833-1834. بالموازاة مع النقابات تم الإنخراط في تعاونيات وتعاضديات. في بلدان أخرى غير انجلترا، التي كانت قد منعت النقابات، كان ذلك هو الشكل الأساسي لتنظيم البروليتاريا الصاعدة بقوة.

إذ أن منظمات العمال كانت تتنامى دون انقطاع، أطلق عمال بريطانيا العظمى سنة 1837 الحركة الشارتية، التي كانت تطالب بالحق في التصويت للعمال. وكانت هذه الحركة أول عملية واسعة، ضخمة ومنظمة سياسيا بآفاق ثورية. لجأت إلى طريقة العرائض الجماهيرية الموجهة للبرلمان، تشبه إلى حد ما حملات التوقيعات الحالية، سواء كانت عبر الأنترنيت أو في الشارع. كانت عرائضهم تحصل على خمسة ملايين توقيع. كما وصلت بعض مظاهرات الشارتيين أزيد من 350.000 مشارك وهو ما كان يُبرِز قوة البروليتاريا المنظمة. وبينما كانت الحركة تزداد قوة ونضالية، واجهت قمعا شرسا وتم القضاء عليها سنة 1850. خلال سنة 1840، بينما كان إنجلز يعيش في مانشتسر (بإنجلترا)، كان على صلة وثيقة بقادة الشارتيين وكذا مع يومية "النجم الشمالي" *The Northern Star*، وهو ما أثر عليه دون شك.

القتالية المتزايدة لحركات العمال أدت أيضا في غالب الأحيان إلى الإنتفاضات العمالية الأولى، التي تعرضت لقمع وحشي. نجد أمثلة على ذلك في انتفاضات لندن 1816 ومانشستر 1819، في ثورات عمال النسيج في ليون (كانوتس) سنوات 1831 و1834 وفي ثورات عمال النسيج بالأيدي في سيليزيا في بروسيا (بولونيا اليوم) سنة 1844. هذه المعركة الأخيرة للعمال كان لها تأثير قوي ومستدام على ألمانيا كلها وكذا على ماركس الشاب.

ذلك أساسا إلى التطور المبكر للصناعة الحديثة في هذين البلدين. انتشار الصناعة هذا على الرغم من أنه جلب للبرجوازية ثروات كبيرة، تميز في الوقت ذاته بتسببه في ظروف عيش وعمل لاإنسانية بالنسبة للبروليتاريين. إذ أن أكثر من ثلاث أرباع اليد العاملة كانت تتشكل من النساء والأطفال، لأنهم يؤدون عملا أرخص وأكثر قابلية للإدارة من قبل الرأسماليين. أُجبِر أطفال لا تتجاوز أعمارهم ستة سنوات على العمل لمدة تتراوح ما بين 14 و16 ساعة في اليوم الواحد في المطاحن وبينما كانت البرجوازية تكدس أموالا أكثر فأكثر، كان العمال يعيشون المزيد والمزيد من البؤس. وفي وقت كان فيه أرباب معامل النسيج يضاعفون ثرواتهم عدة مرات، كانت أجور العمال إلى ثُمُن ما كان يحصلون عليه من قبل.

نفهم إذن أن ظروف البروليتاريا كانت تجعل التمردات ليس فقط ممكنة، بل ضرورية. أولى انفجارات الغضب كانت عفوية وبدون توجيه حقيقي. تشكل عملية تدمير الآلات بإنجلترا سنوات 1810-1811 نموذجا لها، حيث كانت مجموعات من عمال النسيج تهاجم المصانع قصد تدمير الآلات التي أمكنهم العثور عليها. كانت تلك طريقتهم في الإحتجاج ضد الصناعة الحديثة التي كانت تدمر نمط عيشهم. هذه الإنتفاضات لم تكن لديها أفكار واضحة وكانت تتعرض لعقاب شديد، مما سرع بالقضاء عليها.

ما تلا ذلك كان عبارة عن تقدم سريع لحركات ومنظمات العمال التي كانت تعطي إجابات وتوجيها للبروليتاريا قصد النضال. النقابات الأولى، التي كانت منحصرة في العمال المؤهلين، برزت إلى الوجود سنة 1818، بتوحيد كل العمال تحت اسم " الإتحاد العام للنقابات" syndicat commerciaux généraux ». فيما كانت هذه الإتحادات تكبر، بدأت حركة وطنية تتشكل. بلغ

المجتمع يجعل منهم القوة الأكثر ثورية في التاريخ.

2) العامل الآخر المهم هو ما كان يسيطر على الوضعية السياسية في أوربا خلال تلك الفترة، يتعلق الأمر بالموجة الممتدة للثورات البرجوازية التي شنتها الطبقة الرأسمالية الصاعدة، أهمها الثورة الفرنسية سنة 1789. فالثورة الفرنسية لم تسبب فقط تغييرات راديكالية في فرنسا، بل أتت بالحروب النابوليونية، حيث قامت جيوش البرجوازية الفرنسية باحتلال أوربا كلها تقريبا وسمحت لإصلاحات إلغاء العبودية بالإنتشار أينما ذهبت. فأعطت بذلك ضربة قاتلة للملوك وقدماء طبقات النبلاء ومع ذلك فالجيوش الفرنسية انهزمت، واستعادت طبقة النبلاء مكانتها. وواصلت البرجوازية العصرية موجتها الثورية مع ثورات برجوازية أخرى عديدة (1830، 1848) التي أدت إلى الهزيمة النهائية للإقطاعية وإلى انتصار الرأسمالية، بداية في أوربا وبعد ذلك في العالم أجمع.

نلاحظ إذن، أنه على المستوى السياسي والإقتصادي، كانت فترة ولادة الماركسية هي نفسها فترة إنجازات وانتصارات عظمى للطبقة الرأسمالية، عندما كانت تسعى لبسط سيطرتها على البلدان المتقدمة عبر العالم.

3) على الرغم من أن فترة انتصار البرجوازية هذه شكلت عاملا أساسيا في ظهور الماركسية، لكن ما أعطاها حقا الولادة خلال هذه الفترة هو نمو وعي الطبقة البروليتارية والتنظيمات والحركات البروليتارية التي أبرزت انبثاق البروليتاريا كقوة مستقلة وواعية بذاتها.

حصل نمو بروليتاريا واعية بداية في إنجلترا وفرنسا. ويرجع

خصوصا في إنجلترا. وبالموازاة مع التطور السريع لهذه المعامل، يمكننا أن نسجل التوسع الهائل للسوق العالمية، التي تصدر المواد المصنعة الإنجليزية عبر العالم. رغم أن دولا أخرى مثل فرنسا، هولندا، بعض جهات ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ساهمت في هذه الإنطلاقة، فإن الثورة الصناعية قد عرفت سيطرة كبرى من طرف إنجلترا. وقد بلغت سيطرتها حد تسميتها ب"ورشة العالم"، التي تزود كل الدول بالبضائع.

حولت الثورة الصناعية الطبقة الرأسمالية. هذه الطبقة الإجتماعية كانت في الأصل طبقة متوسطة تمتلك نزرا من القوة المالية والإقتصادية (وقد سميت برجوازية، بمعنى سكان bourg، أي المدينة، حيث يعيش البرجوازيون). لكن مع الثورة الصناعية، تحولت هذه الطبقة المتوسطة إلى طبقة مليونيرات رأسمالية – الطبقة البرجوازية الحديثة. إذ أن الثروات غير المتوقعة التي حصلت عليها هذه الطبقة الجديدة، أعطتها قوة مكنتها من التخلص من طبقة النبلاء الإقطاعية، التي كانت إلى حدود تلك الفترة الطبقة المسيطرة.

في الوقت نفسه، أعطت الثورة الصناعية ولادة طبقة جديدة – العمال الصناعيين العصريين، أو البروليتاريا. هذه الطبقة كانت تتشكل من عمال مكدسين بالآلاف في معامل ضخمة وكانوا يختلفون عن عمال الفترات السابقة، الذين كانوا يعيشون ويعملون في مجموعات صغيرة وفي ورشات صغيرة. البروليتاريون المعاصرون لا يملكون شيئا سوى طاقة عملهم وكانت لديهم ثقة ووعي لم تكن تمتلكهما الأجيال السابقة. هذه الثقة اكتسبوها من احتكاكهم بالصناعة الحديثة، من الإنضباط الذي تعلموه من إيقاع المصنع، وتنظيمهم الفعال استمدوه من تعايشهم الفعال مع المئات من العمال تحت سقف مصنع واحد. ومن المحتمل أن موقعهم في

الفصل الثالث: بصدد الشروط السوسيو-اقتصادية التي انبثقت عنها الماركسية

كما سنرى لاحقا، تعلمنا الماركسية أن كل فكرة أو نظرية هي دائما نتاج بعض الشروط المادية. وكلما ظهرت شروط مادية جديدة، انبثقت أيضا بالضرورة أفكار ونظريات جديدة. هذه الحقيقة تنطبق أيضا على الماركسية نفسها. لذلك إذا أردنا أن نفهم الماركسية جيدا، ينبغي أن نولي الإهتمام للشروط المادية – أي للشروط السوسيو-اقتصادية، التي صاغ فيها ماركس وإنجلز الماركسية.

أُنشِأت الماركسية منذ أزيد من 150 سنة، خلال سنة 1840. برزت بداية في أوربا، التي كانت تسيطر آنذاك، اقتصاديا، سياسيا وعسكريا على العالم بأكمله. هذه السيطرة الكونية بلغت حدا جعل كل الحضارات المتقدمة السابقة مثل الهند، الصين واليونان تخضع لها. ماركس وإنجلز وُلِدا وعاشا في بعض الجهات الأكثر تقدما اقتصاديا في أوربا في الوقت الذي كانا فيه يطوران أفكار الماركسية. إذ لاحظا وشاركا في الأحداث السياسية الهامة في عصرهما، وتأثرا بهذه الأحداث. لكي نفهم كيف ولدت الماركسية، ينبغي لنا إذن أن نولي الإهتمام أولا لأوربا في تلك الفترة وأن نحلل العوامل الأساسية للوضعية السوسيو-اقتصادية التي كانت بها آنذاك.

1) العامل الأكثر أهمية هو **الثورة الصناعية**، التي دامت من 1760 إلى 1830، حيث انطلقت من إنجلترا، وأثرت على العالم بأكمله. وقد سميت بذلك لأن سنوات السبعينات هي التي عرف خلالها لأول مرة انفجارا وثورة في مجال التطور الصناعي. إذ خلال هذه الفترة أنشأت أولى أكبر الصناعات العصرية،

البروليتارية العظمى التعبير الملموس على هذه النظرية.

الماركسية، اللينينية والماوية ليست إيديولوجيات منفصلة، بل بالعكس تقدم النمو المستمر لنفس الإيديولوجية. سنحاول في الصفحات القادمة، رسم تاريخ وصيرورة تطور هذه الإيديولوجية. وفي الوقت نفسه سنحاول استيعاب المفاهيم الأساسية لمختلف جوانبها كما سردناها أعلاه. قد تبدو اللائحة طويلة وصعبة، لكنها لا يجب أن تثير الخوف. إذا نحن ركزنا وحاولنا فهم كل جانب بوضعه في سياقه التاريخي، سنتعلم الشيء الكثير.

الإشتراكية، فهم واضح لديكتاتورية البروليتاريا، وكذا للمبادئ الأولية المتعلقة ببناء المجتمع الإشتراكي، فقدمت بذلك النظرية والطريقة الواجب اتباعها من قبل الحركات الوطنية في المستعمرات بربطها بثبات بالثورة الإشتراكية العالمية، تطوير مبادئ تنظيم الحزب اللينيني – **حزب من صنف جديد**. بينما كان ستالين يدافع عن اللينينية، ساهم بشكل خاص في توطيد المبادئ والقوانين المتعلقة بمرحلة بناء الإشتراكية.

الماوية هي امتداد وتطوير للماركسية-اللينينية مطبقة على مرحلتنا الحالية. فقد صاغها ماو في خضم الثورة الصينية، خلال صيرورة بناء الإشتراكية، في صراع مع التحريفية المعاصرة وخصوصا أثناء الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. تتضمن إضافات الماوية : نظرية التناقضات، تطوير نظرية المعرفة وبناء خط الجماهير: « من طرف الجماهير، لأجل الجماهير»، وأيضا نظرية الديمقراطية الجديدة، إبراز الطريق نحو الثورة في البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة، تسليط الضوء على أدوات الثورة البروليتارية الثلاث: الحزب الشيوعي، الجيش الشعبي والجبهة الموحدة. من بين إضافات ماو إلى الماركسية يمكننا أن نذكر أيضا نظرية الحرب الشعبية الطويلة الأمد مصحوبة بمبادئ الإستراتيجية العسكرية. تطوير تنظيم الحزب الشيوعي عن طريق فهم صراع الخطوط وحملات التصحيح، النقد والنقد الذاتي، تطوير الإقتصاد السياسي للإشتراكية على أساس التجربتين السوفياتية والصينية و فهم ديناميكي لصيرورة البناء الإشتراكي كطريقة صحيحة لحل التناقضات التي تظل قائمة في ظل المجتمع الإشتراكي. وأخيرا، وهو الأهم، طور ماو النظرية والممارسة الضروريتين لاستمرار الثورة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا من أجل توطيد الإشتراكية، والنضال ضد التحريفية المعاصرة لمنع إعادة الرأسمالية. تعتبر الثورة الثقافية

والشيوعي.

هذا العلم يحمل اليوم من الأسماء الماركسية-اللينينية-الماوية. يستمده من ثلاث معلمين لعبوا دورا كبيرا في تطويره وتطبيقه – كارل ماركس، فلاديمير لينين وماوتسي تونغ، بالإضافة إلى هؤلاء المعلمين الثلاث نُقِرُّ بالدور الجبار الذي قام به معلمان آخران للماركسية – فريديريك إنجلز وجوزيف ستالين. إنجلز كان رفيق ماركس وبفضل تعاونه وعمله الشاق وُضِعت أسس الماركسية وكذا تطويراتها الأولى بعد وفاة ماركس. أما ستالين فقد دافع عن الماركسية-اللينينية وطورها بعد وفاة لينين.

الماركسية هي في البداية فكرة ماركس، بمساعدة إنجلز، منذ أزيد من 150 سنة. المكونات الأساسية للماركسية هي: الفلسفة المادية الديالكتيكية، اكتشاف التصور المادي للتاريخ، الإقتصاد السياسي الماركسي الذي حَيَّن قوانين الرأسمالية وتناقضاتها، نظرية فائض القيمة التي تكشف استغلال العمال، ونظرية الإشتراكية العلمية المبنية على نظرية صراع الطبقات وعلى تحليل المبادئ التي تحكم تاكتيكات نضالات البروليتاريا.

اللينينية هي ماركسية عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية. لقد صاغها لينين في خضم الثورة الروسية، بينما كان يصارع انتهازية الأممية الثانية ويعمل على توحيد الحركة الشيوعية العالمية حول الأممية الثالثة. فاللينينية في الوقت الذي كانت فيه تدافع عن الماركسية وتطورها، قدمت مساهمات رائدة للحركة الشيوعية: إذ اكتشفت قوانين حركة الرأسمالية في عهد **الإمبريالية** وكيف ستدفع لا محالة القوى الإمبريالية إلى الحرب، التطور النوعي لنظرية وممارسة الثورة البروليتارية في خضم الثورة الديمقراطية البرجوازية أكثر مما هو الوضع خلال الثورة

الفصل الثاني: ما هي الماركسية-اللينية-الماوية؟

الثورة يقودها الحزب الشيوعي، والأيديولوجيا التي توجه تفكيره وممارسته هي الماركسية-اللينينية-الماوية. هذا معروف لدى الجميع. ورغم ذلك، لازال البعض منا غير متأكدين مما تعنيه بالضبط الملم وجوانبها المختلفة. بعضنا يفهمها ببساطة باعتبارها أفكار ماركس، لينين وماو. وهو فهم غير مكتمل، سطحي وغير كافٍ. نحتاج إلى التعمق أكثر في الموضوع لفهم جوهره. لنحاول في البدء فهم أساس الماركسية-اللللينينية-الماوية.

عندما بدأ ماركس وإنجلز في تطوير ونشر النظرية الشيوعية، في سنة 1847، كتب إنجلز مسودة أسماها مبادئ الشيوعية. في هذه المسودة، يُعرّف الشيوعية كما يلي:« **الشيوعية هي تعليم شروط تحرير البروليتاريا.**» يشرح لنا إنجلز إذن، في هذا التعريف الموجز، أن جوهر الأيديولوجية الشيوعية هي تزويد البروليتاريا بالنظرية الضرورية لتحررها. هذه الحرية ستتحقق في آخر المطاف بتحقيق المجتمع الشيوعي.

وقد شرح ستالين نفس الشيء بالطريقة التالية: « **الماركسية هي العلم الذي يقوم بدراسة القوانين التي تحكم تطور الطبيعة والمجتمع، علم ثورة الجماهير المضطهَدة والمستغَلَّة، علم انتصار الإشتراكية في جميع البلدان، علم بناء المجتمع الشيوعي.**»، هنا يوضح ستالين المدى الواسع للماركسية. **أولا،** هي علم يوفر إجابات لأسئلة لا تعني المجتمع، السياسة وفقط، بل أيضا الطبيعة ككل. الماركسية إذن هي نظرية شاملة. **ثانيا،** هي علم الثورة، ثورة ليست للأغنياء (كما كان الحال في الثورات البورجوازية الماضية)، بل من طرف ومن أجل الجماهير الفقيرة والعاملة. وأخيرا، **ثالثا،** هي علم بناء المجتمع الإشتراكي

منها والسلبية، نتعلم كيف نتملك الجانب المشرق من الحركة الثورية، والتمييز بين الجيد والسيء في ممارستنا الخاصة. نتعلم إذن الإعتراف، النقد ومصارعة كل أصناف الإنتهازيات. **وبالواضح، فالماركسية-اللينينية-الماوية ضرورة مطلقة لإنزال ممارستنا على ضوء النظرية.**

تهدف هذه الدروس الأساسية في الماركسية-اللينينية-الماوية إلى أن تضع بين أيدي المناضلين الجوانب الأساسية لأيديولوجيتنا. لأن هذه الأخيرة، هي في الأصل نظرية "ممارسة" غايتها التطبيق العملي. هذه النظرية نفسها انبثقت من عدد لا محدود من الصراعات الطبقية. من الضروري إذن فهم الشروط المادية الملموسة والمجتمع الذي اكتشف وصاغ فيه معلمو البروليتاريا العظام – ماركس، انجلز، لينين، ستالين وماو - الأسس.

لأجل ذلك، تمت صياغة هذا الكتاب قصد ربط التطور التاريخي للحركة الثورية بنمو وتقدم الماركسية-اللينينية-الماوية. حيث عُرِضت فيه المفاهيم الأساسية بوضوح، وكلما أمكن بربطها بالشروط السوسيو-اقتصادية، الأحداث السياسية والصراعات الطبقية التي وَلَّدتها. ولفهم كل جانب من الجوانب المعروضة هنا بكل دقة، تنبغي دراسة معمقة. هذا الدرس الأساسي يهدف إلى وضع القواعد الأساسية لفهم الصيرورة الدينامية لتقدم الماركسية-اللينينية-الماوية بالإضافة إلى الشروط التاريخية والحيثيات التي انبثقت فيها بعض النظريات.

جيد، لنبدأ دراستنا.

الفصل الأول: مقدمة

غالبيتنا، نحن المناضلون الثوريون، نساءُ ورجالُ ميدان. نردد دوما :« لماذا نرهق أنفسنا بالنظرية والإيديولوجيا؟ فهي للطلبة و"المثقفين". الشيء الوحيد المهم هو أداء مهامنا»، المناضلون المحليون يعتقدون أنه يكفي أن تهتم اللجنة المركزية واللجان العليا بالدراسة ووضع الخط الواجب اتباعه. في غالب الأحيان، نجد حتى مناضلين من هذه اللجان العليا لا يخصصون سوى وقتا ضئيلا للنظرية، نظرا لضغط عملهم اليومي.

من جهة أخرى، يعتقد البعض أنه من الضروري معرفة كل مؤلفات معلمي الماركسية الكبار لتسير الأمور بشكل جيد. فيقضون وقتا طويلا في قراءة كل شيء. مما يجعلهم يميلون بقراءتهم إلى الدوغمائية. في أن دراستنا الماركسية لتكون مجدية، ينبغي أن تتجنب هاذين الشكلين من التعاطي.

فالكل مطالب بإعطاء اهتمام كافٍ للقراءة وفهم جوهر إيديولوجيتنا: الماركسية-اللينينية-الماوية (ملم). لكن عوض حفظ الكتابات الكلاسيكية عن ظهر قلب، من الأجدر التركيز على فهم الأسس الرئيسية. إذا قمنا بذلك، وتعلمنا تطبيقه كل يوم، يتطور عملنا الفردي والحزبي بشكل كبير. في غالب الأحيان نفهم العالم الذي يحيط بنا فقط من خلال تجاربنا الخاصة، المحدودة ونستخلص منها خلاصات سيئة. إن الفهم الجيد للماركسية-اللينينة-الماوية يمكنه أن يساعدنا على تجاوز هذه الأخطاء. أحيانا قد يؤدي فهم سطحي إلى صياغة قرارات وسياسات حزبية دون فهم مغزاها وروحها. هذا النوع من المشاكل يمكن تجنبه من خلال فهم متقدم للماركسية-اللينينية-الماوية. من خلال دراستنا لهذه الأيديولوجيا، نتعلم من التجارب الثورية العالمية الإيجابية

الفصل الثامن عشر: تأسيس الأممية الثالثة	96
الفصل التاسع عشر: المسألة القومية والإستعمارية	100
الفصل العشرون: حياة ستالين وإسهاماته الثورية إلى حدود ثورة 1917	104
الفصل الواحد والعشرين: بناء الإشتراكية – التجربة الروسية	115
الفصل الثاني والعشرين: النضال ضد التروتسكية والميول الإنتهازية الأخرى	124
الفصل الثالث والعشرون: التكتيكات خلال الحرب العالمية الثانية	129
الفصل الرابع والعشرون: شباب ماو	135
الفصل الخامس والعشرون: نضال ماو ضد الخطوط اليمينية و"اليسارية" وانتصار الثورة الصينية	146
الفصل السادس والعشرون: النهج الثوري في المستعمرات وشبه-المستعمرات	157
الفصل السابع والعشرون: ماو حول الفلسفة	162
الفصل الثامن والعشرون: ماو حول الحزب	169
الفصل التاسع والعشرون: البناء الإشتراكي – التجربة الصينية	175
الفصل الثلاثون: المناظرة الكبرى – صراع ماو ضد تحريفية خروتشوف المعاصرة	185
الفصل الواحد والثلاثون: الثورة الثقافية البروليتاريا العظمى	191
الفصل الثاني والثلاثون: بعد وفاة ماو	201

الفصل الأول: مقدمة	5
الفصل الثاني: ما هي الماركسية-اللينية-الماوية؟	7
الفصل الثالث: بصدد الشروط السوسيو-اقتصادية التي انبثقت عنها الماركسية	11
الفصل الرابع: حياة الشابين ماركس وإنجلز إلى أن أصبحا ماركسيين	17
الفصل الخامس: مصادر الماركسية الثلاثة	29
الفصل السادس: أسس الفلسفة الماركسية: المادية الجدلية والتاريخية	33
الفصل السابع: الصراع ضد الاشتراكية الطوباوية وتأسيس الاشتراكية العلمية	37
الفصل الثامن: الإقتصاد السياسي الماركسي	41
الفصل التاسع: الماركسية توطد صلاتها بالطبقة العاملة	45
الفصل العاشر: دروس كمونة باريس	51
الفصل الحادي عشر: نشر الماركسية ونهوض الإنتهازية	57
الفصل الثاني عشر: الماركسية في روسيا – مرحلة شباب لينين	61
الفصل الثالث عشر: لينين والحزب البرليتاري من صنف جديد	68
الفصل الرابع عشر: الثورة البرجوازية الروسية 1905: تطور التكتيكات البروليتارية	73
الفصل الخامس عشر: الحرب العالمية الأولى: الإنتهازية ضد التكتيك الثوري	79
الفصل السادس عشر: تحليل الإمبريالية من طرف لينين، المرحلة العليا للرأسمالية	84
الفصل السابع عشر: الثورة الإشتراكية الكبرى لأكتوبر	88

Foreign Languages Press
Collection "Colorful Classics" #1 (Arabic)
A collection directed by Christophe Kistler
Contact - redspark.contact@protonmail.com

Utrecht, 2018
ISBN : 978-2-491182-41-0

Printing:
- English: 410 copies (five printings)
- English (revised): 1400 copies (seven printings)
- Italian: 50 copies
- German: 100 copies
- **Arabic: 100 copies (two printings)**
- Spanish: 100 copies

This book is also available in Chinese, French, Norwegian, Portuguese, Russian and Swedish. Contact us for a free soft copy.

This book is under license Attribution-ShareAlike 4.0 International (CC-BY-SA 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/

دروس أولية في

الماركسية اللينينية الماوية

FOREIGN LANGUAGES PRESS